وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية

أقليم الزاب في المغرب الإسلامي دراسة في الاحوال العامة حتى نهاية القرن السابع الهجري

رسالة ماجستير تقدمت بها

الطالبة دعاء جاسم جاهل

إلى

مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة كربلاء

وهي جزء من متطلبات نيل

شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي

بأشراف

الأستاذ المساعد الدكتور

محمد مهدي علي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة الأعراف: آية10

اقـرار المشـرف

اشهد ان اعداد هذه الرسالة الموسومة بـ (أقليم الزاب في المغرب الإسلامي دراسة في الاحوال العامة حتى نهاية القرن السابع الهجري) والمقدمة من الطالبة (دعاء جاسم جاهل) قد جرى تحت اشرافي في كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي .

المشرف

التوقيع:

الاسم : أ .م. د . محمد مهدي علي

التاريخ : ١٧/ ١٠ /٢٠٢٣

بناءً على التوصيات المتوافرة ، ارشح هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع :

الاسم :

أ .م . د. محمد مهدي علي

رئيس قسم تاريخ

التاريخ١٧/ ١٠ /٢٠٢٣

قرار لجنة المناقشة

تشهد بأننا أعضاء لجنة المناقشة اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ (**أقليم الزاب في المغرب الإسلامي دراسة في الاحوال العامة حتى نهاية القرن السابع الهجري**) وقد ناقشنا الطالبة (دعاء جاسم جاهل) في محتوياتها وفيما لها علاقة بها ونعتقد بأنها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث بتقدير ( )

التوقيع :

الاسم: أ. م.د علاء حسين ترف

الكلية : كلية التربية للعلوم الانسانية

عضواً

التاريخ : ٨ /١١/ ٢٠٢٣

التوقيع :

الاسم: أ. م.د احمد فاضل عجيمي

الكلية : كلية الاثار / جامعة ذي قار

عضواً

التاريخ : ٨/ ١١ /٢٠٢٣

التوقيع :

الاسم: أ.م.د محمد مهدي علي

الكلية : كلية التربية للعلوم الانسانية

عضواً ومشرفاً

التاريخ : / /٢٠٢٣

التوقيع :

الاسم: أ.د هاشم ناصر حسين

الكلية : كلية التربية للعلوم الانسانية

رئيساً

التاريخ ٨/ ١١/٢٠٢٣

مصادقة مجلس الكلية :

صادق مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة كربلاء في على قرار لجنة المناقشة .

الاستاذ الدكتور صباح واجد علي

عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة كربلاء

التاريخ ١٤/ ١١/ ٢٠٢٣

الاهداء

إلى روح والـــدي (رحمه الله تعالى)

إلى والــدتـي الغـالــية الحنـونـة

إلى سندي على الأيـام، اخوتي واخواتي

الباحثة

شكر وتقديــر

احمد الله حمداً يعجز عنه الحامدون ، واشكره شكراً يعجز عنه الشاكرون والصلاة والسلام على سيد الانام ابي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

بعد هذا الجهد الطويل المضني لأتمام هذه الرسالة، لايسعني إلا ان اتقدم بالشكر والثناء والتقدير إلى المشرف الاستاذ المساعد الدكتور محمد مهدي علي الشُبَري لما ابداه لي من تعليم وتوجيه وارشاد كان سبباً رئيساً لانجاز هذه الرسالة بهذا الشكل ، فجزاه الله عني خير الجزاء.

واتقدم بالشكر والتقدير إلى كافة اساتذتي الافاضل الذين درسوني في السنة التحضيرية ولم يبخلوا بمساعداتهم وأرائهم وتوجيهاتهم العلمية السديدة وهم ، الاستاذ الدكتور اياد عبد الحسين الخفاجي، والاستاذ الدكتور حسين كاظم حسون ، والاستاذ الدكتور هاشم ناصر حسين والأستاذ الدكتور ميثم مرتضى مصطفى ، والاستاذ الدكتور عباس جبير سلطان ، والاستاذ الدكتور زمان عبيد وناس والأستاذ الدكتور عمار محمد يونس والأستاذ المساعد الدكتورعبير عبد الرسول محمد والأستاذ المساعد الدكتور حسين كريم حميدي والأستاذ المساعد الدكتور سلوى حسن عيدان فلهم مني جزيل الشكر والامتنان .

كما اتقدم بالشكر الجزيل إلى السادة والسيدات العاملين في الدوائر والمكتبات العامة لما بذلوه من جهد لخدمة العلم واهل العلم.

وشكري وتقديري لاخوتي واخواتي من زملاء الدراسة الذين كانو نعم الاخوة .

واشكر كل من مد لي يد المعونة والمساعدة بالقول والعمل ، وهم لله الحمد كثيرون فلم احصيهم عداً ولن اوفيهم شكراً، ولكن بكل الوفاء ادعو لهم ان يجزيهم الله خيراً.

فهي كلمة شكر صادقة طيبة ... وتقدير واعتزاز للجميع . الباحثة

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة وعرض المصادر	7-1
الفصل الاول : الأحوال السياسية والعسكرية حتى القرن السابع الهجري .	58 -19
المبحث الاول الزاب من الفتح الإسلامي الى العصر العباسي	37 -19
المبحث الثاني : بلاد الزاب في العصرين العباسي والفاطمي	49-38
المبحث الثالث: الزاب من نهاية الفاطميين في المغرب حتى القرن السابع الهجري	58 -50
الفصل الثاني : الحياة الاجتماعية والمذهبية والدينية	107 -59
المبحث الاول : عناصر السكان	70 -59
المبحث الثاني : العوامل الثقافية	86 -71
المبحث الثالث: الحياة الدينية والمذهبية	107-87
الفصل الثالث : الجوانب الاقتصادية .والعلمية والعمرنية	161 -108
المبحث الاول : الجوانب الاقتصادية	130-108
المبحث الثاني: الجوانب العلمية	146-131
المبحث الثالث : العمران في بلاد الزاب حتى القرن 7 هجري	161-147
الخاتمة	163-162
قائمة المصادر والمراجع	192-164
الملخص الانكليزي	1

لمقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله الطيبين الطاهرين

كان لإقليم الزّاب عبر العصور التاريخية دور محوري في التأثير على أحداث بلاد المغرب الإسلامي لاسيما المغرب الأوسط اذ انه يقع وسط بلاد المغرب بما يجعلة مرتبطاً بكل البلاد، وانعكس هذا على دوره التاريخي بأن كان له دور بارز على صعيد الاحداث التاريخية وإفراز الممالك ، إضافة الى كونه ساحةً للكثير من الأحداث السيّاسيّة والاقتصادية، كما شهدت مدنه وقائع حاسمة ومحطات بارزة في سياق هذا التاريخ، ويكفي أنه كان منطلقا للكثير من الدّول التي تعاقبت على حكم إفريقية خلال الفترة الوسيطة على غرار الدولة الأغلبية والفاطمية والزيرية والحمادية .

وقد واجهت البحث العديد من الصعوبات من أهمها تناثر المادة التي تخص البحث بين المصادر على شكل اسطر قليلة استلزمت الكثير من التحري والبحث ، لاسيما في كتب الجغرافيين والرحالة ، كما ان العديد من المصادر كانت معلوماتها متشابهة بعضها مع البعض الاخر ، وافتقرت في بعض النواحي للمعلومات التفصلية لاسيما في مجال العمران في بلاد الزاب مما اضطرنا للاعتماد على بعض البحوث الاثارية .

قسمت الدراسة الى تمهيد وثلاثة فصول اعقبتها خاتمة وقائمة المصادر والمراجع ، تناول التمهيد اصل تسمية الزاب والمناطق الأخرى التي شاركتها التسمية والنطاق الجغرافي لبلاد الزاب واراء الجغرافيين والرحالة والمؤرخين حول حدود الزاب ومدى اثر التقلبات السياسية في اتساع وضيق مجاله .

اما الفصل الأول فتناول من خلال تقسيمه الى ثلاث مباحث الاحداث الساسية والعسكرية التي حدثت في بلاد الزاب ابتداءً من الفتح الإسلامي لبلاد المغرب عموماً وبلاد الزاب خاصةً ، مع التركيز على العمليات العسكرية التي حدثت في

إقليم الزاب ، ثم تناول عصر الولاة والتقلبات السياسية التي حدثت في تلك الفترة ومروراً بالعصر الاموي ثم العصر العباسي وقيام دولة الاغالبة والدولة الرستمية ، واثر قيام الدولة الفاطمية على إقليم الزاب وقيام الثورات عليها هناك ، ثم الاحداث الساسية في عهد الصنهاجيين والمرابطين والموحدين .

وتناول الفصل الثاني الأحوال الاجتماعية والدينية والمذهبية في بلاد الزاب ، و قسم الى ثلاث مباحث المبحث الأول استعرض العناصر السكانية في بلاد الزاب وزمن دخولها في المنطقة وانتشارها في أراضيه وتقسيماتها القومية والقبلية كالبربر والعرب والروم والافارقة ثم اثر الهجرات التي اثرت في التركيبة السكانية لإقليم الزاب لاسيما هجرة القبائل الهلالية ، كما تناول المبحث الثاني الأحوال الاجتماعية من عادات وتقاليد وممارسات اجتماعية لسكان بلاد الزاب بعضها مشترك مع بلاد المغرب الأوسط وبعضها انفردت به تلك الجماعات السكانية في المنطقة اذ تناول الممارسات الاجتماعية سواء في مجتمع المدينة الزابية او الممارسات الاجتماعية عند القبائل ، بينما تناول المبحث الثالث الحياة الدينية لإقليم الزاب من حيث تقسيماته الدينية التي تمثلت بالإسلام والمسيحية واليهودية ثم تناول التقسيمات المذهبية كالمالكية والحنفية والخوارج والاسماعيلية ونشؤها في المنطقة ومدى انتشارها بين السكانية وعوامل الانتشار والانحسار .

اما الفصل الثالث فقسم هو الاخر الى ثلاث مباحث ، المبحث الأول تناول النواحي الاقتصادية في بلاد الزاب كالزراعة والصناعة والتجارة مبيناً اهم المحاصيل الزراعية التي التي انتشرت في بلاد الزاب ومدى اهتمام السكان بتلك المحاصيل واثر المياه في انتشار الزراعة في الإقليم لاسيما وان الإقليم توفرت فيه الموارد المائية الكافية لزراعة مختلف المحاصيل الزراعية كما تناول الإنتاج الحيواني في الإقليم ، ثم استعرض ثانياً الصناعة في الإقليم لاسيما الصناعة التي اعتمدت على الإنتاج الزراعي والحيواني للإقليم كصناعة زيت الزيتون وصناعة الانسجة القطنية والصوفية وغيرها من الصناعات ، وثالثا تناول المبحث موضوع

التجارة ونشاطها الواسع ومدى اهتمام السكان بها كمهنة رئيسية كما تناول الطرق التجارية التي تمر بالاقليم وابرز المدن التي تحولت الى مراكز تجارية مهمة .

وتناول المبحث الثاني النشاط العلمي لإقليم الزاب موضحاً اهم الشخصيات العلمية ونتاجها العلمي مع بيان اهم المراكز العلمية في الإقليم ، اما المبحث الثالث فقد تناول النشاط العمراني في الإقليم ومواد البناء التي استعملت في تلك الأبنية مركزاً على بعض النماذج العمرانية في الإقليم من قلاع وقصور ومساجد .

اما الخاتمة فقد تناولت اهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة .

عرض المصادر :

تم الاعتماد في إنجاز هذه الدراسة على عدة مصادر ومراجع منها مصادر أساسية قريبة من الحدث التاريخي لإقليم الزاب ، وأخرى مصادر لمؤرخين وكتاب مغاربة قدامى ومحدثين ، وهم أدرى بأحداث المغرب العربي من غيرهم ، وسأقتصر على عرض اهم هذه المصادر.

اولاً : كتب التاريخ العام :

ـ(الكامل في التاريخ) لابن الأثير(ت630 هـ/1233م)وهو من كتب التاريخ العام الذي أورد معلومات قيمة عن إقليم الزاب وخاصة مايتعلق بالجانب السياسي والجغرافي .

ـ (العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر) لابن خلدون (ت 808هـ/1405م) وهو كتاب تاريخي جامع للأحداث السياسية والحكام والأمراء والقبائل والديانات زيادة على المعلومات الجغرافية وقد اعتمدنا عليه في تحديد إقليم الزاب وبيان حدوده ومدنه.

- كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي.

أبو العباس احمد بن محمد المراكشي (كان حياً 721هـ/1312م) تحدث في كتابه عن الأمراء والحكام والدول التي حكمت بلاد المغرب من بداية الفتوحات الإسلامية وحتى نهاية الدولة الحمادية

- كتاب تاريخ افريقية والمغرب للرقيق القيرواني (ت417هـ/1027م) .

ويعد هذا الكتاب أوفى واشمل ما كتب عن الأحداث السياسية في بلاد أفريقية والمغرب . تناول تاريخ أفريقية والمغرب منذ ولاية عقبة بن نافع الفهري الثانية للمغرب حتى ولاية ابي العباس عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب . .

ثانياً : كتب البلدانيـــن

وتعد من المصادر الأساسية وذلك لأهميتها لأنها احتوت على معلومات قيمة ولها علاقة بجميع فصول الرسالة منها :

1- كتاب البلدان لليعقوبي

احمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت 284هـ/ 897م) ، يتصدر هذا الكتاب قائمة المصادر التي أفدت منها كثيراً لاحتوائه على معلومات اجتماعية وبلدانية جغرافية اقتصادية ، ولكون زار اليعقوبي بلاد المغرب ولاسيما إقليم المغرب الأوسط ، وقدم لنا معلومات تاريخية عن مدن الزاب وجغرافيته (3هـ/9م) .

2- كتاب صورة الأرض لابن حوقل

ابو القاسم محمد بن علي النصيبي (367هـ/977م) ، يعد هذا الكتاب من أهم الكتب الجغرافية إذ زار ابن حوقل بلاد المغرب ودوّن كتابه فيها عن قرب ، واعتمد أيضاً في تدوين كتابه على كتابات بعض من سبقه مثل ابن خرداذبة والاصطخري ، وقدم لنا بن حوقل معلومات مهمة أغنت فصول الرسالة ،لأنه قدم وصفاً للطرق التجارية بصورة تفصيلية وأسواق المراكز التجارية الواقعة على هذه الطرق ، وذكر المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية والثروة الطبيعية والصناعات في إقليم المغرب الأوسط والزاب

3- كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي

شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد المعروف بابن البناء الشامي المقدسي البشاري (ت378هـ/997م) ويعد كتابه من المصنفات الجغرافية المهمة لأنه زودنا بمعلومات عن جغرافية بلاد المغرب ، ومواردها المائية ، ومحاصيلها الزراعية وأماكن زراعتها والثروة الحيوانية ، وأصناف الصناعات

4- كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك وكتاب المسالك والممالك للبكري.

أبو عبدالله بن عبد العزيز (ت487هـ/1094م) الذي دون فيه معلومات تفصيلية عن بلاد المغرب الأوسط وبلاد الزاب خلال القرن الخامس

5- كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي.

أبو عبدالله محمد بن محمد (ت 560هـ/1164م) كتاب ذا قيمة علمية لذا تتمثل في ما أورده من معلومات مهمة عن الطرق والمسالك التجارية والأنشطة الاقتصادية الزراعية والصناعية.

وكتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت626هـ/ 1228م) ، وكتاب الروض المعطار في خبر الاقطار للحميري (ت900هـ/ 1494م) .

ثالثاً: كتب الطبقات والتراجم.

أغنت هذه المصادر الرسالة في ترجمة الشخصيات التي وردت ضمن سياق البحث حيث ذكروا التجار المغاربة والتجار الغرباء ،وكانت فائدتها كبيرة أيضاً حيث زودتنا بمعلومات عن الحكام ونشاطاتهم المختلفة ، حيث نجد كتب تناولت ترجمة السيرة الخاصة بأسرة أو مذهب معين دون غيره . مثل كتب السيرة الخاصة بالرستميين ،وكتب سيرة خاصة بالفاطميين ، فقد زودتنا هذه الكتب بمعلومات ذات قيمة في معرفة الكيانات السياسية التي حكمت بلاد المغرب ودورها في النشاط الاقتصادي ومن أهم هذه المصادر:

- كتاب أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير المالكي (ت290هـ/912م) يضم هذا الكتاب معلومات مهمة أفادتنا في بعض فصول الرسالة ، حيث كان بن الصغير مهتماً بجمع الأحداث التي رافقت حكم الرستميين.

- كتاب طبقات المشائخ بالمغرب للدرجيني، احمد بن سليمان بن علي (ت 670هـ /1271 م) حيث زودنا بمعلومات عن الجانب السياسي للائمة الرستميين ، وبمعلومات عن التجار وعن العلماء

- كتاب المجالس والمسايرات ، وكتاب دعائم الإسلام ، وكتاب افتتاح الدعوة ، للقاضي النعمان ابي حنيفة بن محمد التميمي المغربي (ت363هـ/973م) كان القاضي النعمان شاهد عيان لكثير من الحوادث السياسية والاقتصادية وقدمت هذه الكتب لنا معلومات مهمة عن الزراعة والري وبعض الصناعات في عصر الخلافة الفاطمية،وبمعلومات عن التجارة وعن العملات التي سكها الخلفاء الفاطميين.

- كتاب سيرة الأستاذ جوذر ، للجؤذري أبي علي المنصور العزيز (ت386هـ/996م) ، الذي شغل مناصب عدة خلال العصر الفاطمي في بلاد المغرب ، وتأتي أهمية هذا الكتاب أنه أورد الوثائق الرسمية التي صدرت عن الخلفاء الفاطميين وفيها توقيعاتهم ولاسيما ما يتعلق بالمعلومات الاقتصادية في البلاد ، فضلاً عن بعض المعلومات في مجال الصناعة.

- (عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية) للغبريني (ت714هـ/1314م) وهو من الكتب المهمة التي اعتمدت عليها لبيان الصلات الفكرية بين حواضر بلاد الزاب ومدن المغرب الأوسط الاخرى .

تمهيد

التسمية والنطاق الجغرافي

مدلول كلمة الزاب : .

لغة : يقال زاب الشيء إذا جرى وسال زاب زوبا: انسل هربا، والماء: جرى([1]).

اصطلاحا: رافدان لنهر دجلة يتصلان من الضفة اليسرى، الزاب الأعلى([2])، والزاب الأسفل([3]) ، ونهر بين سوراء([4]) وواسط ([5])، ونهر آخر بقربه وعلى كل منهما كورة، وهما الزابان، أو الأصل: الزابيان، والعامة تقول: الزابان، ويجمع بما حواليهما من الأنهار: الزوابي. وزاب: ملك للفرس، حفرها جميعها.. ([6]) .

---

[1]) الفيروز آبادي ، قاموس المحيط ،ج 1 ، ص 80 .

[2]) الزاب الأعلى ينبع بين الموصل واربيل ومنبعه بلاد مشتكهر مابين أذربيجان وبابغيش ، والوادي شديد الحمرة ويجري في جبال وأودية ، ، وكلما جرى صفى قليلاً . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص138 .

[3]) الزاب الأسفل فمخرجه من جبال السّلق سلق أحمد بن روح بن معاوية من بني أود ما بين شهرزور وأذربيجان ثمّ يمرّ إلى ما بين دقوقا وإربل، وبينه وبين الزاب الأعلى مسيرة يومين أو ثلاثة ثمّ يمتدّ حتى يفيض في دجلة عند السنّ، وعلى هذا الزاب كان مقتل عبيد الله بن زياد ابن أبيه . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص138 .

[4]) مدينة سورا : موضع بالعراق من أرض بابل، وهي مدينة السريانيين، وقد نسب إليها الخمر، وهي قريبة من الوقف والحلة المزيدية كما انها من مراكز العلم لليهود العراقيين، وهي من مستوطناتهم القديمة التي سكنوا فيها منذ أيام السبي البابلي، وتمتعت باستقلال في إدارة شؤونها وفق شرعهم ، ثم سكنها المسيحيون فالمسلمون بعد الفتح الإسلامي للبلاد، لتصبح مدينة إسلامية، وتقع هذه المدينة على نهر الفرات (العلقمي)، وقد سمّيت هذه المدينة فيما بعد (سوراء)، وعاشت حتى اندثارها وصيرورتها أطلالاً في القرن التاسع الهجري، بعد اندثار فرع الفرات الكائنة عليه. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص316 ؛ البدري ، سامي ، البشارات -الكراسة الأولى فصل: موجز عن (الكتاب المقدس) وأسفاره ولغته الأصلية وترجماته الأساسية- الهامش رقم ، ص29 .

[5]) بناها الحجاج سنة ثلاث وثمانين أو سنة أربع وثمانين. وبنى مسجدها وقصرها وقبة الخضراء بها. وكانت واسط أرض قصب فسميت واسط القصب. وبينها وبين الأهواز والبصرة والكوفة مقدار واحد. البلاذري ، فتوح البلدان ، ج 2، ص355.

[6]) الفيروز آبادي ، قاموس المحيط ج 1 ، ص 80 .

- **تحديد بلاد الزاب :**

ليس هناك رأي واحد حول اصل كلمة الزاب فهناك اراء متعددة فالبعض يرى انها عربية الاصل والبعض الأخر يرى انها ليست عربية رغم ان اصلها قد يكون من المشرق ثم انتقلت الى المغرب ([1]) بفعل الانتقال الحضاري والاستعمال اللغوي المتبادل بين الشعوب الشرقية والشعوب الخاضعة للإمبراطوريات الرومانية والبيزنطية ، الا ان الرحالة ياقوت الحموي يرجع اصل الكلمة الى اصل شرقي إذ يقول ان الزاب مصطلح فارسي يطلق على واديين من أودية بلاد الرافدين ويعود الفضل في شقهما الى الملك الفارسي زاب بن توركان بن منو شهر بن ايرج بن أفريدون([2]) .

وبالتالي فأن الزّاب مصطلح لبقعة جغرافية بالمشرق وهي الزاب الموجود بالعراق وتكون عبارة عن واديين من أودية العراق ، أحدهما الزّاب الأصغر بين الموصل وإربل والثاني الزّاب الأكبر بين إربل وكرخيني(كركوك) ([3]) وكلاهما من روافد نهر دجلة ([4]) .

اما في المغرب فقد اطلق الاسم على مدينة زابي ([5]) ، يأخذ الزاب اسمه من مدينة زابي zabi الرومانية التي كانت تقع في منطقة الحضنة ([1]) ، وقد عرف على

---

[1]) حدده المؤرخون والجغرافيون العرب القدامى بما بعد حدود مصر الغربية وهو واقع ضمن الشمال الأفريقي وفي ذلك يقول ابن حوقل " ان المغرب من مصر وبرقة وناحية تونس الى سبته وطنجة " وقاعدته منذ اقدم العهود هي أفريقية، ينظر : ابن حوقل ، صورة الارض ، ص64.

[2]) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ، ج3 ، ص138 .

[3]) بكسر الخاء المعجمة ثم ياء ساكنة، ونون، وياء ممالة: هي قلعة في وطاء من الأرض حسنة حصينة بين دقوقا وإربل رأيتها، وهي على تلّ عال ولها ربض صغير. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4، ص450 .

[4]) ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج ، ص 137.

[5]) مدينة رومانية في إقليم الحضنة وكانت مقر أسقفية في القرن الخامس الميلادي سميت بعد الفتح الاسلامي المحمدية أو المسيلة . الشنتناوي أحمد وآخرون، دائرة المعارف الاسلامية ، مج 10 ، ص31 .

على الرومان أنهم لم يحتلوا هذه المنطقة واكتفوا بإنشاء معاقل حولها في ناحية بسكرة ([2]) وعند المنفذ الجنوبي لأودية الآوراس ([3]) .

وكان اسم الزاب في القديم أوسع من الوقت الحاضر حيث كان يشمل الحضنة ومدنها الواقعة عند السفوح الجنوبية للأطلس وهي مقرة([4])، وطبنة ([5]) ، ويطلق اسم الزاب في الوقت الحالي على امتداد غير فسيح عند سفوح الجبال الفاصلة بين سهول الحضنة والصحراء، قاعدة الزاب هي بسكرة([6]).

ذكرت المصادر العديد من المعلومات المهمة عن بلاد الزّاب وخاصة النّاحية الجغرافية ، ولعلّ أهمّها نصوص الجغرافيين والرحالة مضافاً الى المؤرخين، فاليعقوبي([7]) (ت292هـ/905م) ينسب جملة من المدن إلى بلاد الزّاب فيذكر

---

[1]) الحضنة هي منطقة طبيعية في الجزائر تقع بين سلسلة جبال الأطلس التلي، والأطلس الصحراوي في الطرف الشرقي من الهضاب العليا، تقع الحضنة في القسم الشمالي الشرقي من ولاية المسيلة والقسم الغربي من ولاية باتنة. العقون ، الموقع االستراتيجي لـ"منطقة الحضنة" في التاريخ القديم ، ص173 .

[2]) من مدن الزاب بالمغرب الأوسط وهي مدينة مسورة عليها خندق، وبها جامع ومساجد كثيرة وحمامات، وحواليها بساتين كثيرة، كما تحيط بها ارباض خارجة عن الخندق المذكور، ولبسكرة أربعة أبواب باب المقبرة وباب الحمّام وباب ثالث ويوجد داخل المدينة ابار كثيرة عذبة . البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص137 .

[3]) الأوراس حلقة في سلسلة جبال الأطلس الصحراوي ، وهو يقع في الجهة الجنوبية الشرقية للجزائر المتوسطية. يحده شرقاً وادي العرب، الذي يفصله عن جبال النَّمَامْشَة، وغرباً وادي القنطرة ـ بِسِكْرة الذي يفصله عن جبال الزاب المنخفضة، ويشرف شمالاً على نجود قسنطينة ، أما في الجنوب فيشرف على وهدة الزيبان. المدني ، جغرافية القطر الجزائري ص76 .

[4]) مدينة بالمغرب في بر البربر قريبة من قلعة بني حماد بينها وبين طبنة ثمانية فراسخ وكان بها مسلحة للسلطان ضابطة للطريق، ينسب إليها عبد الله بن محمد بن الحسن المقري . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٧٥ .

[5]) مدينة الزاب العظمى وهي في وسطه عامرة واسواقها قائمة ولها مزارع وغلات جمة. البعقوبي ، البلدان، ص190 ؛ الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص276 .

[6]) بومعزة ، بسكرة في عيون الرحالة الغربيين ص83 .

[7]) اليعقوبي ، البلدان ، ص190 .

باغاية([1]) ، تيجس([2])، بلزمة ([3]) ، نقاوس([4])، سطيف ([5]) ، مقرة ، أربة ([6]) وطبنة

وينسب اليعقوبي جملة من المدن إلى بلاد الزاب مثل طبنة الواقعة وسط الزاب يحدد بينها مراحل حيث نجده يقول "ومن القيروان إلى بلاد الزاب عشر مراحل ومدينة الزاب العظمى طبنة ، والزاب بلد واسع فمنه مدينة قديمة يقال لها باغاية([7])" ([8]). بينما يذكر ابن خرداذبه([9]) (ت280هـ/894م) أنّ اسم الزّاب يطلق يطلق على إحدى مدن بلاد المغرب . ويرى المقدسي ([10]) (ت381هـ/991م)، ان المدن التابعة لإقليم الزّاب هي

---

[1]) باغايه : مدينة كبيرة تقع عند اقدام جبال اوراس ، عليها سوران من الحجر ، كثيرة الانهار والعيون. ينظر : الادريسي ،نزهة المشتاق ، ص 103 ؛ مجهول ، الاستبصار ، ص 163.

[2]) تيجس: مدينة قديمة بالجزائر من عمل باغاية بينها وبين باغاية ثلاث مراحل. اليعقوبي، فتوح البلدان، ص102. القاضي النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، ص168، هامش (6).

[3]) حصن لطيف وفي أهله عزة ومنعة ولها ربض وسوق وبها آبار طيبة وماؤها أيضا غدق، وهو في وسط فحص أفيح وبناؤه بالحجارة الكبار القديمة. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج 1، ص 270 .

[4]) كثيرة الشعر و البساتين وأكثر فواكهها الجوز ومنها يتجهز به إلى ما جاورها من الأقطار ...وتقع بشرقها مدينة اللوز . الإدريسي، نزهة المشتاق ، ج 1، ص 264 .

[5]) حصن سطيف على مقربة من بجاية إلى جهة الجنوب وبينهما مرحلتان وحصن سطيف كبير القطر كثير الخلق كاملدينة وهو كثير المياه والشجر المثمر بضروب من الفواكه ومنها يحمل الجوز لكثرته إلى سائر البلاد وهو بالغ الطيب وبين سطيف وقسنطينة أربع مراحل ، وبقرب سطيف جبل يسمى ايكجان . الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

[6]) آخر مدن الزاب مما يلي المغرب في آخر عمل بني الأغلب ولم يجاوزها المسودة – ويقصد بالمسودة الدولة العباسية- . اليعقوبي ، البلدان، ، ص 190

[7]) باغاية:مدينة كبيرة في أقصى إفريقيا بين مجانة وقسنطينة وهي كبيرة عليها سوران من حجر، ينظر: ياقوت - الحموي ، معجم البلدان ،ج 1 ،ص 376 ، مقديش ، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، ج 1 ، ص 104.

[8]) اليعقوبي ، البلدان ، ص190 .

[9]) إبن خرداذبة، المسالك والممالك، ص87 ؛ الهطاي ، الجغرافية التاريخية لبلاد الزّاب من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي ، ص93 .

[10]) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص57 .

((المسيلة([1])، مقرة، طبنة، بسكرة ، بادس([2])، تهودة ([3])، طولقة([4]) ، أذنة وأشير([5]))) .

البكري([6]) يحدد الحدود الشرقية بمدينة (تهودا) ، ويجعلها أخر مدينة طرفية شرقية في المجال الزابي على اعتبار أنها بوابة بلد قيطون بياضة الواقع على مفترق الطرق نحو بلاد السودان والقيروان.

اما ابن فضل الله العمري فعنده بلاد الزاب في مسامته لبلاد الجريد ([7]) . مما يجعله بأطراف المجال الصحراوي . ويتفق العمري مع البكري في اعتبار قيطون بياضة أخر اعمال الزاب من جهة الشرق ([8]) .

---

[1]) مسيلة تقع في بسيط من الأرض إستحدثها أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله الشيعي منذ سنة - - 313 هـ/ 925 م ، تولى بناها علي بن حمدون بن سماك المعروف بابن الأندلسي ينظر: مؤلف مجهول ،الاستبصار في عجائب الأمصار ،ص 172

[2]) بادس :إسم لمكانين ببلاد المغرب فهناك بادس فاس بالمغرب الأقصى وبادس الزاب بالمغرب الأوسط ،.وبادس التي نقصدها التي بالمغرب الأوسط ، هي مدينة كبيرة لها حصنان وأرباض واسعة وبسائط كثيرة ومزارع جليلة يزرعون فيها الشعير مرتين في السنة على مياه جارية و نخيل كثير وجميع الفواكه والثمار، وهي مدينة قديمة وهي آخر بلاد الزاب. ياقوت الحموي ، ج1،ص317 ؛ مجهول: الإستبصار، ص175

[3]) مدينة تهودة وهى مدينة كبيرة قديمة أزلية عليها سور عظيم مبنى بالحجر الجليل، ولها رياض كبيرة ولها أرباض كثيرة يدور بجميعها خندق، ولها نهر كبير ينصب إليها من جبل أوراس، فإذا كانت بينهم وبين أحد حرب، وخافوا النزول إليهم أجروا ماء ذلك النهر فى الخندق المحيط ببلدهم فامتنعوا منه. وهى كثيرة البساتين والزرع والنخل وجميع الثمار، مجهول، الاستبصار ، ص174.

[4]) طولقة: مدينة بالمغرب من ناحية الزاب الكبير من صقع الجريد . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج4 ، ص50 .

[5]) بناها زيرى بن مناد الصنهاجى وتعرف بأشير زيرى، وكانت مدينة قديمة فيها آثار عجيبة، وإنما بنى زيرى سورها وحصنها وعمرها فليس فى تلك الأقطار أحسن منها. وهى بين جبال شامخة محيطة بها. وداخل المدينة عينان لا يبلغ لهما غور ولا يدرك لهما قعر من بناء الأول . مجهول ، الاستبصار ،ص 170.

[6]) البكري ،المسالك والممالك ، ج2 ، ص743 .

[7]) بلاد الجريد : مدن كثيرة واقطار واسعة وعمائر متصلة ... وهي اخر بلاد افريقية على طرف الصحراء وسميت بهذا الاسم لكثرة النخيل فيها ، مجهول ،الاستبصار ، ص150 .

[8]) العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص171-172 .

ويرى ياقوت الحموي([1]) أن لفظ الزّاب يطلق على مدينة بالمغربَ فيورد: ((اسْمُ مَدِينةِ بالغَرْبِ منْ أعْمالِ الزّاب، يقَال إن حَوْلها ثلاثمائة وَسِتِّينَ قرْية)) .

ثم يذكر الحموي ([2]) : ((الزاب كورة صغيرة يقال لها ريغ وهي كلمة بربرية معناها السبخة فمن كان منها يقال له الريغي))

والسبخة لغة هي الأرض ذات النزّ و الملح ولهذا سميت بلاد ريغ جنوب زيبان بسكرة بهذا الإسم نسبة إلى شط ملغيغ ([3])، ويقول البعض أن مصطلح ((بلاد الزاب يطلق على المناطق المليئة ببساتين النخيل وتخترقها السواقي والأودية)) ([4]) .

لكن المراكشي يذكر أن بلاد الزاب تتسم بالاتساع ، وينظر اليها كونها تشمل عموم البلاد الجريدية ([5]) .

كما يذكر ابن خلدون([6]) (ت808هـ/1406م) منطقة الزّاب بأنها منطقة شاسعة تمتدّ من منطقة الدّوسن بالغرب إلى منطقة بادس وتنومة شرقا وهو يضمّ العديد من المدن والقرى المحاذية لبعضها البعض ولعلّ أهمّها : زاب الدوسن ([7]) ، زاب طولقة، زاب مليلة، زاب بسكرة، زاب تهودة، زاب بادس. ويعتبر أن بسكرة كانت أعظم مدينة خلال هذه الفترة .

---

[1]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ، ص 140

[2]) المصدر نفسه ، ج3 ، ص124 .

[3]) مصمودي ، الزاب المصطلح والدلالات ، ص23-24 .

[4]) العربي ، الصحراء الكبرى وشواطئها ، ص142 .

[5]) المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص349

[6]) ابن خلدون، كتاب العبر ، ج ٦ ، ص ٤٠٥.

[7]) دوسن :من أهم المدن الرومانية بالمنطقة غنية بالآثار التي تعود لتلك الفترة تتاخم فيها مملكة مملكة بجاية ،صحراء نوميديا وقد خربت من قبل الرومان لما دخل جنود المسلمين ،ينظر : دائرة المعارف الإسلامية ،م 10 ،ص 319، حسن الوزان ،وصف افريقيا ،ص 140

الحسن بن محمد الوزان المشهور باسم (ليون الإفريقي) يرى أن الزاب إقليم لخمسة مدن هي :بسكرة، البرج، نفطة ([1]) ، تلكة ، دوسن([2]) .

و ذكر خمسة و عشرون مدينة بالإضافة إلى عدد كبير من القرى ([3]). حيث يقع يقع هذا الإقليم في وسط مغارات نوميديا ([4]) تبتدئ غربا من تخوم المسيلة ويحده شمالا مملكة بجاية وشرق بلاد جريد، أما جنوبا فيحده القفار الصحراوية الرملية التي تحاذي طريق تقرت نحو ورقلة ([5]) .

أي انه جعل حدود الزّاب من بداية المسيلة غربا إلى بلاد الجريد بتونس شرقا، ومن جبال بجاية شمالا إلى الطريق المؤدّية من تقرت إلى ورقلة جنوبا.. وبهذا يكون إقليم الزّاب حسب رؤية الوزان الفاسي خمس مدن كبرى وعددا كثيرا من القرى فذكر مدينة البرج([6])،ثم نفطة والتي تعد مكان مأهول بالسكان مقسمة إلى ثلاثة قصور ،ثم طولقة، ثم الدوسن بناها الرومان كلها تتقاطع غربا مع مدينة مسيلة وبجاية من الشمال ثم المضي لبلاد الجريد من جهة الشرق من تخوم بسكرة ([7]) .

---

[1]) نقطة: بالفتح ثم السكون، والطاء: مدينة بإفريقية من أعمال الزاب الكبير وأهلها شراة إباضية ووهبية متمردون، وبين نفطة ومدينة توزر مرحلة وإلى مدينة نفزاوة مرحلة، وبينها وبين قفصة مرحلتان . الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٩٦ .

[2]) الوزان ، وصف إفريقيا، ص 3 .

[3]) بومعزة ، بسكرة في عيون الرحالة الغربيين ، 85

[4]) نوميديا : نوميديا(202 قبل الميلاد - 46 قبل الميلاد)، هي مملكة قديمة شملت أجزاء من الجزائر وتونس وليبيا، ووادي ملوية في المغرب الاقصى. بدأت المملكة كدولة ذات سيادة ثم تحولت إلى مقاطعة رومانية تارة. شنيتي ، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، ص144

[5]) الوزان ، وصف افريقيا ، ص 3 .

[6]) هي مدينة على بعد أربعة عشر ميلا غرب بسكرة وهي حاضرة كثيرة السكان . المصدر نفسه ص3 .

[7]) المصدر نفسه ، ص 141 .

ولابد من الإشارة ان نوميديا عرفت في عهد العرب بالزاب، اذ قيل في مسيلة أنها من غرر مدن الزاب مما جعل ابن هاني الآندلسي([1]) يشيد باسم الزاب في مدائحه لجعفر بن علي أمير المسيلة يقول :

خليلي أين الزاب مني وجعفر

وجنة خلد بنت عنها وكوثر

وفي موضع اخر يقول

وَيَا أَيهَا الْقصر المنيف قبابه ...

على الزاب لَا يسدد إِلَيْك طَرِيق

وَيَا ملك الزاب الرفيع عماده ...

بقيت لجمع الْمجد وَهُوَ فريق[2]

ويذكر صاحب كتاب الرّوض المعطار وهو الحميري ([3]) (ت 900هـ/1495م) أن بلاد الزاب تقع على أطراف الصحراء من بلاد الجريد وبها أنهار وعيون ومدن كثيرة من أهمّها المسيلة، نقاوس، طبنة، بسكرة وتهودة وغيرها .

واختلف المؤرخون والجغرافيون والرحالة حول تبعية بلاد الجريد الى إقليم الزاب من عدمها ، ولكن من خلال تتبع النصوص المختصة بالموضوع يتبين أنّ حدود بلاد الزّاب تتغيّر من مصدر إلى آخر حسب الفترة التي عاشها مصنف

---

[1]) أبو القاسم محمد بن هانئ بن سعدون يتصل نسبه بحاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، ولد في إشبيلية ، وتعلم بها الشعر والأدب ثم اتهمه أهلها بمذهب الفلاسفة ، فرحل إلى المغرب ومدح جوهر الصقلي ، ثم مدح المعز الفاطمي واقام عنده في المنصورية ، قتل في برقة لتشيعه في 23 رجب 362هـ . ديوان ابن هانئ الأندلسي ، ص 11 .

[2]) ابن خاقان ، ، مطمع الانفس ، ج1 ، ص327 .

[3]) الحميري، الرّوض المعطار في خبر الأقطار، ص281 .

المصدر في ما يتعلق ببلاد الجريد فبعضهم يضمّها إلى الزّاب الكبير والبعض الأخر يسمّيها بالزّاب الأعلى[1] .

إبن عذاري في مؤلفه ((البيان المغرب)) يرى أن بلاد الزّاب غير منفصلة عن بلاد الجريد بل هي امتداد لها ولعلّها كانت منطقة واحدة ((... بلاد الزّاب وهي بلاد الجريد))([2]).

أي انه جمع بين مدن الزّاب ومدن الجريد في إطار حدود الزّاب. وقد كانت بلاد الجريد تعدّ تاريخيّا ضمن إقليم الزّاب إلا أنّ هذا الرأي غير متفق عليه عند المؤرخين والجغرافيين .فيرى بعض الجغرافيين وعلى رأسهم ابن حوقل بكتابه صورة الأرض وياقوت الحموي بكتابه معجم البلدان أنّ بلاد الجريد تابعة لإقليم الزّاب ((في بلاد الجريد من أرض الزّاب الكبير قسطيلية ([3]))) ([4]).

وكذلك صاحب الرّوض المعطار الذي يعتبرها جغرافيا ضمن الزّاب وكانت تتبع عمل إفريقية ([5]).

كما ان بعض كتب الطبقات ورد فيها أن بلاد الزّاب كانت تضمّ مدن بلاد الجريد فتحدث صاحب كتاب معجم السفر (ت576هـ/1180م) أنّ: ((الزّاب الكبير منه بسكرة وتوزر وقصطيلية وطولقة وقفصة ([6]) ونفزاوة ونفطة وبادس)) ([7]) .

اما المراكشى (ت647هـ/1249م) فيجعل بلاد الجريد خارجة عن بلاد الزّاب بقوله : ((ومن مدينة قفصة إلى مدينة توزر أربع مراحل وتوزر هذه هي حاضرة

---

[1]) الهطاي ، الجغرافية التاريخية ، ص55 .

[2]) ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ص 92.

[3]) مدينة كبيرة عليها سور حصين وبها تمر قسب كثير يجلب إلى إفريقية لكن ماءها غير طيب وسعرها غال وأهلها شراة وهبية وإباضية . ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص 384 .

[4]) المصدر نفسه ، ج4 ، ص 384

[5]) الحميري ، الرّوض المعطار في خبر الأقطار، ص578.

[6]) قفصة: بلدة صغيرة في طرف افريقية من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير بالجريد بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة ايام وتمير القيروان بانواع الفواكه ، ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج7، ص77.

[7]) السلفي، معجم السفر، ص 360

بلاد الجريد وأم قراها وبلاد الجريد التي يقع عليها هذا الاسم تنقسم قسمين قسم يسمى قسطيلية وهذا الاسم يقع على توزر وأعمالها وقسم يسمى الزّاب وهذا الاسم يقع على مدينة بسكرة وأعمالها)) ([1]) .

وبهذا يتبين ان كل ماصدر من اراء مختلفة للمؤرخين والجغرافيين حول حدود الزاب يعود إلى الأسباب السياسية بحسب ضعف وقوة الدولة على المنطقة، فالمجال الجغرافي يضيق ويتّسع حسب الفترة التاريخية وحسب قوة الدولة، لكن من الناحية السياسية يكون اقليم الزّاب في معظم الفترات التاريخية تابعا للسلطات الموجودة في افريقية (تونس) . ويبدو أن التقسيم الرّاجح لدى المعاصرين يرى أن بلاد الجريد خارج نطاق منطقة الزّاب، بل هو إقليم قائم بذاته وعاصمته قسطيلية وتبعا لذلك تتحدّد الحدود الشرقية لمنطقة الزّاب على تخوم بلاد الجريد ([2]) .

والنتيجة ان العديد من المصادر التاريخية وكتب الرحالة وكتب الجغرافية وضحت تسمية الزاب بحيث تجعل إقليم الزاب واحد من أهم أقاليم بلاد المغرب فهذا المجال الجغرافي الشاسع والذي عرف قديما باسم إقليم نوميديا حدثت فيه أحداث تاريخية خاصة بعد الفتوحات الإسلامية ،كما انه لم تستقر له عاصمة خلال تلك الفترة من العصر الوسيط ذلك نظراً للحالة السياسية للبلاد حيث تغيرت عواصمه عدة مرات بدأ من أدنه ،ثم طبنة ثم المسيلة ثم قلعة بني حماد وأخيراً مدينة بسكرة بعد تقلص مساحة الإقليم لتشمل قرى بسكرة فقط ([3]).

كما قسم العديد من المؤرخين بلاد الزاب إلى ثلاث أقسام ومناطق متصلة فيما بينها ووهي : الزاب الظهراوي : يشمل : طولقة ، ليشانة ([4])، فرفارة ([1]) ، بوشقرون ، فوغالة ([2]) .

---

[1]) المراكشي، المعجب ، ص104 .

[2]) الهطاي ، الجغرافية التاريخية ، ص55 .

[3]) جعيل ،حواضر إقليم الزاب الكبرى ، ص337 .

[4]) ليشانة : توجد بها آثار لتحصينات عسكرية رومانية ،منها برج للحراسة وآبار تستعمل للشرب والسقاية . -

الزاب الغربي :من أهم قراه : ليوة ،الصحيرة ،المخادمة، بنطيوس ،أوماش([3]) ،دوسن ،مليلي أورلال ، بادس ([4]) .

الزاب الشرقي: أهم قراه ،سيدي عقبة ،الدروع ،سيدي خليل ([5]) .

---

[1]) فرفارة : هي واحة بمنطقة الزيبان تقع بالقرب من واحة طولقة وواحة ليشانة ،ينظر: الطاهر الطويل ،المرجع السابق ،ص 140 .

[2]) العربي ، الصحراء الكبرى ، ص 143

[3]) المرجع نفسه ، ص 143.

[4]) الطويل، المدينة الإسلامية ، ص 107.

[5]) العربي، الصحراء الكبرى ،ص 143.

الفصل الأول

الأوضاع السياسية والعسكرية في بلاد الزاب

المبحث الأول

بداية الفتح الاسلامي والعصر الاموي

تعددت حملات الفاتحين العرب على بلاد المغرب وكانت أول حملة بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي السرح ([1]) الذي حقق انتصار في معركة سبيطلة ([2]) قرب مدينة سبيطلة ([3]) وذلك حينما كانت بلاد المغرب تحت السيطرة البيزنطية وقد جهزت حملة ثانية سنة 45 هـ/ 665 م بقيادة معاوية بن خديج ([4]) والذي تمكن من فتح عدة مناطق وثغور الافريقية ([5]) ، ثم تأتي بعدها حملة عقبة بن نافع ([6]) وحملة أبو

---

[1]) عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث القرشي ألعامري يكنى أبا يحيى، اسلم في عهد النبي ثم ارتد واهدر النبي دمه يوم فتح مكة فأجاره عثمان بن عفان ، شهد تحرير مصر وكان قائد الميمنة في الجيش الذي كان يقوده عمرو بن العاص، تولى مصر في عهد عثمان ،أعتزل الناس بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان فسكن عسقلان وبها توفي سنة 36هـ/ 656م. الصدفي ، تاريخ أبن يونس، ق1 ص269؛ ابن سعد ، الطبقات، ج 7، ص195؛ النووي ، تهذيب الاسماء واللغات ، ج، ص169، ؛ أبن عساكر، تاريخ دمشق، ، ص36؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء:ج 3، 33.

[2]) ابن اعثم ، كتاب الفتوح ، ج2 ، 357 ، ابن عبد الحكم ، فتوح افريقية ، النويري ، نهاية الارب ،ج 20 ، ص 259 ؛ مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص74-107 ، بعزاوي ، الحياة السياسية في المغرب العربي في العصر الاموي ، ص50-56 ، مطلوب ، دور ولاة مصر في تحرير المغرب العربي ، ص57-80 .

[3]) سبيطلة : مدينة من مدن افريقية كانت مقر الحاكم جرجير الرومي ، ملك الروم الأفارقه وكانت من أحسن البلاد منظرا وأكبرها قطرا وأكثرها مياها وأعدلها هواء وأطيبها ثرى وكانت بها بساتين وجنات افتتحها المسلمون في صدر الإسلام وقتلوا ملكها جرجيس ومنها إلى مدينة قفصة مرحلة وبعض ، وبينها وبين القيروان ، سبعون ميلاً. الإدريسي، نزهة المشتاق،ص184. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج 3،ص 187 .

[4]) معاوية بن خديج : هو معاوية بن خديج بن جفنة بن قتيرة بن عبد شمس بن معاوية بن جعفر بن سعد وقيل: الكندي، وقيل: الخولاني، وقيل: التجيبي شهد فتح مصر غزى افريقية ثلاث غزوات وغزا النوبة فأصيبت عينه هناك وأصبح أعورا ،ينظر :ابن الاثير ، أسد الغابة ، ج 4 ، ص 383 .

[5]) الثعالبي ، تاريخ شمال افريقيا ، ص 30 .

[6]) عقبة بن نافع : من اشهر قادة فتح المغرب ، ولد قبل هجرة النبي (ص) بسنة واحدة ، اختلفت المصادر في صحبته للنبي (ص) ، اشترك في فتوح مصر وافريقية منذ عهد عمرو بن

مهاجر دينار([1]) سنة 55 هـ / 675م وكلها كانت سببا في انتشار الإسلام بالمغرب ، وكان أبو المهاجر بن دينار مملوك لمسلمة بن مخلد الأنصاري والي مصر الذي عينه معاوية بن أبي سفيان وتعددت الأقاويل عن أصوله المختلفة ربما كان من أصل قبطي أو عربي عينه معاوية بن أبي سفيان ، وبدوره ولى على إفريقية ([2]) أبو المهاجر دينار وعزل عقبة بن نافع فدخلها سنة 55هـ ونزل القيروان ثم قام ببناء مدينة أخرى سماها تاكروان إنتقل إليها. توجه بالفتح إلى المغرب الأوسط[3] واتخذ من مدينة بسكرة مركزا له وقاعدة لعمله الكبير ومدينة بسكرة مركز بلاد الزاب وقاعدته ، ومن بين معالم هذه السياسة كسبه كسيلة ([4]) بن لمزم زعيم قبيلة أوربة البربرية البرنسية إلى صف المسلمين، ومن ورائه قبيلته وكسر التحالف الذي كان بينهم وبين البيزنطيين، وذلك من خلال انتهاج سياسة اللين والمهادنة، والأمر الأهم أنه أول قائد مسلم تطأ أقدامه بلاد المغرب الأوسط وقام بحملة إلى ميلة([5]) وأخرى إلى تلمسان. وقد حقق إنجازات عسكرية كبيرة منطلقاً من بلاد الزاب الى ان عزله يزيد بن معاوية عن إفريقية وأعاد عقبة بن نافع واليا عليها في عام(62هـ-681م) ([6]).

العاص ، حتى تولى افريقية سنة 50هـ / 670م ، وبقى مستمراً في الفتوح حتى مقتله سنة 64هـ / 684م ، ابن حزم ، جمهرة ، ص177 - 178 ، ابن الاثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ج ، ص430 ، الذهبي ،اعلام النبلاء ، ج 3، ص49 ، الدباغ ، معالم الايمان ،ج 1 ، ص 128 .

[1]) أبو المهاجر دينار : هو مولى مسلمة بن مخلد أصبح أميراً على افريقية من سنة - 55هـ ، واستمر على ولايتها مدة سبع سنوات تنتهي بسنة 62هـ أي بعودة عقبة بن نافع الى افريقية ،ينظر :حسين مؤنس ،فتح العرب للمغرب ،ص 185 .

[2]) افريقية : اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة ، قبالة جزيرة صقلية ، وينتهي اخرها إلى قبالة جزيرة الاندلس ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج228/1 ، الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، ص47 .

[3]) وسمي بالأوسط لكونه يتوسط المغربين الأدنى والأقصى ، وحدود هذا الإقليم من بجاية حتى وادي ملوية وجبال تازة ، وقاعدته مدينة تلمسان ، وكانت عاصمته تتغير بفعل تغير الدول التي تسيطر عليه . ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (العبر) ، ج6، ص202.

[4]) كسيلة : هو من أكابر البربر كان قد أسلم في ولاية أبن مهاجر ،وحسن اسلامه ،ينظر النويري ،نهاية الأرب في فنون ،ج 24 ،ص 16 .

[5]) مدينة ميلة: مدينة قديمة قريبة من مدينة بجاية، عامرة، كثيرة الخيرات ويحيطها سور متين. البكري: المغرب، ص63؛ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج1 ، ص94؛ الأستبصار، ص166.

[6]) ابن خلدون ، العبر، ج ٣ ، ص ١٣٥.

مع حملة عقبة بن نافع الثانية سنة 62هـ / 682 م يعتبر المؤرخون ان خضوع بلاد الزاب بدأ بتلك الفترة ، إذ أن عقبة بن نافع كان يعلم أهمية بلاد الزاب جهز عقبة جيشًا قوامه بين 10 آلاف ([1])،و15 ألف جندي([2])، واستخلف زهير بن قيس البلوي([3]) على القيروان ([4]) ، وخرج للغزو. فزحف عقبة إلى الجريد أولًا، وفتحها فتحًا ثانيًا، كما فتح حصن لميس ومدينة باغانة حيث دار قتالٌ عنيفٌ مع الروم انتهى بانتصار المسلمين وحصولهم على الكثير من الغنائم. كذلك، صالح عقبة أهل فزان، وتابع تقدمه غربًا نحو الزاب اتجه عقبة الى بلاد الزاب وقصد عاصمتها المسيلة واصطدم مع الروم في وادي المسيلة وهزمهم([5])

فتفرق البيزنطيون ومن بقي في خدمتهم من المغاربة من امامه ولجأوا الى الحصون والجبال [(6)]. فأستولى العرب بقيادة عقبة على بلاد الزاب وزال نفوذ البيزنطيون منها وهو ما عبر عنه المؤرخون بقولهم : " ذهب عز الروم من الزاب وذُلوا أخر الدهر " [(7)].

وعندما ايقن البيزنطيون ان لا قبل لهم بمواجهة عقبة استغاثوا ببقية البربر [(8)]، الذين اجابوهم وناصروهم [(9)].

---

[1]) المالكي، رياض النفوس ، ج1. ص. 22.

[2]) نصر الله ، تاريخ العرب السياسي في المغرب ، ص 41.

[3]) **زهير بن قيس البلوي** نسبة إلى بلي قبيلة من قضاعة أبو شداد قائد مسلم له صحبة . شهد فتح مصر تحت لواء عمرو بن العاص. استخلفه عقبة بن نافع على القيروان ولما قتل عقبة في حربه مع الروم وجيش كسيلة فخرج زهير من القيروان وأقام في برقة ، الى ان جاءه المدد من عبد الملك بن مروان فهزم كسيلة وقتلة في معركة ممس وقفل راجعا فألتقاه الروم على الساحل وقتل سنة 76هـ على ساحل درنة . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص110 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٩،ص ٢٢ ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج ١٩ ، ص 114 .

[4]) ابن عذاري، البيان المغرب ، ج 1. ص 23.

[5]) المالكي ، رياض النفوس ، ج1 ، ص23 .

([6]) الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب ، ص41 ؛ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج1 ، ، ص24 .

([7]) المالكي ، رياض النفوس ، ج1 ، ص23 ؛ الرقيق القيرواني ، تاريخ أفريقية ، ص43؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج1 ، ص24 .

([8]) المالكي ، رياض النفوس ، ج1 ، ص23.

([9]) الرقيق القيرواني ، تاريخ أفريقية ، ص45 ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج4 ، ص53 .

وقام عقبة بمحاصرة قلعة مجانة ([1])، وقاتل أهل باغاية خارج حصنهم حتى هزمهم ثم انتقل إلى المس وهزم أهلها خارج الحصن، وانطلاقا من هذه النقطة دخل بلاد الزاب بعد أن سأل عن أعظم مدائنها فأخبر أنها أذنة، وقد خاض معركة كبيرة على بعد ثلاثة أميال منها على وادي سهر([2]) .

ورغم الغنائم الكثيرة التي تمكن من جمعها إلا أن انتصاراته لم تكن حاسمة، وقد وقد اتفق المؤرخون على ان عقبة كان يقاتل البيرنطيين إلى أبواب حصونهم لكنه يكره المقام على حصارها فيرحل([3]).

وفتح أذنة والتي عرفت على أنها حاضرة بلاد الزاب خلال الفتح الإسلامي للمنطقة خلال القرن الهجري الأول وبعد عودة عقبة لبلاد المغرب ثانية سنة 62هـ ، أشرف على بلاد الزاب ((فسأل عن أعظم مدائنهم قدرا فقالوا : مدينة يقال لها أذنة ، ومنها الملك وهي مجمع ملوك الزاب ، وكان حولها ثلاثمائة وستون قرية وكلها عامرة)) ([4]) . وكانت قاعدة بلاد الزاب وأعظم مدن الزاب من ناحية القوة العسكرية المتواجدة بها، والمكونة من الروم والبربر القاطنين بها ومن حولها ،وبعد أن قاتله ملوكها من البربر فهزمهم ([5]) .

وكذلك الحال مع طبنة فلم يستطع عقبة بن نافع من السيطرة على المدينة، ويكون بسبب حصانة هذه المدينة ، وتموضع البيزنطيين فيها، كما حدث في الكثير من الحصون والتي رأى انها كانت ستعطل حملاته المتسارعة، وفوق ذلك القلعة المستطيلة والتي هي جزء من المدينة، كانت في حد دائما محرما لكل المدينة، فأبراج المراقبة الثمانية المحيطة بما تكون قد لفتت انتباه عقبة وأجبرته على عدم التفكير في محاصرتها خوفا من استهلاك الكثير من الوقت في إسقاطها، مفضلا

---

[1]) مجانه : مدينة كبيرة من افريقية ذات سور ، وتكثر فيها المعادن ، البكري ، المغرب ج ، ج5 ،ص 25 .

[2]) المالكي ، رياض النفوس ، ج1 ، ص36 .

[3]) المصدر نفسه ، ج1 ، ص36 - 37.

[4]) الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية و المغرب ، ص11 .

[5]) ابن خلدون ، العبر ، ج4 ، ص237 .

التوجه لفتح باقي المدن في بلاد الزاب وهناك تفسير اخر، أشار إليه حسين مؤنس في معرض حديثه عن حملات عقبة في بلاد الزاب حيث أكد أن عقبة: ((كان يخشى أن يفاجأ بعزل جديد فعجل. قد يكون سارع في مد حملاته بعيدا عن خاصرة هذه الحصون المحروسة قلاعها)) ([1]).

الا ان الاتصالات عادت بين بيزنطة والمغاربة فأخذوا يفكرون في سبيل للمقاومة ، ووجدوا في البربر عوناً صادقاً على مناهضة العرب وردهم ، فتشجعوا وتوغلوا - بمعاونة البربر - إلى باغاية ولمبيزة ، حيث استطاعوا أن يحصنوا هذه المدائن أمام العرب ويمكنوها من مقاومة الحصار الطويل ([2]).

أفضى عقبة إلى الزاب وبهذا خرج من شدة الهضبة ووعورتها إلى إقليم كثير الوديان والزروع والعمران ، تنتشر فيه القرى التي تذكر المراجع أن عددها كان ثلاثمائة وأن أكبرها كانت تسمى أربة ، ويبدو أن عقبة لم يوفق في الاستيلاء على مدينة صغيرة والتي تدل الدلائل على أنها لم تكن إلا محرساً صغيراً قديماً ، هجره الروم منذ زمن طويل فيقول ابن الأثير :

((فسار إلى بلاد الزاب وهي بلاد واسعة فيها عدة مدن وقرى كثيرة ، فقصد مدينتها العظمى واسمها أربة فامتنع بها من هناك من الروم والنصارى ، وهرب بعضهم إلى الجبال فاقتتل المسلمون ومن في المدينة من النصارى عدة دفعات ، ثم انهزم النصارى وقتل من فرسانهم ورحل إلى تاهرت([3])))[4] .

ويذكر مقديش : ((حتى انتهى إلى باغاية والرّوم يهربون بين يديه يمينا وشمالا، فحاصرها وقد اجتمع بها الرّوم، فقاتلهم وحاصرهم أشدّ القتال ، ثم انهزم عدوهم فقتلهم قتلا ذريعا وغنم أموالهم، ثم كره أن يقيم عليهم، فرحل عنهم ونزل

---

[1]) مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص20 .
[2]) المرجع نفسه ، ص20 .
[3]) تاهرت : مدينة في المغرب الاوسط (الجزائر الحالية) ، تبعد عن المسيلة ، اربع مراحل ، وبينها وبين البحر ، اربع مراحل ، الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج 1 ،ص 255 .
[4]) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج3 ، ص206.

على تلمسان([1])، وهي من أعظم مدائنهم، وانضم إليها من حولها، فخرجوا إليه في عدد لا يحصى ولا يعلم عددهم إلاّ الله، فقاتلهم حتى ظن المسلمون أنه الفناء، فضرب الله في وجوه الرّوم، فقاتلهم إلى باب حصنهم، وأصاب الناس منهم غنائم كثيرة، ثم كره المقام عليهم، فرحل يريد الزّاب، فسأل عن أعظم مدائنه فقيل له مدينة يقال لها آذنة، وهي مدينة ملكهم، وكان حولها ثلاثمائة قرية، وستون قرية، كلها عامرة، فلما بلغهم قدوم المسلمين عليهم هربوا إلى حصنهم ، وهرب أغلبهم إلى الجبال والوعر ، ونزل واديا بينه وبينها ثلاثة أميال ، فلقوه عند الوادى وقت المساء ، فكره قتالهم فى الليل ، فوقف القوم ليلهم كلّه ساهرين ، فسماه الناس إلى اليوم «وادى سهر» فلما أصبح وصلى ، أمر بالقتال ، وكانت بينهم حرب ما رأوا قطّ ممن حاربوه ([2])، فلما قدم عقبة نزل على واد منها على ثلاثة أميال أو أكثر قليلا، فلقوه عند الوادي في وقت المساء، - وكان وقت نزوله - فكره قتالهم بالليل، فتواقف القوم الليل كله، لا راحة لهم ولا فترة ولا نوم فسماه الناس إلى اليوم وادي سهر، لأنهم سهروا عليه فلما أصبح عقبة صلّى الصّبح، ثم أمر المسلمين بقتالهم فقاتلوهم قتالا ما رآه المسلمون قط حتى يئس المسلمون من أنفسهم، ثم أعطاهم الله - عز وجل - الظفر، فانهزم الرّوم وقتل فرسانهم وأهل النّكاية والبأس منهم، واستولت الهزيمة على بقيتهم)) ([3]) .

بهذا يتضح تماماً أن هذه المقاومة الشديدة كانت مدبرة محكمة ، دبرتها أوربة بإشارة كسيلة وإرشاده ، و بالاتفاق مع الروم الذين أسرعوا لنجدة البربر في الزاب بعد أن أفلحوا في رد العرب عن باغاية ولمبيزة ، وربما كانوا يتتبعون عقبة خطوة خطوة ليطمروا الآبار فى طريقه ويكونوا على أهبة الهجوم حينما تسنح الفرصة . فرغ عقبة من سهل الزاب الخصيب وأخذ يرقى جزءاً من الهضبة قليل الارتفاع

---

[1]) تلمسان: وهما مدينتان متجاورتان مسورتان ،بينهما رمية حجر،احدهما قديمة والأخرى حديثة ،والحديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب ،واسمها تافرزت ،فيها يسكن الجند واصحاب السلطان واصناف من الناس ،واسم القديمة اقادير. ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج2، ص44.

[2]) الرقيق القيرواني ، تاريخ افريقية والمغرب ، ص43 .

[3]) مقديش ، كتاب نزهة ، ج1 ، ص214 .

كثير الشعاب والوديان والشطوط، فعبر نهر شلف واتجه إلى تاهرت حيث سارع الحلف الرومي البربري للوقوف في وجهه مرة ثالثة ، وكان في تاهرت حصن بيزنطي قديم، فلما بلغ الروم خبره استعانوا بالبربر فأعانوهم ونصروهم ، فقام عقبة وخطب فقام عقبة خطيبا على سيفه ، فقال : ((يا معشر المسلمين ، إنّ خياركم وأشرافكم السابقون منكم رضى الله عنهم ، بايعهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بيعة الرضوان على قتال من كفر بالله يوم القيامة فبيعوا أنفسكم من رب العالمين ، فإنكم داخلون فى تلك البيعة لكم وعليكم ما عليهم ، وأنتم ما وطئتم هذه البلاد إلّا طلبا لرضاه وغضبا أن يعبد شىء سواه ، فأبشروا فكلّما كثر كان أخزى لهم وأعز لدينكم وربّكم ليس يسلمكم ، فألقوه بقلوب صادقة ، جعلكم الله أولى بأسه الذى لا يردّ عن القوم المجرمين)) ([1]).

فالتحم القتال ، وصبر المسلمون ، ولم يكن للروم والبربر بقتالهم من طاقة ، فولّوا هاربين ، فقتلهم قتلا ذريعا ، وفر جميع الروم عن المدينة ، وقتلوا حيث أدركوا ، وغنم المسلمون ([2]) .

واستمر عقبة في طريقه يجتاح بلاد البربر وينزل بها من الأذى شيئاً كثيراً ، وأفزعها ذلك ودفع بأهلها إلى التفكير في الانتقام ، وشجعهم عليه قلة من مع عقبة من الجند وإهماله ما ينبغي اتخاذه من الحذر والحيطة في مثل غزوته تلك ، وأقبل الروم على المسلمين في إفريقية ، وأنشأ كسيلة يتصل بهم ويرشدهم إلى ما يجب اتباعه ، ويؤيد هذا ابن الأثير الذي يذهب إلى أن الروم كانوا يراسلون كسيلة ((فلما كان الآن ورأي الروم قلة من مع عقبة فأرسلوا إلى كسيلة وأعلموه حاله وكان في عسكر عقبة مضمرا للغدر وقد أعلم الروم ذلك وأطمعهم فلما راسلوه أظهر ما كان يضمره وجمع أهله وبني عمه وقصد عقبة))([3]).

---

[1]) الرقيق القيرواني ، تاريخ ، ص42 .
[2]) المصدر نفسه ، ص42.
[3]) ابن الاثير ، الكامل ، ج4 ، ص107.

لقد ارتبط عقبة بالزاب ارتباطاً وثيقاً ورسمت له نهايته اذ ان ماقام به في الزاب وأثناء حملته في المغرب الأقصى وثيق الصلة بعودته إليها مرة أخرى، فالشدة التي اتسم بها في معاملة الأهالي وإساءته معاملة زعيم من زعمائهم وهو كسيلة كانت لابد ان تؤلبهم عليه ، فما ان اكمل عقبة فتح المغرب وعودته الى القيروان وبلوغه مدينة طبنة من بلاد الزاب ، صرف جل عساكره إلى القيروان حتى بقي في قلةٍ من جنده[1] يقدر عددهم بحوالي 300 رجل فقط ([2]) .فاستغل كسيلة ذلك للثأر من المسلمين، واتصل بالروم والفرنجة وحشد منهم ومن قبائل البربر غير المسلمة جيشًا قوامه خمسون ألف مقاتلٍ تقريبًا، واعترض عقبة ومن معه عند تهودة في الزاب جنوب جبال الأوراس . فلما رأى عقبة جيش العدو أيقن بالنهاية، نزل هو والجنود عن خيولهم وكسروا أغماد سيوفهم كي لا تعاد فيها. وسرعان ما اشتبك عقبة ورجاله مع جيش كسيلة في معركةٍ غير متكافئة، فقتل عقبة وأبو المهاجر وأغلب الجيش، ووقع في الأسر قلة منهم محمد بن أوس الأنصاري ويزيد بن خلف العبسي، افتداهم ابن مصاد البربري المسلم صاحب قفصة، وأرسلهم إلى زهير بن قيس البلوي نائب عقبة على القيروان([3]) .

ومن النتائج السيئة لهذه المعركة خروج المسلمين ليس فقط من بلاد الزاب بل من بلاد المغرب كاملة، بعد ان خاضوا معرك ضارية مدة اربع عقود لغرض السيطرة عليها ([4]) .

ورغم . ذلك فقد خلفت حملة عقبة أمورا عدة استفاد منها المسلمون في المرحلة التي أعقبت وفاته، فقد اتخذت الفتوح منحى آخر لما ولي عبد الملك بن مروان ذكر عنده من بالقيروان من المسلمين وأشار عليه أصحابه بإنفاذ الجيوش إلى أفريقية لاستنقاذهم فكتب إلى زهير بن قيس البلوى بولاية إفريقية وجهز له جيشا كثيرا

---

[1]) المالكي، رياض النفوس ،ج1 ، ص25 .

[2]) أبو العباس ؛ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 1.ص. 132. ؛ ابن عبد الحكم، عبد الرحمن فتوح مصر والمغرب، ج 1، ص. 226.

[3]) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج3، ص. 309.

[4]) النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج24 ، ص32 .

فسار سنة تسع وستين إلى أفريقية. بعد أن أرسل عبد الملك بن مروان(65- 86هـ) المدد من الشام وأضاف إليه أموال مصر فبلغ خبره إلى كسيلة فاحتفل وجمع وحشد البربر والروم وأحضر أشراف أصحابه وقال ((قد رأيت أن أرحل إلى ممش فأنزلها فإن بالقيروان خلقا كثيرا من المسلمين ولهم علينا عهد فلا نغدر بهم ونخاف إن قاتلنا زهيرا أن يثب هؤلاء من ورائنا، فإذا نزلنا ممش أمناهم وقاتلنا زهيرا فإن ظفرنا بهم تبعناهم إلى طرابلس وقطعنا أثرهم من إفريقية وإن ظفروا بنا تعلقوا بالجبال ونجونا فأجابوه إلى ذلك)) ([1]) .

ورحل إلى ممش وبلغ ذلك زهيرا فلم يدخل القيروان بل أقام ظاهرها ثلاثة أيام حتى أراح واستراح ورحل في طلب كسيلة فلما قاربه نزل وعبي أصحابه وركب إليه فالتقي العسكران واشتد القتال وكثر القتل في الفريقين حتى أيس الناس من الحياة فلم يزالوا كذلك أكثر النهار ثم نصر الله المسلمين وانهزم كسيلة وأصحابه وقتل هو وجماعة من أعيان أصحابه بممش وتبع المسلمون البربر والروم فقتلوا من أدركوا منهم فأكثروا وفي هذه الوقعة ذهب رجال البربر والروم وملوكهم وأشرافهم وعاد زهير إلى القيروان ([2]) .

وأما المالكي فيذكر أن زهير أقام في القيروان وكسيلة هو من زحـــف إليها بجيش البربر والروم، فلما رأى القائد العربي ذلك هادن الروم لتوافق الحملة مع عيد الأضحى و أيام يعظمونها كونهم مسيحيين فقبلوا الهدنة ([3]).

وكان قد بلغ الروم بالقسطنطينية مسير زهير من برقة إلى إفريقية لقتال كسيلة فاغتنموا خلوها فخرجوا إليها في مراكب كثيرة وقوة قوية من جزيرة صقلية وأغاروا على برقة فأصابوا منها سبيا كثيرا وقتلوا ونهبوا ووافق ذلك قدوم زهير من إفريقية إلى برقة فأخبر الخبر فأمر العسكر بالسرعة والجد في قتالهم ورحل هو ومن معه وكان الروم خلقا كثيرا فلما رآه المسلمون استغاثوا به فلم يمكنه الرجوع

---

[1]) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص108.
[2]) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص108- 109
[3]) المالكي ، رياض النفوس ، ج1 ، ص39 .

وباشر القتال واشتد الأمر وعظم الخطب وتكاثر فأشتبك معهم مع قلة عدد جنده فقتلوا زهيرا وأصحابه ولم ينج منهم أحد وعاد الروم بما غنموا إلى القسطنطينية ([1]).

ولما سمع عبد الملك بن مروان بقتل زهير عظم عليه واشتد ثم سير إلى إفريقية حسان بن النعمان الغساني ([2]) ، فلما ورد القيروان تجهز منها وسار إلى قرطاجنة ([3]) وكان صاحبها أعظم ملوك إفريقية ولم يكن المسلمون قط حاربوها فلما وصل إليها رأى بها من الروم والبربر ما لا يحصى كثرة فقاتلهم وحصرهم وقتل منهم كثيرا، فلما رأوا ذلك اجتمع رأيهم على الهرب فركبوا في مراكبهم وسار بعضهم إلى صقلية وبعضهم إلى الأندلس ودخلها حسان بالسيف فسبى ونهب وقتلهم قتلا ذريعا وأرسل الجيوش فيما حولها فأسرعوا إليه خوفا فأمرهم فهدموا من قرطاجنة ما قدروا عليه ([4]).

ثم التقى حسان بالكاهنة ([5]) وهي زعيمة البربر آنذاك فلما قاربها هدمت حصن باغاية ظنا منها انه يريد الحصون فلم يعرج حسان على ذلك وسار إليها فالتقوا على نهر نيني واقتتلوا أشد قتال رآه الناس فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير وانهزم

---

[1]) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص110 .

[2]) حسان بن النعمان :هو حسان بن النعمان بن عدي بن بكر بن مغيث بن عمرو بن عامر بن الأزد قدم إلى إفريقية في عسكر عظيم فلم يدخل المسلمون قط افريقية بمثل ما دخلها حسان بن النعمان ،ينظر :ابن عذارى ،البيان، ج1 ، ص 34 .

[3]) قرطاجنة ، اسم هذه المدينة قرطا ، واضيف اليها جنة لطيبها ونزهتها وحسنها وهي بلد قديم من نواحي افريقية وهناك مدينة اخرى بالاندلس خربت لان ماء البحر استولى على اكثرها . ينظر: ياقوت الحموي ، البلدان ،ج 4، ص333 .

[4]) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص369.

[5]) الكاهنة داهية: وهي بنت ماثية بن تيفان ويذكر انها كانت على دين اليهودية، وكانت تلقب بملكة جبال أوراس خلفت الملك كسيلة في حكم البربر وحكمت شمال أفريقيا مدة خمس وثلاثين سنة كانت مدينة ماسكولا (خنشلة الجزائرية الان) في الأوراس عاصمتها . ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص11؛ بن عذارى ، البيان ، ج1 ، ص 36 ؛ طقُّوش ، تاريخ الدولة الأُمويَّة ، ص 95.

حسان وأسر جماعة كثيرة أطلقتهم الكاهنة سوى خالد بن يزيد القيسي وكان شريفا شجاعا فاتخذته ولدا([1]) .

وسار حسان حتى فارق أفريقية وأقام وكتب إلى عبد الملك يعلمه الحال فأمره عبد الملك بالمقام إلى أن يأتيه أمره فأقام بعمل برقة خمس سنين فسمي ذلك المكان قصور حسان إلى الآن وملكت الكاهنة أفريقية كلها وأساءت ([2])، ثم سير إليه عبد الملك الجنود والأموال وأمره بالمسير إلى أفريقية ، وسار حسان نحوها فالتقوا واقتتلوا واشتد القتال وكثر القتل حتى ظن أنه الفناء ثم نصر الله المسلمين وانهزم البربر وقتلوا قتلا ذريعا وانهزمت الكاهنة ثم أدركت فقتلت ([3]) .

وبموت الكاهنة سنة 82هـ / 701م تسقط آخر القلاع البربرية التي تتحصن بها بلاد الزاب، وخضعت بسكرة وهي كبرى مدن الزاب للفاتحين العرب بعد هزيمة انصار الكاهنة وكسيلة ([4]) على يد حسان بن النعمان وذلك بمقاومة عنيفة تمكن حسان من القضاء عليهم سنة82هـ/ 701 م ([5]) .

واما طبنة فمن المرجح وهي مركز الزاب انذاك قد تم الفتح الإسلامي لها على يدي موسى بن نصير([6]) في حملته على بلاد المغرب([7]) .

وعلى وجه العموم نقول أن المدينة افتتحت في أواخر القرن الاول الهجري السابع الميلادي، بعد أن تمكن موسى بن نصير من دفع عامل المدينة المعروف بكسيلة – وهو غير كسيلة الأول – إلى ان يهرب ويترك المدينة بدون دفاعات

---

[1]) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 4 ، ص370 .
[2]) المصدر نفسه ، ج4 ، ص371 .
[3])المصدر نفسه ، ج4 ، ص372 .
[4]) ابن خلدون ، العبر ،ج 7 ،ص 12 .
[5]) الثعالبي، تاريخ شمال افريقيا ، ص 69.
[6]) موسى بن نصير : ابو عبد الرحمن ، موسى بن نصير بن زيد تابعي ، اختلفت المصادر في تحديد اصله ، والراجح انه من لخم ، من القادة الفاتحين في المغرب والاندلس ، ولد سنة 19هـ / 641م ، وتوفي سنة 97هـ ، 716م ، ينظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج5 ، ص318 -329.
[7]) ابن خياط ، تاريخ ، ص281

لاسيما بعد ان خذله البيزنطيون ولم يمدوه بالمساعدة بسبب انصرافهم عن المنطقة بعد تصفية قاعدتهم الكبرى بأفريقية أيام حسَّان بن النعمان أما من بقي من سكان المدينة من بربر وأفارقة فقد نزلوا عند حكم المسلمين وبالتالي قبلوا بالانضواء تحت سلطة ونفوذ الولاة العرب ([1]) .

وبفتح المدينة تأكدت السيادة العربية على تلك المناطق، ونظمت المدينة إلى مجموعة القواعد العسكرية التي يمكن أن ينطلق منها المسلمون لتوسيع آفاق الفتح إلى ما وراء المغرب الأوسط، وذلك على مستوى كل من المغرب الأقصى وبلاد الأندلس فيما بعد .

لكن مصطلح الفتح هنا يعني الاستحواذ على المنطقة فقط، ولا يعني إطلاقا اعتناق كامل للإسلام من قبل الجماعات المحلية من البربر ورواسب الجماعات غير البربرية، ونقصد بهم بقايا الجماعات المسيحية وغير المحلية من مخلفات الموروث الروماني ، بل ان البعض من المؤرخين يرى ان هناك فاصل بين الفتح والدعوة يذكر أحمد الزاهد في كتابه "الغزو العربي لشمال إفريقيا" أن "الواقع أن المؤسسة العسكرية أثناء حملات الفتح طغت بشكل رهيب على مؤسسة الدعوة، وهذا يتناقض بطبيعة الحال مع مفهوم الفتح وجوهره وشروطه وقوانينه وأخلاقياته التي برزت بشكل واضح في عهد الرسول ومن بعده الخلفاء الراشدين" ([2]) .

ورغم عدم توافر نصوص تاريخية أمازيغية موازية للنصوص العربية التي أرّخت لفتوحات المغرب، إلا أن بعض الباحثين بنوا رأيهم على العديد من الإشارات والأدلة التي تناثرت في بطون السجلات والحوليات الإسلامية، من ذلك أن أخبار غنائم المغرب احتلت مساحة كبيرة في نصوص المؤرخين المسلمين ([3]).

---

[1]) موسى لقبال، طبنة مدينة الزاب ، ص 88.
[2]) الزاهد ، الغزو العربي لشمال إفريقيا ، ص26 .
[3]) المصدر نفسه، ص28 .

منذ تولي الآمويون للسلطة في المشرق ، يكون الحكام الجدد قد قرروا مواصلة الفتوحات الإسلامية التي بدءها من سبقهم ببلاد المغرب([1]) ، الا ان الأمور لم تكن هينة فقد استلزم الامر أكثر من سبعين سنة من الحملات والعمليات العسكرية المتوالية الى ان استطاعت فيها الجيوش التي أرسلها الامويون إخضاع كامل بلاد افريقية والمغرب الإسلامي عموما لسلطتها، متخذة القيروان أساس سلطتها المركزية بالمنطقة ([2]) .

إن هذه التحولات في الميدان العسكري تبعها تقسيم اداري للمنطقة سهل للامويين سهولة حكم الجماعات المحلية من جهة ([3]) ، وكذلك استكمال تعريب واسلمة ([4]) ، السكان الأصليين للمغرب (البربر) وغير الاصليين ممثلا في بقايا المجتمع البيزنطي في المنطقة ([5]) .

وبالتالي فما بعد 96 هـ / 714 م، انخرطت بلاد الزاب تدريجيا في الفلك السياسي للدولة الآموية، وتصبح بذلك مقاطعة إدارية أموية ([6]) ، برزت فيه تحولات مجالية اتسم بالقطيعة مع الماضي المحلي الروماني القديم، سيتحول فيه مركز ثقل بلاد الزاب من العاصمة القديمة سرتا (قسنطينة) إلى قاعدتها الجديدة ممثلة في طبنة الزاب ([7]) .

إن أول إشارة لمقاطعة الزاب في العصر الاموي قد سُطرت في كتاب المؤرخ خليفة بن الخياط (ت240هـ / 854 م) حين تحدث عن الأوضاع المذهبية السياسية في المنطقة بعد ظهور امارات سياسية تعارض الخلافة الأموية في بلاد الشام ،

---

[1]) المالكي، رياض النفوس ، ج1، ص 32

[2]) علاوة عمارة، انتشار المذهب المالكي ، ص 127 .

[3]) الطويل، المدينة الإسلامية ، ص 102 – 103 .

[4]) لقد ذكر صاحب البيان المغرب أن الفاتحون الأمويين قد ساهموا بقسط وافر في نشر اللغة العربية والإسلام خلال فترة فتوحاتهم، ويذكر أن موسى بن نصير قد ترك سبعة عشر رجلا من العرب يعلمون البربر القرآن وشرائع الإسلام، وبالمثل كان قد فعل عقبة بن نافع الفهري أين ترك في حملاته بعضا من أصحابه منهم شاكر صاحب الرباط وغيره، ينظر: ، ج1، ص 42.

[5]) علاوة عمارة، موقع تلمسان من كرونولوجية انتشار الإسلام ... ، ص22 .

[6]) علاوة عمارة، التحولات المجالية ،1 ، 2016، ص12.

[7]) جعيط ، تأسيس الغرب الإسلامي ق 2 هـ - 8م ، ص 123 .

حيث يظهر ابرز حدث في تلك الفترة (124هـ/ 741 م)، والمتمثل في انتشار المذهبين الصفري([1]) المدراري ([2]) ، والاباضي الرستمي ([3]) ، ليحتدم الصراع المذهبي - العسكري المباشر بين السلطة الآموية ممثلة في حاكمها بالقيروان وباقي المعارضة في تصارع كبير لبسط نفوذ كل جماعة على الساحة ببلاد الزاب وكل المغرب الإسلامي آنذاك ([4]) .

لجأ بعض الولاة إلى سياسة جباية الضرائب والسبي من أجل ارضاء الخلافة في المشرق وهذا أجج من حنق البربر المسلمين وأدى إلى خلق قابلية التمرد لديهم، في الوقت الذي فشت فيه النزعة الخارجية في افريقية والمغرب ولاقت شعاراتهم هوى في نفوس البربر([5]) .

فقد أورد محمد بن مدين في كتابه "الطرفة المليحة في أخبار المنيحة : أن موسى بن نصير أرسل للخليفة الوليد بن عبد الملك، بمئة ألف أسير عقب إحدى الغزوات المغربية، وهو ما تعجب له الخليفة ووصفه بمحشر الأمة ([6]).

وقيل كتب هشام إلى عامله على إفريقية : ((أما بعد فإن أمير المزمنين لما رأى ما كان يبعث به موسى بن نصير إلي عبد الملك بن مروان (رحمه الله تعالى) أراد مثله منك وعندك من الجواري البربريات الماليات للأعين الآخذات للقلوب ما

---

[1]) الصفرية هي فرقة من الخوارج تنسب الى زياد بن الأصفر ظهرت في المغرب الأقصى وسيطرت عليه، أبرز قادتها ميسرة المطغري، وتأسست لاتباع هذا المذهب دولة في سجلماسة تدعى دولة بني مدرار. الاشعري ، مقالات الإسلاميين ، ص 101 ؛ الشهرستاني ، الملل والنحل ،ج 1،ص137.

[2]) بني مدرار سلالة بربرية سيطرت على أجزاء من المغرب الأقصى واتخذت من سجلماسة عاصمة لها. كانت قائمة على مذهب الخوارج الصفرية. رغم أن الزعيم الروحي للإمارة هو أبو القاسم سمكو ، إلى أن أول حاكم فعلي هو عيسى بن يزيد الأسود الذي بويع في سجلماسة وحكمها مدة 15 سنة. ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج1،ص 206.؛ ابن خلدون ، العبر ، ج 6، ص 270؛ القبلي ، محمد ، تاريخ المغرب تحيين وتركيب، ص 155-156.

[3]) إبن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص356-355

[4]) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص 69؛ مجاني ، أثر العرب اليمنية في تاريخ بلاد المغرب ، ص58

[5]) ابن خياط، ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص 231 .

[6]) أبي مدين ، الطرفة المليحة في أخبار المنيحة ، ص52 .

هو معوز لنا بالشام وما والاه فتلطف في الانتقاء وتوخ أنيق الجمال وعظم الاكفال وسعة الصدور ولين الأجساد ورقة الأنامل وسبوطة العصب وجدًالة الاسوق وجثول الفروع ونجالة الأعين وسهولة الخدود وصغر الأفواه وحسن الثغور وشطاط الأجسام و اعتدال القوام ورخام الكلام ومع دلك فاقصد رشدة وطهارة المنشأ فإنهن يتخذن أمهات أولاد والسلام)) ([1]).

لقد ادت تصرفات بني امية وجيوشهم الى حنق البربر وتذمرهم ، حتى وصل الاختلاف بين الطرفين أن سعى البربر للتخلص من السلطة الاموية ، وفي المقابل يبدو أن الولاة كانوا على دراية بضرورة مواجهة ذلك بتوفير المستلزمات العسكرية وتأمين قواعد مهمة للمواجهة وتم اختيار مدينة طبنة لما توفره المدينة من امكانيات عسكرية هامة للتحصن والقضاء على حركات الخوارج التي احتضنها البربر ووجدوا بها متنفسا يستطيعون أن يردوا من خلاله على تجاوزات بعض الولاة ومظالمهم على البربر، وشهادة اليعقوبي هي أول ما أشار من تلك الكتابات الوصفية إلى مكانة طبنة الادارية اذ يقول ((:مدينة الزاب العظمى وهي التي ينزلها الولاة)) ([2]) .

وكان ابرز تهديد للسلطة الاموية هو ثورة عكاشة بن أيوب الفزاري([3]) و عبد الواحد بن يزيد الهواري ([4]) ليس في الزاب فحسب بل في المغرب كله ، وعلى ما يبدو فان ثورة الخوارج قد انعكست على اكثر من محور ، اذ كانت

---

[1]) التيجاني ، تحفة العروس ، ص176.

[2]) اليعقوبي، تاريخ، ص 16

[3]) عكاشة الفزاري : عكاشة بن ايوب الفزاري ، من قادة الخوارج الصفرية ، ثار في قابس ، بعد هزيمة العرب في بقدورة ، وحاول الاستيلاء على القيروان ولكنه قتل سنة 124هـ / 744م ، في معركة القرن على يد الوالي حنظلة الكلبي ، ينظر : ابن خياط ، تاريخ ، ص280 – 281.

[4]) عبد الواحد الهواري : عبد الواحد بن يزيد الهواري ، من زعماء هوارة وقادة الخوارج ، ارسله خالد الزناتي لمقاتلة اهل افريقية ، قتله الوالي حنظلة في وقعة الأصنام ، ينظر : ابن خياط ، تاريخ ، ص280 ، الرقيق ، تاريخ ، ص116 ، ابن خلدون ، العبر ،ج 6 ،ص142 .

قابس([1]) يسكنها الكثير من الخوارج الذين كانوا يهددون امن القيروان فقد خرج اليهم نائب كلثوم ([2]) في المدينة مسلمة بن سوادة الفهري([3])، ولكن مسلمة الفهري انهزم امام خوارج قابس وعاد إلى القيروان وتحصن فيها ، منتظرا قدوم الوالي الجديد لافريقية حنظلة بن صفوان ([4])، الذي ارسله الخليفة هشام بن عبد الملك سنة 124هـ / 742م([5])، وطلب منه اقرار الامور هناك([6])، فوصل حنظلة بقواته البالغة (30) ألف مقاتل ([7])، ثم امده الخليفة بقوات اضافية بلغت (20) ألف مقاتل ([8])، وبدأ حنظلة بالاستعداد لمواجهة حركة الخوارج الصفرية القادمة من المغرب الاقصى والاوسط باتجاه القيروان باعداد كبيرة([9])، وفي ظل هذه الظرف اتجهت نية الوالي حنظلة بن صفوان إلى حفر خندق حول مدينة القيروان لحمايتها والتحصن داخلها لحين وصول المدد من الخلافة في دمشق ([10]).

الا ان حاشية الوالي من الفهريين طلبوا منه الخروج لملاقاة البربر الثائرين خارج القيروان ([11])، فوافق حنظلة على هذا الرأي ([1])، فعمل على استكمال استعدادته العسكرية على اكمل وجه منتظرا فرصة الانقضاض على اعدائه([2]).

---

[1]) قابس : مدينة بافريقية تقع على بعد ستة مراحل من طرابلس من جهة القيروان ، ابن حوقل ، صورة الارض ، ص72 ، مجهول ، الاستبصار ، ص112 – 113

[2]) كلثوم بن عياض : كلثوم بن عياض بن بشير القشيري ، من كبار زعماء القيسية في الشام ، تولى ولاية افريقية بأمر الخليفة هشام سنة 123هـ / 741م ، وقتل في وقعة سبو أمام البربر ، ينظر : مجهول ، اخبار مجموعة ، ص35 .

[3]) ابن خياط ، تاريخ ، ص281 ، ابن عبد الحكم ، فتوح افريقية ، ص97 .

[4]) حنظلة بن صفوان : حنظة بن صفوان بن تويل بن بشر الكلبي . تولى افريقية سنة 124هـ / 742م من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك ، استطاع اخماد ثورات الخوارج ، وبقي في منصبه حتى سنة 127هـ / 745م ، عندما استولى عبد الرحمن بن حبيب على السلطة وابعده عنها ، لمزيد من التفاصيل ، ينظر الكندي ، الولاة والقضاة ، ص62 .

[5]) ابن خياط ، تاريخ ، ص285 ، ابن عبد الحكم، فتوح افريقية ، ص102 ، ابن الاثير ، الكامل ، ج4 ، ص 391 .

[6]) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص233

[7]) مجهول ، اخبار مجموعة ، ص30

[8]) المصدر نفسه .

[9]) ابن عذارى ، البيان ، ج1 ، ص56 ؛ عبد الحميد ، تاريخ المغرب ، ج1 ،ص 303

[10]) الرقيق ، تاريخ المغرب، ص116 ، ابن عذارى ، البيان ،ج 1 ، ص 58 .

[11]) الرفيق ، تاريخ ، ص 116 – 117

وجاءت الفرصة ، حين افترقت قوات البربر الثائرين من منطقة الزاب ([3])، إلى قسمين نتيجة الخلاف على منصب القيادة العامة ورغم هذا الخلاف بقي الهدف الرئيسي لهما وهو مهاجمة القيروان([4])، وسار كل منهما نحو هدفه من جهة معينة فقد سار القسم الاول باتجاه القيروان من طريق مجانة([5]) بقيادة عكاشة بن أيوب الفزاري، والقسم الثاني ، اتجه عن طريق الجبال في باجة ([6]) بقيادة عبد الواحد بن يزيد الهواري ([7]).

ان هذا الانقسام وفر للوالي حنظلة الكلبي الفرصة الثمينة ، اذ انه لم ينتظر وصولهم إلى القيروان فقرر مباغتهم فخرج لملاقاة قوات عكاشة التي عسكرت في منطقة القرن([8]) ، وهذا التحرك حقق له فرصة الانفراد بقوات عكاشة والتخلص منها قبل وصول الهواري إلى القيروان([9]) فلما قرب عكاشة خرج إليه حنظلة ولقيه منفردا واقتتلوا قتالا شديدا وانهزم عكاشة وقتل من البربر ما لا يحصى وعاد حنظلة إلى القيروان وقد اسفرت المعركة عن انتصار جيش الوالي حنظلة الكلبي ومقتل عكاشة بن أيوب الفزاري([10]) .

---

[1]) ابن عذارى ، البيان ،ص 1 ، ص 58 .

[2]) ابن عبد الحكم ، فتوح افريقية ، ص103

[3]) ابن خياط ، تاريخ ، ص280 ، ابن عبد الحكم ، فتوح افريقية ، ص103

[4]) ابن عبد الحكم ، فتوح افريقية ، ص103 ؛ عبد الحميد ، تاريخ المغرب ،ج1،ص 304.

[5]) مجانه : مدينة كبيرة من افريقية ذات سور ، وتكثر فيها المعادن ، البكري ، ، المغرب ، ص145 ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 5 ،ص 25

[6]) باجه : من مدن افريقية المشهورة ، وهي مدينة كبيرة تقع على الجبل بالقرب منها فحص قل المشهور بكثرة الزرع ، وهي ليست باجة الموجودة في البرتغال ، مجهول ، الاستبصار ، ص160 .

[7]) الرقيق ، تاريخ ، ص115-116 ، ابن الاثير ، الكامل ،ج 4 ،ص392 . النويري ، نهاية الارب ،ج 24 ، ص33 .

[8]) القرن : منطقة من ضواحي القيروان ، تعد اول قاعدة للعرب المسلمين ابان فتح المغرب ، ينظر ، البكري ، معجم ما استعجم ،ج 3 ،ص 105

[9]) ابن عبد الحكم ، فتوح افريقية ، ص103 .

[10]) ابن الاثير ، الكامل ،ج 4 ،ص 392 ؛ ابن عذارى ، البيان ،ج 1 ، ص 58 ، ابن ابي الضياف ، اتحاف ،ج 1 ، ص 90 .

وبهذا الانتصار الكبير الذي تحقق بفضل حنكة حنظلة الكلبي ، وحسن مشورة الفهريين للوالي ، ودورهم البارز في تحقيق هذا النصر ، تخلص اهل القيروان من احد الجيشين اللذين كانا يهددان المدينة ، فعاد حنظلة بقواته الظافرة إلى القيروان([1]) القيروان([1]) ، وبدا الاستعداد للجولة القادمة ، مع قوات عبد الواحد الهواري التي اتجهت إلى القيروان ، ويذكر ابن خياط ([2]) ، ان الهواري توجه إلى تونس واستولى واستولى عليها ، ومن هذه المدينة اتجه نحو القيروان بقواته التي ازداد عددها إلى (300) ألف مقاتل([3])

وتشير المصادر التاريخية إلى ان حنظلة بن صفوان اراد قطع الطريق على عبد الواحد فارسل قواته إلى باجة لايقاف تقدم قواته ، فاصطدم بقوة البربر ودخل في مناوشات استمرت مدة شهر دون ان يخوض معركة حاسمة معهم بسبب وعورة الارض وفي نهاية المطاف فشل حنظلة في تحقيق هدفه من اعاقة تقدم البربر([4]) . . فعاد بقية الجيش إلى القيروان ، فقام حنظلة وقادته الفهريين بالاستعداد لمواجه قوات عبد الواحد الزاحفة نحو القيروان ، اذ اعلن حنظلة مايشبه التعبئة العامة ، فجند كل الرجال القادرين على حمل السلاح ، ووزع الأسلحة عليهم([5]). ووزع حنظلة المراكز القيادية في جيشه فكان نصيب شعيب بن عثمان الفهري قيادة طلائع الجيش([6]) ، وقدر الرقيق([7])، عدد قوات حنظلة (20) ألف مقاتل ، ويلاحظ قلة العدد مقارنة بقوات البربر الثائرة .

وكانت جموعهم كبيرة لذلك رأى حنظله بمواجهة قوات عكاشة قبل اجتماعها مع قوات عبد الواحد والتقى مع قوات عكاشة بالقرن، وانتهت المعركة بهزيمة عكاشة

---

[1]) دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ،ج 2 ، ص 286.
[2]) تاريخ ، ص208 .
[3]) الرقيق ، تاريخ ، ص118 ؛ ابن الاثير ، الكامل ،ج 4 ،ص 392 .
[4]) عبد الحميد ، تاريخ ، ج1 ،ص 305 .
[5]) الرقيق ، تاريخ ، ص118 .
[6]) المصدر نفسه ، ص119 .
[7]) المصدر نفسه ، ص118 ، وينظر : ابن الاثير ، الكامل ،ج 4 ،ص 392 .

([1])، ثم استعد لمواجهة عبد الواحد الهواري ، الذي كان قد عسكر في منطقة الأصنام ([2]) ، حيث تمكن حنظلة من الوصول إلى المكان بشكل مفاجئ ، دون علم عبد الواحد بن يزيد الهواري([3]) .

وبدأت المعركة بين الطرفين بمبارزة فردية ([4])، ثم التحم الطرفان في معركة هائلة لم يشهد المغرب مثلها من حيث العدد والخسائر البشرية التي نتجت عن هذه المعركة ، والتي انهزم فيها البربر ووقع الهواري في الاسر ، فتمت تصفيته في القيروان([5]) .

وبعد هذه المعركة يبدء الولا ة المسؤولون عن أعمال المغرب الأوسط في الاهتمام بإعادة تنظيم بلاد الزاب من الناحية الادارية إذ من الملاحظ أنهم حافظوا نسبيا على التنظيمات الادارية السابقة في إطار حدود إفريقية البيزنطية مع استحداثهم ما يناسب الخصوصية الاسلامية: إنشاء الدواوين كديوان الجند سك العملة تنظيم مختلف نواحي الحياة القضاء، الشرطة...((وشيئا فشيئا سيبدأ الولاة بإدراك أهمية موقع مدينة طبنة الاستراتيجي وامكانياتها العسكرية التي يمكن أن يقدمها لهم تخطيط المدينة وتحصيناتها المحكمة ، لذا سنجدهم يعينون عليها أقدر القادة العسكريين وستكون طبنة المكان الذي ينزلون ويقيمون به)) ([6]) .

---

[1]) ابن عذار ى ، بيان المغرب ، ص58

[2]) الأصنام : منطقة تقع على بعد30 ميلا عن قصور حسان، وعن طرابلس تبعد 100 ميلاً . الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج1 ،ص 291 .

[3]) النويري ، نهاية الارب ،ج 24 ،ص 33 .

[4]) الرقيق ، تاريخ ، ص121 – 122 .

[5]) الرقيق ، تاريخ ، ص121-122 ، ابن عذارى ، البيان ،ج 1 ، ص 59 ؛ ابن ابي الضياف ، اتحاف ، ج1 ،ص91 .

[6]) بوحفص ، مدينة طبنة ، ص81 .

المبحث الثاني

الزاب في العصر العباسي

في ظل الدولة العباسية أضحى الزاب اقليما تمتع لنفسه بجانب من الاستقلال الذاتي رغم التبعية التي كانت تربطه بأفريقية والتي استمرت تتعامل معه باعتباره حدا غربيا للدولة العباسية وكان اول عمالهم على الزاب محمد بن الأشعث الخزاعي([1]) (145-148هـ / 765-783 م) ([2]).

لقد حدثت تحولات ذات تغييرات جوهرية في بلاد الزاب يمثله تحول في عاصمتها، اذ تم التخلي عن القاعدة القديمة "أربة - أذنة" الى عاصمة جديدة لإقليم الزاب مثلها المدينة الحصن "طبنة" ([3]).

في ظل الدولة العباسية اضحى الزاب اقليما يحتفظ لنفسه بجانب من الاستقلال الذاتي رغم التبعية التي كانت تربطه بأفريقية التي استمرت تتعامل معه باعتباره حدا غريبا للدولة العباسية. وأمام هذا الوضع ، الأشعث اتخذ القرار بأهمية ايجاد مدينة جديدة تكون عزا للعباسيين وتحقق لهم التحكم في عموم المجالات الزابية. فصدر الأمر من الخليفة المنصور (95 - (775م) الى الوالي محمد بن الاشعث بشأن اعادة بناء طبنة لتكون كقاعدة منها الانطلاق للسيطرة على المحال الزابي في عمومه .. ولعل ذلك يكون قد ارتبط الى حد بعيد بواقع ما كانت المنطقة تشهده من حركات معارضة مسلحة. فيكون هذا العمل لتحقيق المواجهة لذلك. ومع اعادة البناء تكون طبنة المدينة الجديدة قد استحقت ما كان اليعقوبي قد وصفها به من كونها مدينة الزاب العظمى وربطها بنزول الولاة فيها كإشارة لواقع ما اتصفت به من

---

[1]) محمد بن الأشعث بن يحيى الخزاعي الخراساني الأمير أحد قواد بني العباس، ولي دمشق للمنصور ثم ولي مصر ودخل القيروان لحرب الإباضية، كان شجاعا مهيبا، توفي سنة تسع وأربعين وماية . ابن ايبك الصفدي ، ، الوافي بالوفيات ، ج 2، ص 163 .

[2]) اليعقوبي، البلدان، ص190 .

[3]) الطويل ، المدينة الإسلامية ، ص124.

الأهمية الادارية التي تشكل البوابة الرئيسية التي يكون عبرها الولوج لبلاد الزاب الذي قال عنه اليعقوبي أنه بلد واسع . لذلك فقد تنبه الولاة إلى الحرص على ضرورة تقسيمه إلى مجالات ادارية برأس كلا منها عامل يدين بمطلق الولاء للسلطة القائمة المتمركزة بالقيروان ([1]) .

بعد ذلك أقر الوالي الأشعث بتعيين العمال على أقاليم إفريقية. وعين الوالي محمد بن الأشعث الأغلب بن سالم التميمي([2]) كوال لإقليم الزاب الشاسع عام 144 للهجرة وعاصمته طبنة، الأخير اتخذ من مدينة طبنة مقرا له فكانت هي النقطة الدفاعية الأولى في بلاد الزاب لمواجهة الأخطار الداهمة على القيروان و منها تنطلق الجيوش ([3]) .

واستمر الأغلب بن سالم في دوره من مقر إقامته بطبنة حتى خروج ابن الأشعث من ولاية إفريقية سنة 148ه/ 771 م ([4]) .

. أما الأغلب بن سالم ([5]) (148-150هـ / 783-787م) فقد ارسله أبو جعفر المنصور الى اقليم الزاب لما كان يتمتع به من سداد في الرأي وحسن سيرته مع

---

[1]) اليعقوبي ، البلدان ، 190 .

[2]) الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي: أمير، من الشجعان القادة. وهو جدّ (الأغالبة) ملوك إفريقية، وأول من وليها منهم. كان مع أبي مسلم الخراساني حين قيامه بالدعوة العباسية. ورحل إلى إفريقية مع محمد بن الأشعث. ثم ولاه المنصور (العباسي) الإمارة بإفريقية سنة 148 هـ فأقام في القيروان، ووطد الأمور. وانصرف يريد قتال الصفرية، فبايع أهل تونس للحسن بن حرب الكندي ودخل بهم القيروان، فعاد إليه الأغلب فقاتله. واستمرت الحرب بينهما إلى أن أصاب الأغلب سهم قتله، بقرب تونس . ينظر : الاستقصا ج1،ص 57 وابن الأثير ج5، ص217 والبيان المغرب ج،ص 74 ؛ ابن خلكان ج ، ص 339.

[3]) فيلالي ، المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب و الأندلس ، 2008 ، ص. 88

[4]) ابن الآبار ، الحلة السيراء ، ص. 69

[5]) الأغلب بن سالم (148-150هـ / 783-787م) بن عقال بن خفاجة التميمي: أمير، من الشجعان القادة. وهو جد (الأغالبة) ملوك إفريقية، وأول من وليها منهم. كان مع أبي مسلم الخراساني حين قيامه بالدعوة العباسية. ورحل إلى إفريقية مع محمد بن الأشعث. ثم ولاه المنصور (العباسي) الامارة بإفريقية سنة 148 هـ، فأقام في القيروان، ووطد الأمور. وانصرف يريد قتال الصفرية، فبايع أهل تونس للحسن بن حرب الكندي ودخل بهم القيروان، فعاد إليه الأغلب فقاتله. واستمرت الحرب بينهما إلى أن أصاب الأغلب سهم قتله، بقرب تونس . ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، م1، ص 221 ؛ الزركلي ، الأعلام، ج. 1، ص335 .

الجند وحنكته السياسية ما سيمكنه من إبقاء الزاب تحت سلطانهم وصد القلاقل الخارجية الصفرية و الإباضية في نفس الوقت، ولعل الخليفة أبو جعفر المنصور كانت له نفس الرؤية حول الأغلب لذا قربه إليه وجعله اليد اليمنى لمحمد بن الأشعث ثم ولا ه افريقية بعد خروج ابن الأشعث ([1]) .

فأصبح الأغلب بن سالم واليا على إفريقية مكان ابن الأشعث ، وفي عهده اشتدت ضربات أبي قرة الصفري عليه ، فعزم الخروج بجيشه عليه و قدم إلى الزاب ، ومنها عزم على الرحيل إلى تلمسان وطنجة فاشتد الأمر على الجند فخرجوا متسللين ليلا إلى القيروان ، وتم قتل الأغلب بن سالم بسهم من طرف أحد الجنود الذين الذين بقوا معه سنة 150هـ/ 773 م ([2]) .

وبعد مقتل الاغلب بن سالم حين محاربته للصفرية أرسل الخليفة ابوجعفر العباسي عمر بن حفص[3] إلى إفريقية الذي وصلها سنة 151هـ/ 768م وعرف بلقب هزار مرد والتي تعني ألف رجل ، فأقام بالقيروان ثلاثة سنين وأشهر من ولايته، والأمور له مستقيمة ثم سار إلى الزاب، فخلت أفريقية من الجند وثار بها البربر وهزموا عسكر القيروان، ثم هزموا عسكر طرابلس. فاشتدت الفتنة بأفريقية واشتعل نارها. واتاها أمراء القبائل من كل فج، واجتمعوا في اثني عشر عسكرا وتوجهوا إلى الزاب ولبس مع عمرو بن حفص إلا خمسة عشر ألفا وخمسمائة ([4]) وحين رأى عمرو بن حفص ما أحاط به من العساكر بمدينه طبنة بالزاب، جمع قواده، فاستشارهم، وقال لهم : ((إني أريد مناهضة هذا العدو)) فأشاروا عليه ألا

---

[1]) ابن عذارى ، البيان، ص ص 41 .

[2]) النويري ، نهاية الأرب ، ص 41 - 42

[3]) أبو جعفر عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، دخل إفريقية وغزا منها حتى بلغ أقصى بلاد البربر، وابتنى هناك مدينة سماها العباسية. ثم إن أبا حاتم السدراتى الإباضي من أهل سدراتة، وهو مولى لكندة، قاتله. فقتل وجماعة من أهل بيته، وانتقض الثغر وهدمت تلك المدينة التي ابتناها . البلاذري ، فتوح البلدان ، ص142 ؛ السمعاني ، الانساب ، ج3 ، ص484 .

[4]) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج1، ص75 .

يبرح من مدينة طبنة وقالوا له: ((أخرج من أردت إلى عدوك ولا تخرج أنت! فإنك، أن أصبت، تَلَفَ المغرب وفَسد)) ([1]) .

عمد عمر بن حفص إلى الحيلة لتفريق هذا الجمع، بإرشاء أخ أبي قرة الصفري الذي عاد بالجيش، فلم يبق إلا جيش عبد الرحمن بن رستم، الذي باغته عمر بن حفص وألحق به هزيمة، فتراجع إلى إقليم تاهرت، فكانت هذه الهزيمة نقطة تحول في تاريخ قيام الدولة الرستمية[2] ([3]) .

قام الوالي عمر بن حفص بترميم مدينة طبنة وبنائها سنة 151هـ للهجرة ليجعلها مركزا لحماية القيروان، وقد تعرضت المدينة لحصار الاباضيين سنة 153هـ ، وضاق أمرهم، وأكلوا دوابهم وكلابهم وسنانيرهم، وماتوا جوعا وانتهى الملح عندهم أوقية بدرهم. واضطرب على ابن حفص أمره وساءت خلقه، وبلغ أن يزيد بن حاتم بعثه الخليفة العباسي هارون في ستين ألفا لنصرة القيروان. فقال عمر بن حفص : (لا خير في الحياة بعد أن يقال: يزيد أخرجه من الحصار إنما هي رقدة وأبعث إلى الحساب) وخرج، فجعل يطعن ويضرب حتى قتل في النصف من ذي الحجة من سنة ١٥٤هـ ([4]) .

وفي سنة ١٥٤هـ استطاع الخوارج قتل والي طبنة والزاب ودخل المغرب في فوضى عارمة ، حتى ولاية يزيد بن حاتم على افريقية ([5]) .

كانت طبنة عاصمة الإقليم في كثير من المرات ينصب ولاتها أمراء القيروان و في أحيان أخرى تتدخل و تحدث حرجا للسلطة بالقيروان ، ولأهمية المدينة في مواجهة خطر الأدارسة والخوارج على الدولة العباسية أوصى هارون الرشيد

---

[1]) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج1، ص76 .

[2]) الدولة الرستمية: قامت هذه الدولة بزعامة عبد الرحمن بن رستم أحد ولاة أبي الخطاب وقواده، كانت أكبر دول المذهب الخارجي وأطولها مدة إذ دامت من (144- 216هـ/ 761-909م) وكانت عاصمتها مدينة تاهرت في المغرب الأوسط (الجزائر). ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ2، ص8-9؛ الباروني ، مختصر تاريخ الاباضية ، ص34 -49

[3]) الحريري ، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ص 87- 91.

[4]) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج1، ص76 .

[5]) المصدر نفسه ، ج1 ، ص78 .

الوالي روح بن حاتم عليها بقوله : ((عليك بالزاب واملأه خيلا ورجالا)) ([1]) ، و بذلك اصبح إقليم الزاب يتبع الخلافة العباسية ببغداد مباشرة .

وقي اثناء ذلك برز نجم ابراهيم بن الاغلب وكان ابوه قد قتل سنة 150 ﻫ ([2]) ، وكان ابن الاغلب يراقب الصراعات في القيروان من الزاب التي كان والياً عليها ، وتدخل سنة 184ﻫ ،وكان إبراهيم قد خرج من الزاب في سبعين فارساً من أهل بيته وقومه فقيل له إلى أين ؟ قال: أطلب المُلك، فقيل له: أتطلب المُلك بهذا العدد القليل .. لا نأمن عليك، فلم يستمع إبراهيم إليهم وخرج واستطاع الانتصار ودخول القيروان ([3]) .

ولما رأى الخليفة العباسي هارون ذلك وكثرة الفتن بإفريقية وإنشغاله بالفتن في المشرق في العراق وبلاد فارس وخراسان وخوفه من زيادة نفوذ الأمويين في الأندلس والأدارسة في المغرب الأقصى عقد اتفاقاً مع إبراهيم بن الأغلب على أن يوليه المُلك في المغرب وأولاده من بعده على أن يخطب للخليفة العباسي في منابر المغرب وبذلك تأسست الدولة الأغلبية وصار إبراهيم بن الأغلب أول ملوكها ([4]) .

حكمت الدولة الأغلبية بزعامة إبراهيم بن الأغلب المنطقة كلها ، بعد ان كان إبراهيم واليا وأميراً على الزاب فقط ([5]) ، ومايميز هذه الفترة ثورة سكان بلاد الزاب لاسيما سكان مدينة بسكرة بحيث أنهم تعرضوا للتقتيل من طرف إبراهيم بن الأغلب الذي فتك بهم وقتل أطافلهم وكان ذلك سنة 269ﻫ ([6]) كما قام أبو العباس بن إبراهيم بن الأغلب بقتل بني بلطيط ببسكرة حيث نكل بهم وفرق جموعهم ([7]) .

---

[1]) الرقيق القيرواني ، تاريخ إفريقية ،ص 136
[2]) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج1، ص75 .
[3]) الصفدي ، الْوافِي بالْوَفَيَات، ج5، ص215.
[4]) اليعقوبي ، تاريخ، ج2، ص411 - 412.
[5]) الطالبي، الدولة الاغلبية التاريخ السياسي ،ص 11 .
[6]) ابن عذارى ، البيان ، ج1، 119 .
[7]) المصدر نفسه ، ص 131 .

بقيت طينة محافظة على مكانتها كقاعدة لبلاد الزاب في اثناء حكم الاغالبة الموالين للدولة العباسية ، ولكن مع ظهور أبي عبد الله الشيعي (ت 298هـ / 911م)[1] بالمنطقة لم يكن له اهمال القيمة الاستراتيجية لبلاد الزاب لاسيما طبنة ، فتوجه للسيطرة عليها ، وحاول الاغالبة بأستمرار إيصال الامدادات بالقوات للحيلولة دون سقوطها بيد الفاطميين لما لها من مكانة عسكرية واقتصادية في حسابات مختلف القوى المتصارعة في المنطقة ، لكن ذلك لم يجدهم نفعا فقد فقدها الأغالبة ليفقدوا بعدها ملكهم ، ويهرب اخر أمرائهم إلى المشرق ([2]) .

إن السيطرة على طبنة لم يكن بالأمر الهين للفاطميين إلا بعد حصارها وتدمير أبراجها ثم تحطيم سورها الخارجي الملاصق للمدينة ([3]) لكن قوة هذه المدينة ومكانتها استمرت حتى القرن الخامس الهجري، ففي حديث البكري عنها يقول: ((وليس من القيروان إلى مدينة سجلماسة مدينة أكبر منها ..)) ([4]) .

ولكن مع مجيء الفاطميين الى المغرب وتأسيس دولتهم تراجع نفوذ طبنة تدريجيا خلال النصف من القرن الرابع الهجري لصالح قاعدة الزاب الجديدة، وهي المحمدية أو المسيلة ([5]) ، والتي تم تأسيسها سنة (315) /927م) على يد الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله وتوارث حكمها بني حمدون([6]) .

---

[1]) أبو عبد الله الشيعي: هو أبو عبد الله حسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي من الكوفة كان ذا علم وعقل ودين وورع وأمانة ونزاهة، وكان يشتهر بأبي عبد الله الشيعي، والصنعاني ، من ابرز دعاة المذهب الفاطمي ببلاد المغرب اسس الدولة الفاطمية وبايع عبد الله المهدي كأول خليفة فاطمي، مقتله سنة 298هـ/910م. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة ، ص59. أبن الأثير، الكامل، جـ8، ص31-34. الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص19. أبن عذاري، البيان المغرب، جـ1، ص124. أبن خلكان، وفيات الأعيان، جـ2، ص192-193.

[2]) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص122-123 .

[3]) المصدر نفسه ، ص160 .

[4]) البكري ،المسالك والممالك ، ص 229 .

[5]) الطويل ، المدينة الاسلامية ، ص132.

[6]) ابن حوقل ،صورة ، ص 85 .

لقد كانت بلاد الزاب مركزاً مهماً لأهم عنصر مقاوم للدولة الفاطمية وهم قبيلة زناتة ([1]) التي كانت قد اتبعت في البداية سياسة المهادنة والابتعاد عن الصدام المباشر مع الفاطميين لاسيما في اثناء التحركات العسكرية لابي عبد الله الشيعي ، الا انهم فيما بعد اخذوا بالعمل العسكري الجاد ضد الدولة الفاطمية وكان الزابيون المعارضون اما ان يجعلوا الزاب منطلقاً لتمرداتهم او يكونو قادة لتمردات بمناطق محيطة لبلاد الزاب ، وتزامنا مع هذه الأحداث قاد محمد بن حزر أعمالا مضادة لهم لفترة تربو عن العشرين 20 عاما ، أهم ما تعلق منها بالزاب هجومه على طبنة سنة 297 هـ / 909م ، واستيلاؤه على الزاب بشكل كامل سنة 314هـ / 926م و هزيمته للجيش الذي بعث به عبيد الله ، مما اضطره إلى إرسال ابنه القائم في السنة الموالية 315هـ / 927م الدي تمكن من استرجاعها ([2]) .

هذا بالإضافة إلى ثورة قبائل كيانه ، بني كملان ، و مزاتة يجبل أوراس سنة 310ه 922م ثم استيلاء ابن حزر على الزاب سنة 317هـ / 929م و إخراجه منها مرة أخرى. وإذا كان هذا حال زناته و القبائل المناهضة لحكم الفاطميين المستند على القوة وحد السيف ، فإن سند الدولة وعضدها كتامة لم تجد سبيلا آخر غير التسلحوالمواجهة العسكرية التي فرضت عليها ، بعد ما لقيه زعماؤها على يد عبيد الله والذي خدلانا و بكرانا لما قدموه في سبل إقامة هذه الدولة ([3]) .

لقد كان الزاب موضع إهتمام الفاطميين وحرصوا على تأمينه وحمايته لما يمثله من ثقل سياسي وعسكري واقتصادي للدولة الفاطمية ويتضح ذلك لنا من خلال حملة أبي القاسم صوب تاهرت وما ولاها، بقوله " :وأنفذ كتبه إلى القبائل كافة، وأعذر إلى مزاتة وكيانة وبني كملان .. وأنفذ الجيوش مع وجوه كتامة، وأمر عليهم

---

[1]) زناتة:ينسبون إلى شانا أو ا زنا بن يحيى بن صولات بن و رماك بن ضري بن رحيك بن مادغيس بن بربر وقد لعبت - دور كبير واشتهرت بمقاومة العرب الفاتحين ،ينظر :أبن خلدون ،العبر ،ج 7،ص 4 - 6.

[2]) جعيل ، طبنة حاضرة اقليم الزاب، ص175 .

[3]) الجيلاني ، تاريخ الجزائر العام ، ج1 ، ص234 .

جعفر بن عبيد ([1])، كان ذلك شهر جمادى الثانية سنة 316ه قبائل كيانة وبني كملان، وقبائل زناتة، اذ تحصنوا في قلعة منيعة وعرة المسالك، تسمى بعقار، فسارت اليهم عساكر الفاطميين مستندين إلى الجبال المحيطة بالمنطقة، فكان النصر حليفهم، وعقب ذلك أمر القائم، أحد قادتهم وهوعلي بن حمدون ، بتخطيط مدينة المحمدية- المسيلة -وجعلها داراً لإمارته، فأسكن بها قبيلة عجيسة وعددا من العبيد، فوصفت بأنها أرض فيها مياه جارية، وفحوص كثيرة، ومزارع فسيحة ,([2]) .

وحين اشتد امر الخوارج في الزاب دفع المهدي بابنه وحجته أبي القاسم، لترأس الجيش بنفسه، حيث تمكن من فرض السيطرة الفاطمية الكاملة على تيهرت وما جاورها سنة 315 ه /927 م، مؤمناً بذلك الجزء الأكبر من الجهة الغربية للمغرب الأوسط ، مدعما بحشد من قبيلة كتامة، فكان من نتائج هذه الحركة تحييد القبائل المساندة لبني في الدولة الفاطمية نجد ان بسكرة لم تنل مكانة سياسية واضحة ([3])،وبعد انتقال عاصمة الزاب إلى القلعة والتي بناها حماد بن بلكين عام 398ه أصبحت بسكرة خاضعة للسلطة الحمادية يتولى شؤونها بالولاء لهم امراء بني رومان ([4]) بحيث حدث صراع بين بني رومان وبلكين تمكن من القضاء عليهم([5]).

كما شكلت بلاد الزاب ملاذا آمنا لأبي يزيد الخارجي في ثورته على الفاطميين بحكم وجود جماعات من زناته المعادية للفاطميين. وقد يكون الموقف الذي اعتمده أبا يزيد بالوصول الى بلاد الزاب محاولة منه لاستدراج الخليفة الفاطمي المنصور بعيدا عن مناطق نفوذه حيث محال جبل سالات التي يستقر حوله بنو كملان وبنو برزال المناهضين أساسا للوجود الفاطمي ([6]).

---

[1]) الداعي ادريس ، عيون الاخبار ، القسم الخاص بتاريخ الخلفاء الفاطميين ،ص 216 .
[2]) الداعي ادريس ، عيون الاخبار ، ص217.
[3]) الجيلالي ،تاريخ الجزائر العام ،ج 1، ص 237.
[4]) مصمودي ،الزاب مصطلح ودلالات، ص 112 .
[5]) العربي ، دولة بني حماد ،ملوك القلعة وبجاية ،ص 143
[6]) ابن خلدون العبر، ج 7، ص 22.

الا ان الخليفة الفاطمي إسماعيل المنصور لم يبالي بأستدراج الخارجي له " فسار الى بلاد الزاب فَنزل بِموضع يُقَال لَهُ أَبُو حميل وَمِنْه إِلَى فحص طَاقَة وَمِنْه إِلَى مَدِينَة بلزمة وَمِنْه إِلَى مَدِينَة نقاوس وَإِلَى طبنة فَأَقَامَ بهَا أَيَّامًا كَثِيرَة وَورد عَلَيْهِ كتاب جَعْفَر بن عَليّ بن حمدون([1]) صَاحب المسيلة والزاب يخبر بمحبوس عِنْده ثأر بجبل أوراس وَاجْتمعت عَلَيْهِ قبائل كَثِيرَة من زواوة وصنهاجة وعجيسة فَأعْطى بطبنة الأرزاق ووسع على الرِّجَال وَأسْقط جمَاعَة من الزمني وَمن لم يرض صحبته وَرجع من طبنة فَأَتَاهُ جَعْفَر بن حمدون بهدية مِنْهَا خَمْسَة وَعِشْرُونَ فرسا وَمثلهَا نجباء وَأَرْبَعَة من النجباء وفارة شريفة موجهة وَأَتَاهُ بالثائر الْمَذْكُور وَكَانَ غُلَاما أمردا جميلا مُقَيّدا رَاكِبًا جملا وعَلى رَأسه طرطور مشهر وَكَانَ من أهل القيروان من أَبنَاء الصاغة وَكَانَ ينظر كتب الصُّوفِيَّة ويقرؤها وَمَعَهُ أَرْبَعَة نفر مقيدين وجدهم جَعْفَر فِي بعض الْحُصُون الْمُجَاورَة لأوراس بِمن اتبع هَذَا الْغُلَام وَزعم أَنه الإِمَام الْقَائِم بِالْحَقِّ فَأمر إِسْمَاعِيل بسلخه حَيا وحشا جلده قطنا وَجعله فِي تَابُوت وَكَانَ يصلبه فِي كل مَوضِع يحل بِهِ وَكَذَلِكَ كَانَ يفعل بأمثاله)) ([2]) .

((وَسَار إِسْمَاعِيل فَنزل بسكرة ودخلها وانتقمها مرَارًا وَقتل قوما من اهلها وَفرق فِيهَا الأرزاق ورحل مِنْهَا إِلَى مقرة وحشد أَبُو يزِيد من بني زروال قبائل جبل سالات عددا كثيرا وجندا كَبِيرا وَجَاءَت لإسماعيل الْقَبَائِل من كل جِهَة واستنفرهم من كل وجهة واستمالهم بِالطَّعَامِ والكسي ووسع على كل ([3]) ، من جَاءَهُ وَأحسن

---

[1]) جعفر بن علي بن أحمد بن حمدون (وقيل حمدان) المعروف بابن الأندلسي، أبو علي: صاحب المسيلة وأمير الزاب. كان سمحا، كثير العطاء، مؤثرا لأهل العلم. وكان بينه وبين زيري بن مناد الصنهاجي محاسدة أفضت الى القتال، فتواقعا وجرت بينهما معركة عظيمة، فقتل زيري، فقام ابنه بلكين بن زيري مقام والده واستظهر على جعفر: تحول جعفر وحاضرته بولائه للأمويين بالأندلس ، فنشبت معركة بينه وبين زيري بن مناد الصنهاجي والذي قتل فيها الأخير ونقل رأسه إلى الحكم المستنصر بالله ففرح بذلك ، انتقل جعفر بن حمدون فارس بني برزال إلى الأندلس وصار من قادة وفرسان الخلافة الأموية فقتل فيها. وليبي القاسم محمد بن هانىء الأندلسي فيه مدائح، يجمعهما مذهب الباطنية. ابن الاثير، الكامل ، ج ٨ ، ص ٦٢٥ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء ج١، ص ٣٠٥ ؛ عنان ، دولة الاسلام في الاندلس ج،ص ٥٠٠ ، الزركلي ،الاعلام ، ج ٢، ص ١١٩

[2]) ابن حماد ، اخبار بني عبيد ، ج1، ص65 .

[3]) المصدر نفسه ، ج1، ص66

إِلَى كل من أطاعه وَكَاتب زيري بن مُنَاد وماكسن بن سعد وَبعث إِلَيْهِمَا أَمْوَالًا جمة وثيابا جملَة وَمن الذَّهَب وَالْعين واللجين وَمن التحف والطرف مَا استمال بِهِ النُّفُوس واستلان بِهِ الْقُلُوب فَأَجَابَهُ وحشدا الجم الْغَفِير من صنهاجة وعجيسة ووصلا إِلَيْهِ بِكُل مَا قدرا عَلَيْهِ)) ([1]) .

" وَنزل إِسْمَاعِيل المسيلة فَأَقَامَ بهَا أَيَّامًا تعدل أعواما بِمَا فرق فِيهَا من الْأَمْوَال وسدد من الْأَحْوَال وجند من الْجنُود وعبأ من العساكر وجهز من الجيوش وَكتب إِلَى هوارة الَّذين كَانُوا بالغدير يَأْمُرهُم بِأخذ أبي عمار الْأَعْمَى وَأَصْحَابه ([2]) وَكَانَت قبل ذَلِك على أبي يزِيد هزيمَة عَظِيمَة بِموضع يعرف بِعَين السودَان بَين جبل كياتة فَانْهَزَمَ أَبُو يزِيد وتبدد أَصْحَابه فَأخذ يزِيد نَحْو صحراء مَدِينَة بني خزر وَأخذ أَبُو عمار الْأَعْمَى وَأَبُو مدكول الْأَعْمَى صَاحب آخر لَهُ نَحْو الغدير وَوجه مُحَمَّد بن خزر ابْنه يَعْقُوب إِلَى إِسْمَاعِيل وَهُوَ بالمسيلة فَأكْرمه وَحمله على فرس من مراكبه بسرج من سروجه ولجام من لجومه وَوَصله بِعشْرَة آلَاف دِينَار وَتوجه إِسْمَاعِيل من المسيلة فِي طلب أبي يزِيد وَقد بلغه أَنه بجبل سالات " ([3])

إلا أن اختلال موازين القوة لصالح الفاطميين كان وراء تحول الموقف. فقد أشارت الرواية الخلدونية الى أن أهل مدن بلاد الزاب كانوا يستقبلون الخليفة المنصور وينظمون الى صفوفه ، و وصل الأمر أن محمد بن خزر الزناتي ومن وراءه مغراوة، قد بايع المنصور([4]) وأخذ موقفا ضدا للثورة النكارية التي ستفقد من خلال ذلك دعما كبيرا كبيرا في المجال الزابي. الا أن استمرار هاته الثورة بقيادة أبي الفضل بن أبي يزيد ونجاحه في تأليب الجماعات البربرة بالأوراس ومحيطه، قد دفع بالخليفة المنصور الى توجيه حملات تأديبية استهدفت الجماعات المناهضة

---

[1]) ابن حماد ، اخبار بني عبيد ، ج1 ، ص67 .
[2]) المصدر نفسه ، ج1 ، ص67 .
[3]) المصدر نفسه ، ج1 ، ص68 .
[4]) المصدر نفسه ، ص 70.

للسلطة الفاطمية والداعمة في الوقت ذاته للثورة. فكان ثأره من بني يفرن([1]) ببلاد الزاب([2]) نهاية للثورة النكارية في نحو العام 337هـ / 949م.

وان اهم المعارك التي شهدتها بلاد الزاب أيام ثورة ابي يزيد وقد انفرد صاحب سيرة الاستاذة جوذر، بذكرها معركة قصور الحيتان إذ ساوت في أهمينها معركة الجمعة بالقيروان، من حيث انها كانت ايضا بمثابة نهاية الحركة، وبشيرا بقرب الخلاص([3]).

وأزاء شعور الخليفة الفاطمي المنصور بذلك النصر ارسل سجل عهد الى ابنه وولي عهده معد (المعز) ضمنه فرحة النصر وشوقه اليه ومشاكله اثناء الملاحقة ، وبالمناسبة انعم على على وكيله جوذر([4]) بالعتق تقربا الى الله ولقبه بمولى امير المؤمنين وسمح له بكتابة اسمه على الطراز، وهذا تشريف لم يناله حتى بناة الدولة وأولياؤها من كتامة وصنهاجة ([5]) .

ومع التطورات المتلاحقة في مسار الأحداث، نجد أن كلا من قبيلتي بني يفرن ومغراوة لاقوا مصيراً مشؤماً اذ اضطرتا لدفع ثمن مواقفهما المناوئة للسلطة

---

[1]) بني يفرن ينتسبون إلى يفرن بنو يصلتين بن مصر بن زاكيا بن ورسيك بن الديريت بن شانا وينقسم بنو يفرن بدورهم إلى بطون وأفخاذ عدة أشهرها: بنو واركوا ومرنجيصة وقد استقر بنو يفرن في مناطق عدة من بلاد المغرب فنزل قسم منهم في المنطقة الممتدة من غرب طرابلس حتى افريقية وتعرف في المصادر العربية بوطن زناتة ابن خلدون العبر، ج6 ،ص103.ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص232؛ مجهول، الاستبصار ، ص128.

[2]) ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 23.

[3]) العزيزي ، منصور الجوذري ، سيرة الأستاذ جوذر ، ص

[4]) جوذر الصقلبي : يُلقّب بالأستاد. كان عبدًا مخصيًا خدم الخلفاء الفاطميين القائم، والمنصور، والمعز دخل الخدمة من سلالة الأغالبة التي حكمت إفريقية. عندما تمت الإطاحة بالأغالبة في عام 909م، اتخذه مؤسس الدولة الفاطمية عبيد الله المهدي عبدًا له. وأهداه إلى ولي العهد أبي القاسم القائم بأمر الله. وتقدم عند القائم حتى استخلفه، وهو لا يزال وليًا للعهد (سنة 300 هـ) على قصره، وجعله بعد ولايته الخلافة صاحب بيت ماله، والموكل بخزائن الكساء، والسفير بينه وبين الناس. وتوفي القائم (سنة 334 ه) وثورة مخلد بن كيداد على أشدها، فأخفى المنصور ابن القائم وفاة أبيه، وخرج لحرب ابن كيداد، واستخلف جوذر على دار الملك وسائر البلاد وسلمه مفاتيح الخزائن ، رحل الى مصر مع المعز وتوفي بالطريق في برقة 362هـ. الزركلي ، الاعلام ، ج2، ص144.

[5]) حسين ، في ادب مصر الفاطمية ، ص146.

السياسية القائمة فكان الاجلاء لهم من مواطنهم ببلاد الزاب من قبل بلكين بن زيري([1]) الى المغرب الأقصى ([2]) .

[1]) بلكين ابن زيري بن مناد الصنهاجي كان في بداية أمره من قواد المعز الفاطمي ، ولما ارتحل المعز إلى الديار المصرية استخلفه على افريقية كلها توفي سنة (373هـ / 983م) بموضع يقال له واركلان. ينظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج1 ،ص 287 ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج 2 ، ص 75 .

[2]) النويري، المصدر السابق، ج24، ص 173. الهادي روجي ادريس المرجع السابق، ج1، ص92.

المبحث الثالث

الزاب بعد الفاطميين حتى القرن السابع الهجري

مع بداية حكم المنصور بن بلكين (374 - 386هـ / 984 - 996م) خرج بلاد الزاب من سلطة أفريقية اذ اندلعت الثورة التي قام بها أبو البحار بن بلكين الذي استولى على بلاد الزاب ومناطق أخرى معلنا الولاء لسلطان الأمويين بالأندلس([1]) .

ومع تنامي حالة الاضطراب السياسي وتزايد الحركات الزناتية في الأطراف الغربية عمد باديس بن المنصور الى التنازل عن صلاحياته لعمه حمّاد على المغرب الأوسط ، مما سيشكل بصورة فعلية بداية التحول نحو السلطة الحمادية الصنهاجية ، ورغم الاضطرابات التي رافقت ذلك وما حصل من قتل كبير طال زناتة خاصة في اعقاب الحملة التي قادها المعز بن باديس نحو بلاد الزاب في العام 429هـ / 1037م والتي قتل فيها من البربر خلق كثير حسب ما أورده ابن عذاري ([2]). إلا أن حالة الاضطراب هذه لهم تكن الا مجرد أحداث سياسية عابرة غير قادرة على تعطيل الحراك العام بالمنطقة التي امتازت في عمومها بحالة نسبية من الاستقرار الذي كان وراءه الازدهار الذي عم العديد من المدن والقرى الزابية. كما هو الحال بمدينة بسكرة التي وصفت بكونها أم القرى في اشارة لعظم شأنها خاصة زمن رئاسة شيوخ بني رمان الذين حاولوا الانفصال عن السلطة الصنهاجية بإعلان قطع تبعيتهم لهم في حدود العام 450هـ/1058م مستغلين في ذلك بداية الحضور الهلالي بالمنطقة الا أن حزم الصنهاجين أخمد تلك المحاولة التي باءت بالفشل الذريع وخروج رئاسة مدينة بسكرة وعدد من أطرافها الى اسرة بني سندي ([3]) .

---

[1]) ابن خلدون، **العبر**، ج6 ، ص157 .
[2]) ابن عذا ري، **البيان**، ج 1، ص 275 .
[3]) ابن خلدون، **العبر**، ج 6، ص 585 ؛

نازلت الجيوش الصنهاجية امراء بني الرومان واحتملهم على القلعة فقتلهم بلكين، وبعدها أوكل أمر بسكرة لبني سندي وصارت الشورى لهم ([1])، وهؤلاء يعتبرون من عرب الفتوح تولو أمر بسكرة إلى نهاية حكم الحماديين ([2]).

اما في عهد المرابطين فما ان انتهى يوسف بن تاشفين من فتح جبال المغرب الأقصى حتى تطلع إلى فتح المغرب الأوسط، فجهز سنة 472 ه جيشا من لمتونة وولى عليه مزدلي بن تبليكان وكلفه بفتح المغرب الأوسط ،فابتدأ بمحاربة مغراوة ملوك تلمسان وكان بها يومئذ عباس بن بختي، فدوخ هذا الجيش المغرب الأوسط وسار في بلاد زناتة وظفر بيعلي بن الأمير العباسي فقتلوه وانكفئوا راجعين من غزواتهم ([3]) .

وفي هذه الفترة ظهر بنو سنجاس وهؤلاء من أوسع القبائل وأكثرهم عددا وكان لهم في فتنة زناتة وصنهاجة آثار بإفريقية والمغرب وأكثرها في افساد السبيل والعيث في المدن ونازلوا قفصة سنة أربع عشرة وخمسمائة بعد أن عاثوا بجهات القصر وقتلوا من وجدوا هنالك من عسكر تلكاتة وخرجت إليهم حامية قفصة فأثخنوا فيهم ثم كثر فسادهم وسرح السلطان قائده محمد بن أبي العرب في العساكر إلى بلاد الجريد فشردهم عنها وأصلح السابلة ثم عادوا إلى مثلها سنة خمس عشرة فأوقع بهم قائد بلاد الجريد وأثخن فيهم بالقتل وحمل رؤسهم إلى القيروان فعظم الفتح ولم تزل الدولة فيهم بالقتل والاثخان إلى أن كسروا من شوكتهم ([4]) .

وجاء العرب الهلاليون وغلبوا على الضواحي كل من كان بها من صنهاجة وزناتة وتحيز فلهم إلى الحصون والمعاقل وضربت عليهم المغارم الا ما كان ببلاد المغرب القفر مثل جبل راشد فإنهم لبعدهم عن منازل الملك لا يعطون مغرما إلا أنه غلب عليهم العمور من بطون الهلاليين ونزلوا معهم وملكوا عليهم أمرهم

---

[1]) ابن خلدون ،العبر ، ج 6 ،ص 585 .
[2]) رشيد بورويبة ،المرجع السابق ،ص56 .
[3]) ابن خلدون، العبر ،ج 6، ص 220 .
[4]) ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص62 .

وصاروا لهم فيه ومن بنى سنجاس من نزل الزاب وهم لهذا العهد أهل مغارم لمن غلب على ثغورهم من مشايخهم وأما من نزل منهم ببلاد شلب ونواحي قسنطينة فهم لهذا العهد أهل مغارم للدول وكان دينهم جميعا الخارجية على سنن زناتة في الطبقة الأولى ومن بقي منهم اليوم بالزاب فعلى ذلك ومن بنى سنجاس هؤلاء بأرض المشيل من جبل بنى راشد وطنوا جبلا في جواره غمرة وصاروا عند تغلب الهلاليين في ملكهم يقبضون الإتاوة منهم ونزل منهم لهذا العهد الصحارى من بطون عروة من زغبة وغلبوهم على أمرهم وأصاروهم خولا ([1]).

وأما بنو ريغة فكانوا أحياء متعددة ولما افترق أمر زناتة تحيز منهم إلى جبل عياض وما إليه من البسيط إلى تعاوس وأقاموا في قياطينهم فمن كان بجبل عياض منهم أهل مغارم لأمراء عياض يقبضونها للدولة الغالبة ببجاية وأما من كان ببسيط تعاوس فهم في اقطاع العرب لهذا العهد ونزل أيضا الكثير منهم ما بين قصور الزاب وواركلا فاختطوا قصورا كثيرة في عدوتي واد ينحدر من المغرب إلى المشرق يشتمل على المصر الكبير والقرية المتوسطة والأطم قد رف عليها الشجر ونضدت حفا فيها النخيل وانساحت خلالها المياه وزهت ينابعها الصحراء وكثر في قصورها العمران من ريغه هؤلاء وبهم تعرف لهذا العهد وهم أكثرها ومن بنى سنجاس وبنى يفرن وغيرهم من قبائل زناتة وتفرقت جماعتهم للتنازع في الرياسة فاستقلت كل طائفة منهم بقصور منها أو بواحد ولقد كانت فيما يقال أكثر من هذا العدد أضعافا وان ابن غانية الستوفى حين كان يجلب على بلاد إفريقية والمغرب في فتنته مع الموحدين خرب عمرانها واجتث شجرها وغور مياهها ويشهد لذلك آثار العمران بها في اطلال الديار ورسوم البناء وأعجاز النخل المنقعر))([2]) .

((ولما جاء الموحدون قتلوا بعد ذلك عامل الزاب بن عتوا من مشيخة الموحدين وغلبوا على ضواحي الزاب وواركلا وأقطعتهم إياها الدول بعد ذلك فصارت في

---

[1]) المصدر نفسه ، ج7 ، ص63 .

[2]) ابن خلدون ، العبر ، ج ٧ ، ص 63 .

أقطاعهم ثم عقد صاحب بجاية بعد ذلك على العمل كله لمنصور بن مزنى واستقر في عقبه))([1])

كان دخول إقليم الزاب فى حوزة الموحدين خلال الحملة التى انطلق بها عبد المؤمن بن على لإفتتاح إفريقية ومناطقها الداخلية سنة 553هـ/1158م ، اذ لمست القوات الموحدية استراتيجية موقع إقليم الزاب، ولذا لم تعط على ويحيى ابنى غانية فرصة التمركز فى مدنه ، وعليه فقد طاردته حتى لاذ بالصحراء، فضلاً عن التخلص من الأشل الثائر بالزاب سنة 589 هـ /1193م سريعًا بفضل والى بجاية السيد أبى زكرايا ، كما دخلت بسكرة تحت لواء الدولة الموحدية وقد تعاقبت على المنطقة قبائل بني هلال ([2]) بحيث اختلطوا بسكانها منهم قبائل رياح والأثيج ([3]) .

بعد انقسام بلاد المغرب إلى كايانات جديدة تمثلت في الحفصيين والزيانيين والمرينيين أصبح إقليم الزاب تارة يكون تابعا للحفصيين وتارة يصبح للزيانيين وتارة أخرى يمسي ضمن نفوذ الدولة المرينية ، وقد قام السلطان ابي عنان بحملة على منطقتي الزاب وقسنطينة وسببها خروج عرب رياح عن سلطة الدولة بقيادة زعيمها يعقوب بن علي([4]) ، ومن طريف ما يذكر في مسيرة السلطان ابي عنان الى البلاد الحفصية (الزاب وقسنطينة) لغرض احتلالها (اصطفت هوادج نساء رجال الجيش التي برزت ساميات الهامات فوق الجبال عليها اغشية من الحلل المنسوجة بالذهب والانزاق الى غير ذلك من الاثواب العراقية والاندلسية والرومية على اختلاف الوانها يزينها التسهيم والتضليع وبهذه الهوادج ذوائب مرسلة تداعبها الرياح) ([5])،

---

[1]) ابن خلدون ، العبر، ج، ص64 .

[2]) بنو هلال :هم بطن من بطون مضر لم ي ا زلوا بادين منذ الدولة العباسية وكانوا أحياء ناجعة وهم عند جبل غزوان في الطائف يغيرون على الضواحي ويفسدون السابلة ،ينظر :ابن خلدون المصدر السابق ،ج 6،ص 18 .

[3]) حاجيات ،الوجود الهلالي السلميي في الجزائر،دار هومة للنشر والتوزيع، ص 196 .

[4]) ابن خلدون، العبر، ج7، ص 395.

[5]) الماحي، المغرب في عصر السلطان ابي عنان، ص160.

وفي مراحل الدولة المتاخرة اخذ بني مرين من السلاطين والوزراء بضرب القبائل العربية الواحدة بالاخرى وبذر الخلاف والشقاق بينهم بهدف شق وتشتيت وحدتهم ومن شواهد هذه السياسة هو تسليط قبائل الخلط على قبائل سفيان([1]) .

وأحيانا كثيرة كان اقليم الزاب يتمتع بالاستقلالية بحيث استطاعت خلالها مدينة بسكرة ان تخطف الأضواء كعاصمة لإقليم الزاب تحت حكم بني مزني الذين بدورهم دخلو في صراع مع المرينيين والحفصيين على حكم المنطقة بعد سقوط الدولة الموحدية ،بالإضافة إلى صراعهم مع بنو رمان الذين لم يتقبلوا مزاحمة بنو مزني لهم على حكم بسكرة ([2]) .

وبنو مزني من أشهر الأسر العربية فقد كانو حي من أحياء العرب دخلوا إلى إفريقة بصفتهم أحلافا لطوالع بني هلال بحيث استقروا في إحدى قرى بسكرة وكانت تعرف بقرية حياس كان استقرارهم خلال منتصف القرن 5 ه/11م ،اما عن نسبهم فهم من لطيف بن الاثبج من بني جرى بن علوان بن محمد بن لقمان بن خليفة بن لطيف وإسم أبيهم مزنة بن ديفل بن محيا بن جرى ،ولذلك فإن أهل الزاب كلهم أفاريق الأثيج عجزوا عن الضعن ونزلوا قراه علة من كان بها قبلهم من زناتة وطوالع الفتح ،غير أن بنو مزني استنكفوا وانتزعوا عن هذا النسب إلى غرائب الأنساب ولذلك لما صاروا إليه أهل الأثبج بالزاب من المغرم والوضائع لذلك نسبوا أنفسهم وزعموا أنهم من مازن من فزاوة ([3]) ومن عرب فزارة نجد حذيفة بن بدر بن عمر بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة وهو صاحب الفرس المعروفة بالغبراء([4]) .

وبعد أن استوطن بنو مزني في إحدى قرى بسكرة انتقلوا إلى الاستقرار بالمدينة فاختلطوا بأهلها و تناسبوا وأخذوا مع أهل بسكرة بحظ وافر من تملك العقار

---

[1]) الفاسي: نشأة الدولة المرينية ،ص10.

[2]) فوزي مصمودي ،المرجع السابق،ص - 52 .

[3]) ابن خلدون ،العبر ، ج 6 ، ص 586.

[4]) القلقشندي ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان ، ص 113.

والمياه واستمتعوا بالمنزل والظلال ،وقاسموا أهلها الحلو والمر ،ومنها كان دخولهم التدريجي إلى مدينة بسكرة التي كانت تمثل قاعدة الزاب، ومركز السلطة المحلية له. وسرعان ما اكتسب بنو مزني مكانة اجتماعية في المدينة وأصبحوا يتطلعون للسلطة والحكم، وهذا التوجه مكّن شيوخهم من تقاسم السلطة مع بني رمان وهم كبار حكام بسكرة، وقد ساهم نظام الشورى المطبق في توسيع نفوذهم وسلطتهم. وأضافت أنه بمرور الوقت تنامى الخلاف بين بني مزني وبني رمان، ليصل إلى السلطة المركزية الحفصية بتونس، ولكن عدم استقرار الوضع بتونس أدخل الطرفين في ولاءات وتحالفات مضادة مع الأمراء الحفصيين ، كما أصبحت لهم طموحات سياسية ذلك أن كبارهم انتظموا في أرباب الشورى من المشيخة معه بني رمان وهذا ما أدى إلى ظهور صراع شديد بينهم وقد استطاع بنو مزني منافسة اسرة بني رمان وهم بدورهم لم يرضوا على مشاركة بني مزني لهم في المدينة فشتعلت بينهم نار العداوة ليتحول هذا العداء إلى حرب بين الطرفين ،مما أدى بهم إلى الإحتكام والترافع إلى سدة السلطان الحفصي بتونس والذي غالبا ما يكون إلى جانب بني رمان وذلك لتقدمهم في البلد([1]).

والجدير بالذكر أن استحواذ بنو مزني على كامل السلطة المحلية في بسكرة تأتى لهم بوصول الأمير أبو إسحاق إلى الحكم سنة 678 هجري/ 1279 م، حينما مرت السلطة الحفصية بظروف جسيمة بحيث خرج الأمير أبو إسحاق على أخيه محمد المستنصر([2]) وهو مارجح الكفة لبني مزني بعد أن قام فضل بن علي بن احمد بن الحسن بن علي بن مزني ([3]) بمبايعة الأمير أبو إسحاق الذي عين فضل بن علي على الزاب ولأخيه عبد الواحد على بلاد الجريد، وهما من بني مزني وذلك من باب الولاية ، بحيث تمكنو من فرض سيطرتهم على بسكرة بعد إلتحاقهم بعرب

---

[1]) ابن خلدون ، المقدمة ، ص586.

[2]) محمد المستنصر :يكنى أب عبد الله وهو ملك تونس كان عفا وعالما عاملا له شعر يصبي النفوس يلتذ بسماعه -الرئيس والمرؤوس كما أذهلت شجاعته الفوارس ، ابن الأحمر أعلام المغرب والأندلس ،ص 97 - 98.

[3]) فضل بن علي بن مزني :يعتبر جد أسرة بني مزني وأول امرائها قتل سنة - 683 ه / 1284 م ،ينظر : نويهض ،اعلام الجزائر ،ص 23

الذواودة ([1]) ولكن اضطراب أحوال إفريقية الحفصية جعلهم يواجهون أعداءهم السابقين من بني رمانة، وحلفاءهم من القبائل الأخرى ما أنهى سلطتهم على بسكرة والزاب إلى حين. إذ تمكن المستنصر من القضاء على ثورة أخيه أبو إسحاق ، فهاجمتهم جيوش السلطان المستنصر وأجهضتهم عن الزاب حينها لجأ الأمير أبواسحاق واصحابه من بينهم فضل بن علي وتوجهوا إلى الأندلس ،ومكث فيها إلى أن هلك أخوه المستنصر فعاد إلى تونس وتولى الخلافة ، وكان قد راع مواقف بني مزني فعقد للفضل بن علي ولاية الزاب ولأخيه عبد الواحد على بلاد الجريد وذلك ذك لا خلاصهما وخدمتهما 678 ه / 1279 م واستكان بني رمان لصولته وانقادوا في مرضاة الدولة إلى أمره وبالتالي خضع بني رمان لحكم بني مزني ([2]) وهذه المرحلة هي بمثابة الخطوة الأولى لتأسيس وقيام إمارة بني مزني([3]) وعند قيام ثورة المنشق المدعو أبي عمارة في 681 ه / 1283 م ([4]) وقد هلك السلطان أبو إسحاق على يده ،بعدها استغل بني رمان الظرف وتحركوا لاسترجاع ملكهم الضائع حيث تحالفوا مع أولاد حريز من لطيف إحدى بطون الأثبج المستوطنين بقرية باشاش فامتزجوا معهم بالنسب وأصهروا إليهم بحيث أغروهم بالفتك وقتل فضل بن علي "تحقق ذلك وأوقعوا به وقتلوه سنة 683ه / 1284 بعدها استبد بني رمان بشورى بسكرة و الزاب بعد أن تنكروا لحلفائهم بعد حولين من ذلك الحلف و نابذوهم العهد فخرجوا منه وتفرقوا في بلاد ريغة ([5]) .

ويصف ابن خلدون تحرك السلطان الحفصي ضد بني مزني في الزاب :

---

[1]) ابن خلدون ، المقدمة ،ص585 .

[2]) المصدر نفسه ، ص 587 .

[3]) إمارة بني مزني من أشهر الإمارات في بلاد المغرب الأوسط (الجزائر) وكانت عاصمتها بسكرة والتي حكمها أسرة بنو مزني ودام حكمها من من 1279م وإلى غاية م شملت بلاد الزاب ووادي ريغ وتقرت وورقلة توزر التونسية.وقد عرفت خلال هذه الفترة ازدهارا كبيرا إلى غاية سقوطها على يد الحفصيين . ابن خلدون ، تاريخ ، ج6 ، ص504 .

[4]) المطوي ، السلطنة الحفصية تاريخها ، ص 244 .

[5]) ابن خلدون ،المصدر السابق ،ص587 .

((ثم بلغنا بعدها حركة السلطان إلى الزاب سنة ست وثمانين وذلك أن أحمد بن مزني صاحب بسكرة والزاب لعهده كان مضطرب الطاعة يجير على السلطان ويمنع في أكثر السنين المغارم معولا على مدافعة العرب الذين ملكوا ضواحي الزاب والتلول دونه وأكثر وثوقه في ذلك بيعقوب ابن علي وقومه الدواودة.وقد مر طرف من أخباره في ذلك مثبوتاً في أخبار الدولة.وكاز ابن يملول قد أوى إلى بلده واتخذ وكراً في وجوه وأجلب على توزر مراراً برأيه ومعونته فأحفظ ذلك السلطان ونبه له عزائمه.ثم نهض سنة ست وثمانين يريد الزاب بعد أن جمع الجموع واحتشد الجنود واستألف العرب من بني سليم فصاروا معه وأوعبوا ومر على فحص تبسة.ثم خرج من طرف جبل أوراس إلى بلد تهودا من أعمال الزاب واعصوصب الدواودة ومن تبعهم من قبائل رياح على المدافعة دون بسكرة والزاب غيرة من بني سليم أن يطرقوا أوطانهم أو يردوا مراعيهم إلا بني سباع بن شبل من الدواودة فإنهم تحيزوا إلى السلطان.واستنفر ابن مزني حماة وطنه ورجالة قومه من الأتبج فغصت بسكرة بجموعهم وتوافت الفريقان وناوشهم السلطان القتال أياماً وهو يراسل يعقوب بن علي ويستحثه لما كان يطمعه به من المظاهرة على ابن مزني ويعقوب يخادعه بانحراف قومه عنه وائتلافهم على ابن مزني ويرغبه في قبول طاعته ووضع أوزار الحرب مع رياح حتى تتمكن له فرصة أخرى فتقبل السلطان نصيحته في ذلك وأغضى لابن مزني ولرياح عنها وقبل طاعته وضريبته المعلومة وانكفأ راجعاً ومر بجبل أوراس ثم إلى قسطنطينة فأراح بها ثم ارتحل إلى تونس فوصل إليها منتصف ست وثمانين.))

وقد حصل بنو رمان على تأييد ودعم السلطان أبي حفص ([1]) بتونس حيث قام السلطان باعتقال منصور بن فضل بن علي بعد قتل ابيه وهلاكه ([2]) ، وبعد تولي

---

[1]) حفص :هو أمير المؤمنين الناصر لدين الله المنصور يكنى أب حفص وهو الملك المنصور والأسد الهصور والكمي المنجد صمام الدولة الحفصية المرهوب البأس والصولة ،ينظر ابن الأحمر أعلام المغرب والاندلس ،ص 105 .

[2]) ابن خلدون ، العبر ،ج 6 ،ص 587

أبو زكرياء يحي بن الأمير إسحاق ([1]) وتغلبه على بجاية وقسنطينة وبونة ([2]) وانتقل بأمرها وانقسام السلطنة الحفصية تمكن منصور بن فضل من الهروب من محبسه بتونس ولحق ببجاية ، اي منصور بن فضل بن علي من بني مزني، استغل انقسام الدولة الحفصية للعودة من جديد إلى بسكرة من مركز قوة وبدعم من صاحب بجاية، فعقد له أبو زكرياء يحيى على ولاية الزاب وبسكرة وأمده بالعسكر ضمان لولائهم فدخل بسكرة سنة693 ه وانتزعها من بني رومان الذين بدورهم توجهوا إلى السلطان أبو زكرياء ببجاية للبيعة فرجعوا على أعقابهم إلى عاملهم المنصور الذي سخر بني رمان في بناء قصر له ولأنصاره وسور حول المدينة لضمان تحصينها ،ثم نابذهم العهد وثار بهم وأجلاهم عن البلد فكانت نهاية ملكهم في الزاب بعد أن استمكن المنصور بالزاب ورسخت قدم إمارته فيه ([3]) وبالتالي أصبحت بسكرة عاصمة الزيبان بقيادة أسرة بني مزني ترأس زاب بادس و زاب طولقة ،وزاب الدوسن ([4]) .

كما عقد السلطان أبو زكرياء للمنصور وأحكم سيطرته على حبل الأوراس ،وقرى ربفة وبلد ورقلة وقرى الحضنة: مقرة ونقاوس والمسيلة ودفعه إلى مزاحمة العرب في جبايتها وانتهاش لحومها إذا كانوا قد غلبو على سائر الضواحي([5]) .

وبذلك اتسعت ولايته إلى جبل أوراس وقرى ريغه وبلد واركلي وقرى الحضنة ثم تعداها إلى مناطق تلية أخرى، ولذلك زادت أمواله وقوي حكمه وأصبحت له استقلالية في الحكم مقابل الاستفادة العسكرية والجبائية للسلطة المركزية من ذلك .

---

[1]) زكرياء يحي :هو امير المؤمنين المستنصر بالله محمد بن الأمير اب زكرياء يحي بن امير المؤمنين المتوكل على الله أبي يحيى يكنى أبا عبد الله ملك بجاية ينظر : ابن الأحمر ، المصدر السابق ، ص 107 .

[2]) بونة : مدينة بافريقية بين مرسى الخزر وجزيرة بني مزغناي وهي مدينة حصينة، وهي على البحر، ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج2، ص402.

[3]) ابن خلدون العبر ، ج6 ،ص588 .

[4]) المصدر نفسه ، ج6 ، ص **588**

[5]) المصدر نفسه ،ج6 ، ص588 .

الفصل الثاني

المبحث الأول

عناصر السكان في بلاد الزاب :

لم تتوفر أي معلومات عن بلاد الزاب في المصادر الإسلامية بشكل تفصيلي لاسيما في الأمور الاجتماعية وخاصةً معلومات عن الأعراق التي تعيش هناك او التوزيع السكاني في المناطق في القرن الأول الهجري ، وكان اول مصدر تحدث عن هذه الأمورهو اليعقوبي (284 هـ/ 897 م) اذ كانت معلوماته اول معرفة لنا عن التوزيع السكاني لإقليم الزاب لاسيما المناطق التي تحيط بمدينة بسكرة ، فلقد لاحضنا من خلال نصوص اليعقوبي ان هناك تعددية واضحة في الأعراق في مدن الزاب ومايحيط بها من ارباض وبوادي ، حيث يبرز بصورة واضحة الانتشار الواسع للأفارقة والروم بمدن طبنة وباغاي ومدن وواحات بسكرة ([1]) .

اولاً – البربر :

وأول هذه الاعراق البربر وهم سكان المغرب القديم، الذين ملؤوا البسائط والجبال، يتخذون البيوت الحجارة والطين والخوص والشجر ومن الشعر والوبر وأكثر ولباسهم وأثاثهم من الصوف ، باعتبارهم شعوبا بدوية حرفتها الرعي، ولغتهم من الرطانة اعجمية متميزة بنوعها، وهي التي اختصوا من اجلها بهذا الاسم (البربر) ([2]) ، وينتسبون فيما يزعم نسابتهم إلى جد أعلى يسمى مازيغ بن كنعان بن حام ([3]).

---

[1]) اليعقوبي ، كتاب البلدان ، ص. 35

[2]) ا بن خلدون، العبر ،ج ٦ ، ص ٨٩

[3]) لقبال ،المغرب الإسلامي ، ص 17.

ويجمع علماء النسب انّ البربر ينتسبون إلى جزئين عظيمين هما برنس ومادغيس، ويلقب مادغيس بالأبتر فلذلك يقال لعقبه البتر، فلذلك يقال لعقبه البتر، ويقال لأبناء برنس البرانس ([1]) .

اما البتر فتجمعهم اربع فروع هي :اداسة ونفوسة وضرية وبنو لوّا الاكبر، ومنهم تفرعت بطون كثيرة، كهوارة ونفزاوة ولواتة ([2])، ويذكر ابن خرداذبة ان هؤلاء البربر كرهوا نزول المدن بسبب الروم والافارقة، فنزلوا الجبال والرمال، فعادت المدائن رومية حتى افتتحها المسلمون ([3])

واعظم بطونهم لواته، بفتح اللام والواو وألف ثم تاء مثناة من فوق وهاء في الآخر.وهم :بنو لواته الأكبر بن رحيك بن مادغش الأبتر ابن بربر. قال :وقال بعض النسابة: إنهم من ولد بربر بن قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، من امرأة تزوجها من العماليق بفلسطين، وأنه أخو هواره ومزاته وزناره وغيرهم. وحكى ابن حزم عن بعض النسابين :أن لواته من القبط، ثم قال :وليس بصحيح. واعلم أن لواته من أكبر قبائل البربر وأكثرها بطوناً، ومنها في بلاد المغرب الخلق الذين لا يحصون، وبالديار المصرية، وبالأعمال البهنساوية من الوجه القبلي! وبالجيزية، والمنوفية، والغربية، والبحيرة ([4]) .

وكانت من اعظم بطون البربر البتر اذ كانت أكثرها انتشارا فمن كان منهم في جبل أوراس يدهم هي العالية على باقي القبائل الأخرى، وكانت قوتهم العسكرية تناهز ألفا من الخيالة ، وتجاوز رجالاتهم العدة، فكانت الدول تستعين بهم في استحصال الضرائب بجبل أوراس من القبائل الغارمة، وكان من أكثر فروع لواتة حظوة وسيطرة بنو زنجان وبنو باديس وسدراتة ومزاتة... الذين كانوا بدوا ظواعنا

---

[1]) ابن خلدون، العبر ، ج ٦ ، ص ٨٩

[2]) ا بن خلدون، العبر، ج6 ، ص86 .

[3]) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ، ص91- 92

[4]) القلقشندي ، قلائد الجمان ، ص172.

في المنطقة ([1])، ويذكر البكري أنه يوجد حول بسكرة: ((قبائل البربر سدراتة وبنو مغراوة أهل بيت بني خرز وبنو يزمرتي))([2]) .

ومن خلال ما ذكرنا يتضح أن القبائل البربرية التي كانت تقطن بسكرة وضواحيها هي قبائل من البربر البتر وعلى رأسها سدراتة ومزاتة ومغراوة ([3]) .

واما زناتة : هذا الجيل في المغرب جيل قديم العهد معروف العين والأثر وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب في سكنى الخيام واتخاذ الإبل وركوب الخيل والتغلب في الأرض وإيلاف الرحلتين وتخطف الناس من العمران والإباية عن الانقياد للنصفة.وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراطنون بها وهي مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر.ومواطنهم في سائر مواطن البربر بإفريقية والمغرب.فمنهم ببلاد النخيل ما بين غدامس والسوس الأقصى حتى أن عامة تلك القرى الجريدية بالصحراء منهم كما نذكره.ومنهم قوم بالتلول بجبال طرابلس وضواحي إفريقية وبجبل أوراس بقايا منهم سكنوا مع العرب الهلاليين لهذا العهد وأذعنوا لحكمهم والأكثر منهم بالمغرب الأوسط حتى أنه ينسب إليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناتة.ومنهم بالمغرب الأقصى أمم أخرى وهم لهذا العهد أهل دول وملك بالمغربين ([4]) .

- البرانس وهم القبائل البربرية المدرية تركن إلى الاستقرار([5]) مثل قبيلة كتامة([6]) ، والبرانس عند النسابة سبعة فروع هي : ازداجة ([7])،

---

[1]) دحماني، تاريخ الجزائر ، ص 244-245 .

[2]) البكري ،المغرب في ذكر بالد افريقية والمغرب ،ص52- 72 .

[3]) البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص 13 .

[4]) ابن خلدون ، **العبر** ، ج7، ص2 .

[5]) الدراجي ،القبائل الأمازيغية ، ج 1 ، ص135 .

[6]) كتامة :هي من قبائل البربر بالمغرب أشدهم بأسا وقوة وأطولهم باعا في الملك عند نسابة البربر من ولد كتام بن برنس مستوطنون بأرياف قسنطينة إلى تخوم بجاية غربا إلى جبل أوراس من ناحية القبلة ، ينظر إبن خلدون ،العبر ،ج 6 ،ص 195

[7]) من شعوب البرانس، وينحدرون من جدهم الأعلى، أزداج بن برنس، ويعرفون ايضا باسم (وزداجة)، وقد كانت مواطنهم الأصلية الأولى بضواحي مدينة وهران بالجزائر، وكانت لهم حروب وفتن مع جيوش الخليفة الناصر الأموي بالأندلس، الى أن استصل شأفتهم قائده يعلى بن

ومصمودة ([1]) ، واربة، وعجيسة، وكتامة، وصنهاجة، واوريغة ([2]) ، واضيفَ معهم لمطة وهسكورة وگزولة ([3]) .

ويعرف عن البربر البرانس بشكل مجمل خضوعهم للمؤثرات الحضارية البيزنطية خلافا لما كان قد امتاز به البتر بغلبة البداوة التي قد تجعلهم أبعد نسبيا عن تلك المؤثرات ولو بصورة نسبية الى الحد الذي يظهر نوعا من التباين مع

أبي محمد اليفرني بأمر من الخليفة الأموي سنة 344 هـ ، فهجر زعماءهم الى الأندلس، وبقيت أوزاع منهم في مواطنهم مهضومين، في عداد القبائل الغارمة، ومن قبائلهم الشهيرة قبائل مسطاسة : نسبة لجدهم الأعلى مسطاس اخ أزداج، وفيها فرق كثيرة بالمغرب الأقصى، وأسر شهيرة يحمل أعلامها اسم المسطاسي وقبائل بني مسكن.ابن خلدون ، العبر ، ج6،ص 117.

[1]) مصمودة : من قبائل البربر من شعوب البرانس، نسبة الى جدهم الأعلى مصمود بن برنس ابي شعوب البرانس الأمازيغيين، وقال عنهم المؤرخ ابن منصور أنهم أقحاح الأمازيغ الذين لم يختلطوا بسواهم الا نادرا، وأهل المغرب الأقصى هم الأولون المختصون بسكنى جباله منذ الأحقاب المتطاولة، ولم يخرجوا من بلدهم الا بعد مجيء الاسلام إما لنشره بين من يجاورهم من الأمم والشعوب، وإما لتوطيد نفوذ الامارات والممالك المغربية فيما خلف من اوطان، وقد كانت مواطنهم الأصلية الأولى تبتدئ من شمال المغرب الأقصى من حدود بلاد الريف من جهة الشرق الى المحيط الأطلسي من جهة الغرب، ثم تمتد بمحاذاة الساحل الى الجنوب شاملة أزغار بمنطقة الغرب وتامسنا ودكالة والحوز حتى تتصل بجبال الأطلس الكبير الى سفوحها الخلفية المطلة على اقليم سوس، ثم تسير شرقا من رؤوسها الداخلة في المحيط الأطلسي الى ملتقاها بجبال الأطلس المتوسط بين تازة وتادلة عند (ثنية المعدن) المعروفة بين قبائل فازاز المفضية الى أكرسلوين بناحية سجلماسة حيث تبتدئ مواطن (الزناكة) وهي صنهاجة الجنوب، إذا فمصمودة هم أهل الجبال وغيرهم أهل البسائط الا قليلا. الإصطخري ، المسالك والممالك، ص 36، وكذلك ذكرها ابن حرذاذية ، المسالك و الممالك ، ص90 ، ابن خلدون ، العبر ،ج6، ص206-211.

[2]) شعوب البرانس، نسبة الى جدهم الأعلى أوريغ بن برنس، ويقال لهم ايضا (هوارة) تغليبا، وكانت مواطنهم الأولى في عهد الفتوحات الاسلامية بنواحي طرابلس وما يليها من مناطق برقة في ليبيا، وكانوا ظواعن وآهلين، ثم زحفوا مع الفاتحين العرب الى سائر المغرب الأقصى والصحراء، ثم عبروا البحر مجاهدين معهم الى الأندلس بقيادة طارق بن زياد، ثم الى جزيرة صقلية بقيادة أسد بن الفرات، وكانت لهم هناك حوادث وفتن معروفة في التاريخ، وينقسم شعب أوريغة الى أربعة شعوب حسب أبناء جدهم اوريغ بن برنس، وهم شعب لهانة : نسبة الى جدهم الأعلى لهان بن ملد بن أوريغ، ومن قبائلهم قبائل أسيل : من قبائل لهانة البرانس وقبائل سطات : من قبائل لهانة البرانس، وتكتب عند ابن خلدون (سطط) . ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص129

[3]) ابن خلدون، العبر، ج6 ، ص 116-119

المجموعات البرنسية القائمة على الاستقرار. ولعل هذا ما سيجعلهم ربما أكثر استعدادا لتقبل الثقافة الإسلامية ([1]).

الجغرافي الإدريسي (ت) بعد 560هـ / 1165م) ُحدِّثنا بأكثر دقة خلافا لمن كان قد سبقه من الجغرافيين مقدما لنا صورة عن الوجود البربري ببلاد الزَّاب.. ويؤكّد أنه العنصر الغالب على المنطقة ، ففي معرض حديث الادريسي عن المسيلة الواقعة على الجوار للمجال الزابي من الناحية الغربية نجد حضورا للجماعات بربرية متساكنة في هذا المجال، ويذكر منهم بالاسم كلا من بني برزال ومن أسماهم دنداح بدل زنداج وهوارة ومزاته. إلى جانب عدد من الزناتية كمغراوة وتجين([2]).

ويواصل الجغرافي الأندلسي البكري الحديث عن مدن كورة بسكرة ومدينة تهوذا، فرغم كون سكانها من العرب الا انه تحيط بهم جماعات محلية تتكون من هوارة ومكناسة المعتنقة للمذهب الإباضي([3]) .

وبحسب هشام جعيط وما استنبطه من المصادر، فان بلاد الزّاب انما هي في الأصل مجال خاضع لنفوذ جماعات أساسية فيه أبرزها كلا من أوربة وجزاوة وهُوّارة ([4]).

وقد توزعت القبائل البربرية في كافة مدن المغرب عامة ومدن الزاب خاصة نجد منها جراوة ([5]) ومطغرة من قبائل زناتة ([6]) وارتكزت في مدينة بسكرة قبيلة مغروا ة ([7]) وكذلك قبيلة سدراتة والتي تعتبر احدى فرق بطون زناتة بالإضافة إلى

---

[1]) غرايسة ، التحولات الاجتماعية والثقافية ، ص61 .
[2]) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج1 ،ص269.
[3]) البكري، المسالك والممالك ، ص254- 255 .
[4]) جعيط ، تأسيس الغرب الإسلامي ،ص156.
[5]) جراوة :من اقوى القبائل وهي فرع من فروع قبيلة زناتة تنسب الكاهنة ،ينظر ابن خلدون ،العبر ،ج 6 ، ص 189.
[6]) مجهول، الإستبصار ،ص ، 189.
[7]) مغراوة :من أوسع بطون زناتة ينسبون إلى مغرا و بن يصليتن بن مسر بن زاكايا بن ورسيك أخوة بني يفرن ، ينظر: إبن خلدون ، العبر ،ج 7 ، ص 33.

إلى بني خرز ، وبنو يزمرتي كلها توزعت على كافة مدينة مزاتة ببسكرة ([1]) و حولها من قبائل البربر سدراتة وبنو مغراوة.زيادة على ذلك تمركز بعض القبائل البربرية في بادس ([2]) الزاب ([3])، والعديد من القبائل من مزاتة وبنو زنداج ([4])،وبباغية قوم هوارة ([5]) وقوم أوربة في نقاوس ([6]) .

كما يوجد قوم بنو برنيان من زناتة جدهم الأكبر زانا بن يحيى([7]) ، زيادة على على ذلك وجود قوم بمقرة يقال لهم كزبرة وقوم يقال لهم سارسة ([8])، زيادة على هذا وجود قبائل زواوة ([9]) وبنو دمر بمنطقة أدنة ([10]) وبالتالي نستنتج أن مدن الزاب كانت موطن للقبائل البربرية من برانس وبتر وشكلت تركيبة اجتماعية متناسقة كان لها دور فعال في تطور مدن الزاب باعتبارها قبائل زراعية بالدرجة الأولى .

ثانياً ـ العرب

كما هو معلوم ان دخول العرب في الزاب كان مبكراً اذ كان الجند الذي اشترك في الفتوحات الإسلامية الأولى جُلهم من العرب ، الا انه في منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي حدث تحول كبير في البنية الاجتماعية المغاربية

---

[1]) البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ،ص 72 - 52.

[2]) يذكرها الحموي بكسر الدال المهملة وسين غير معجمة ويميز بين بادس الزاب وبادس فاس التي أتى على ذكرها دون أن يعطي أي تفاصيل عن سابقتها ، وهي من المدن الواحية التي يعزى تأسيسها الى الرومان. الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 317.. شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال، ص 106.

[3]) البكري ، المسالك والممالك ، ص 740 .

[4]) ابن حوقل ، صورة الأرض ،ص 85.

[5]) اليعقوبي ، البلدان ،ص 190.

[6]) ابن خلدون ،العبر ، ج 6 ، ص 42.

[7]) بوزياني الدراجي ، القبائل الأمازيغية ،ص280.

[8]) ابن عذارى ، المصدر السابق ،ص - 25.

[9]) زواوة :من بطون البربرالبتر من ولد سمكان بن يحي بن ضري بن زحيك ابن مادغيس الأبتر وهم من أكبر بطون البربر ومواطنهم متصلة بمواطن كتامة ،ينظر ابن خلدون ،العبر،ج 6 ، ص 168 - 200.

[10]) اليعقوبي ،البلدان ،ص 191.

عامة شمل مختلف مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية واللغوية والجنسية والدينية نتيجة الهجرات المتدفقة نحو المغرب والتي عرفت بهجرة بني هلال، الذين بدأوا يستقرون في بلاد المغرب الاسلامي استقرار البدو، شيئا فشيئا، طوعا وكرها رغبة ورهبة ([1]) .

ومهما يكن فإن الثابت أن العرب قدموا الى بلاد المغرب على شكل موجات متوالية، وتعتبر الموجة المرافقة للفتح الإسلامي أولها وبفضلها تم إفراز واقع جديد ساد بلاد المغرب، تمثل في انتشاراللغة العربية ([2]) .

لقد شكل العنصر العربي والفارسي الوافد في صورة قبائل الجند المجموعة البشرية الثالثة القاطنة في مدن الزاب كما اشار اليعقوبي، مما يعطي لنا في النهاية مدن متعددة العناصر البشرية والديانات في مواجهة ريف محلي (بربري) معتنق لإسلام إباضي مرتبط أساسا بالأئمة الرستميين في تاهرت. كما يدل أيضا على عملية سيطرة بالقوة لهذه الجماعات مما يدحض فكرة "الصلح" التي دافعت عنها بعض الكتابات الفقهية. نلاحظ استمرارية واضحة في عملية تعريب لها على غرار بسكرة وتهودة وبادس مما يعطي لنا مؤشراً على استمرارية الاستيطان البشري في هذه المناطق رغم الهزات التي تعرضت لها ([3]) .

تعود الجماعات الهلالية والسليمية في أصولها الى قبيلة مضر العربية و كانت مواطنهم قبل الفترة المغاربية بالجهات الشرقية من نهر النيل بمصر، وصارت هذه المجالات بعد استقرارهم فيها موطنا رئيسا لهم مع مرور الزمن ([4]) ، وقد كانت أبرز الفروع المشكلة لهذا القبيل ممثلة في كل من جشم والأثبج وزغبة ورياح وعدي وربيعة ([5]) .

---

[1]) بوخالفة، المهاجرون الهلاليون ، ص 17 .
[2]) توبراس ،ر ، تعريب الدولة ، ص47 .
[3]) المرجع نفسه ، ص48 .
[4]) ابن خلدون ، العبر، ج6 ، ص 18 .
[5]) المصدر نفسه ، ج6 ، ص 19 .

وتعتبر منطقة الزاب وبسكرة وجبال اوراس البوابة التي دخلت منها هذه القبائل إلى المغرب الاوسط، حيث استقر عدد من بطون بني هلال وسليم في منطقة بسكرة وما جاورها، فاستقرت ثبج التي كانت اوفر الهلاليين عددا وا كثرها بطونا، وكان منهم الضحاك وعياض ودريد وكرفة، حيث كانت مواطن دريد جبل اوراس من شرقيّه، كما نزله منهم كرفة الذين كانوا ظواعنا في تخوم الزاب، وكذلك الحدلجة الذين استقروا بجبل اوراس مما يلي زاب تهودا إضافة إلى بنو محمد والمراونة واولاد نابت الذين كانوا كذلك ظواعنا جائلة في القفار، وربما يستعملهم صاحب الزاب في تصاريف أمره من عسكر وإخفار، واما الضحاك من الا ثبج فكانوا بطونا كثيرة، انتشرت في كل المغرب الا وسط والا قصى وسجلماسة، لكن كان مركزهم الزاب حتى غلب عليهم الدواودة - أبناء دوّاد بن م رداس بن رياح- وأصاروهم في جملتهم، ويذكر ابن خلدون ان هذا الفرع من الاثبج وهم الضحاك، عجزوا عن الظعن فنزلوا بلاد الزاب واتخذوا بها المدن، وكان من بطون الاثبج كذلك لطيف الذين نزلوا بلاد الزاب ا يضا، واتخذوا بها الا طام والمدن مثل الدوسن، وغَريبُوَا، وتهودة، نومة، وبادس، ومن بني قرة الا ثابج بطون بطون من أولاد فارس، وأولاد عزيز، واولاد ماضي، الذين استقروا بسفح جبل اوراس المطل على بسكرة قاعدة الزاب، متصلين كذلك غربا إلى مواطن غمرة، وهم في جوار رياح وتحت أيديهم ([1])

((ومن بني سليم مَلَكَ الكسوب ومرداس ضواحي الجانب الشرقي كلها من قابس إلى مجالات الزاب وريع، وأما الزاب فالجانب الغربي منه وقاعدته طولقة، فكان لأولاد محمد وأولاد سباع بن يحي بن من رياح الهلالية، والجانب الأوسط منه وقاعدته بسكرة، فكان لأولاد محمد وفي مجالاتهم، وأما الجانب المشرقي من الزاب

[1]) سعيد دحماني، تاريخ الجزائر في القرون الوسطى ، ص 115

وقاعدته بادس وتنومة، فهو لأولاد نابت رؤساء كرفة الأتايج، وليس هو من مجالات رياح)) ([1]) .

في معرض حديث الادريسي عن المسيلة قدَّم افادة مهمة تتعلق بما تعرضت له الجماعات العربية بسبب المجاور للجماعات البربرية ومخالطتها لها لمدد زمنية طويلة كانت كافية لتحولهم إلى أن صاروا بربرا بعد أن كانوا عرباً خلصاً. كما أشار الى طبيعة التركيبة المجتمعية بطبنة التي لم يشذ فيها الادرسي بتأكيده على ما كان مميزاً لها من تباين اجتماعي في ظل اعتبار أن أهلها كانوا أخلاطا من البربر والعرب على حد سواء([2]).

ويواصل الجغرافي الأندلسي الحديث على مدن كورة بسكرة معرجا على مدينة تهوذا، مركزاً على "أوليتها" وبسكانها المنتسبين لجماعات قرشية على مذهب أهل العراق([3])

إن التعريب الذي باشرته المجموعات العربية للمستقرة تزامنا وحراك عملية الفتح، يكون قد هيا للمناخات الثقافية التي ستدعمها المجموعات الهلالية الطامحة للاستقرار. مما يعني حتمية التعامل مع الوسط الاجتماعي الذي سعت لإخضاعه لسيطرتها الثقافية.

عرفت بلاد المغرب الاسلامي في المرحلة الثانية وهي المرحلة المكملة لمرحلة الفتح ظهور مايعرف في التاريخ المغاربي الوسيط بالطلائع العربية ، والتي تتمثل في الجيوش التي أرسلها بني أمية لإخماد الثورات في بلاد المغرب، التي تأثر بلغتها أبناء المغرب ([4]) .

كما ان تعاقب الدويلات الخارجية ببلاد المغرب كان له الأثر الايجابي على تعرب البربر ونشر الثقافة الاسلامية فالدولة الرستمية التي تأسست سنة 160ه ،

---

[1]) ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص25

[2]) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج1 ،ص269.

[3]) البكري، المسالك والممالك ، ص254.

[4]) سواعدي ،، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، ص30

فقد لعبت هذه الدولة دورا بارز في الحياة الفكرية والتعريب بصورة عامة ببلاد المغرب الأوسط ،وبرزت عاصمتها تيهرت كحاضرة علمية بإمتياز حتى سميت بعراق المغرب ([1]) ،

أما الأغالبة فقد عرفت التشبع بمعالم الثقافة الإسلامية في فترة متقدمة و تحديدا مع بدايات الفتح الإسلامي([2]) وهذا يرجع في الأساس الى جذور هذه الدولة العربية الخالصة وذلك لأن مؤسسها هو ابراهيم بن الاغلب سنة 184ه/800م، واستندت هذه الدولة على عصبية القبيلة المتغلبة على الجميع وهم بنو الأغلب ([3]).

وبالمقابل فإننا نجد أن مجال انتشار البربرية كان على نطاق ضيق جدا لعدة إعتبارات منها :كان استعمال اللهجات البربرية في هذه الفترة مقتصرا على الجانب الديني عكس اللغة العربية التي اخذت حيزا كبيرا في التعامل التواصلي([4]) .

إضافة الى الأثر الإيجابي الكبير الذي تركته هجرة بني هلال وبني سليم للمغرب ، ففي البداية أدى تواجدهم في المغرب الأدنى والمغرب الأوسط الى انتشار اللغة العربية ، ثم كان وفودهم الى معقل الموحدين بالمغرب الأقصى بعد أن قام المنصور الموحدي بإستقدامهم حال إظهارهم له الولاء بعد قضائه على ابن غانية ، فإمتزجوا وتجانسوا مع سكان بلاد المغرب ،وعرفت اللغة العربية وثقافتها في عهده انتشارا فقد رافق استقرار الهلاليين تعميقا لحركة التعريب والتي شاع صوت لسانها بالمجالات الريفية البربرية مما يعني يعني أن المناطق الحضرية ربما تكون قد خضعت بصورة شبه تامة للسان العربي على الأقل من حيث هو لغة التخاطب الرسمية ([5]) .

---

[1]) بحاز ، الدولة الرستمية ،ص263 .
[2]) التليسي ، الاتجاهات الثقافية ، ص72 .
[3]) غلاب ، قراءة جديدة في تاريخ المغرب ،ص179.
[4]) الشاوش ، تاريخ تعريب المغرب الأقصى، ص12 .
[5]) بن سعيد ، أثر اللغة العربية ، ص103 .

ومع ما تحقق من نجاح في تعريب عدد من القبائل بالمجالات البربرية ([1]) والذي تغلب عليه صفة العموم على ما يدو. فقد جاء هذا الحراك الاجتماعي لإحداث جانب من التغيير في المكون العنصري([2]). وادى ذلك الى تغييرات اجتماعية مهمة ، سيكون في بعض ملامحها غير قادرة على الاحتفاظ بنمط المعيشة السابق القائم على النشاط الرعوي وما يفترضه من ضرورة التنقل من واحات الصحراء إلى المناطق التي تقع في شمالها ([3]) .

ثالثاً - المولدون وعناصر أخرى :

من جهة أخرى كانت من الأعراق البشرية في مجتمع المغرب الأوسط لاسيما الزاب ما قبيل الفتح تشمل من اسمتهم مصادر الفتح بالبيزنطيين ([4]) ، الذين لا يبدو أنه كان لهم حضور كبير في المشهد الاجتماعي كون البعض قد ذاب في المنظومة المجتمعية الجديدة والانخراط في الحياة العامة لبلاد الزاب([5]) باعتبارها أهم المواطن الحضرية لهم. وإن كان التجاني (ولد بين 670 - 675هـ /1272 - 1277م) قد أشار لوجود رومي ببلاد الجريد، فإن ذلك لا يعني تقدمهم نحو الجهات الغربية حيت بلاد أشوف في ظل ما أفادنا به من التزامهم بمقتضى إملاءات الفتح) ([6]) .

ويشير البكري، الذي يقول في سياق وصفه لمدينة بسكرة: ((... سكانها المولدون، و حولها من قبائل البربر سدراتة وبنو مغراوة ...)) ([7]) إذن يمكننا أن نستنتج أن بقايا الروم التي تحالفت مع كسيلة بقيت في بسكرة وما جاورها، فانصهرت في المجتمع البربري المتواجد ببسكرة آنذاك وتمازجت به ومع توافد

---

[1]) مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص 63

[2]) **محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين**ج3،مادة (بربر) ،ص 805 .

[3]) جورج مارسيو، **المرجع السابق**، ص23

[4]) جعيط ، تأسيس الغرب الإسلامي ، ص156 .

[5]) ابن الصغير ، اخبار الايمة الرستمية ، ص41 .

[6]) الرقيق القيرواني ،تاريخ افريقية والمغرب، ، ص155.

[7]) البكري، المغرب، ص 137.

العرب الفاتحين، ثم العرب الهلاليون الذين استقروا بالمنطقة، فشهدت وكباقي بلاد المغرب الاسلامي علاقات مصاهرة وتمازج بين العرب والبرير ، أدت إلى ظهور فئة اجتماعية جديدة عرفت بالمولدين ، أي الذين لديهم أصل مشترك بين العرب والبربر أو حتى بقايا الروم، والذي أدى في الأخير إلى تعريب المنطقة بشكل شبه كلّي نتيجة لتأثير العرب واللسان العربي على البربر.

كما ان هناك عدد من العناصر غير البربرية التي كانت هي الأخرى تتخذ من بلاد الزاب تحديدا موطنا لها. و التي على ما يبدو نتاج الحراك الاجتماعي السابق على ما يبدو لفترة الفتح. لكنهم أقرب لأن يكونوا جماعات محدودة عدديا في ظل ما مثله البربر من كونهم السواد الأعظم للمجال المغربي ([1]) .

أما بالنزول جنوبا وبالوصول إلى مناطق واحات بلاد الجريد فيبين الادريسي بأن لسان أهل قسطيلية المحاذية لمناطق الزاب وأسوف كان لاتينيا في اشارة الى كونه لم يكن لا عربيا ولا بربريا بما يعني وجود بقايا لغوية محافظة على تراثها اللغوي من فترة ما قبل الفتح رغم أنهم كانوا منتسبين للجماعات البربرية ([2]) .

---

[1]) الفقي، تاريخ المغرب والأندلس ، ص14-13 .

[2]) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج1 ، ص278 .

المبحث الثاني :العوامل الثقافية :

العادات وتقاليد المجتمع بمدن الزاب :

تنوعت التركيبة الاجتماعية لمدن بلاد الزاب ، وكانت طبيعة تركيبتها البشرية متباينة تتسم بالاختلاط بين المكونات الاجتماعية مما جعلها نقطة استقطاب لجميع الجماعات التي كان لها حضور ببلاد المغرب . المجموعات العربية وربما قصد بهم القيسية واليمنية التي كانت حاضرة في بلاد الزاب، إلى جانب العناصر غير العربية التي كانت تحمل صفة الجند. إضافة لبقايا كل من البيزنطيين وحتى الأفارقة ، إضافة الى العنصر البربري ([1]) .

وكذلك نظراً للفترات التاريخية التي مرت بها المنطقة احتوت هذه المدن واكتسبت مجموعة من العادات والتقاليد التي عكست الطابع الاجتماعي للمنطقة ويمكربريعنصر البن تلخيصها فيما يلي :

1 - الختان : -

إذا بلغ الطفل 5 سنوات من العمر أو ما يقرب منها تم ختانه فيؤتى بالحجام إلى الداى ويباشر العملية بحضور المدعوين الذين يتبرعون للطفل بالنقود كي يصبروه على ما يقاسي من الألم ثم يتناولون الغذاء المعد لهم ، يختن الطفل خارج الدار أي بحانوت الحجام ثم يؤتى به إلى المنزل ملفوفا في فوطة والختان هو الطهارة ويقام بهذه المناسبة ([2]) ، مأدبة يدعى إليها الأهل والأقارب كما وجد لديهم ما يسمى بالصنيع ، وهي مجالس اللهو والطرب التي كان يصطحبها غالبا النفخ بالبوق والضرب على العود واحتساء الخمر وشرب المصطارا ؛ وهو عصير العنب قبل طبخه وتخمره([3])

---

[1]) اليعقوبي ، البلدان ، ص190 .
[2]) محمد شاوش رمضان، باقة السوسان ، من 54 .
[3]) أبو مصطفى، كمال السيد ، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، ص 46.

كان يتم هناك ختان جماعي ،وقد عبر عن ذلك القاضي النعمان بقوله ((والختانون على الكراسي وبين أيديهم المنابر لجلوس الصبيان ويمسكونهم في حجورهم ، ويذرون الذرارات الممسكة للدم على ختاناتهم ويقفون في البخور وماء الورد على رؤوسهم ويرشونهم على وجوههم ، ويصحبون من طهر منهم يزفون به إلى منزله حيث تنتشر الأعياد والمسرات ويعطون لكل صبي مائة درهم كان يتم الختان في كامل البلاد فكانوا يكسون ويصلون لايغيب من ذلك شريف ولا مشروف ولا حر ولا عبد ،قريب ولابعيد ،حاضر ولاباد)) ([1]) .

2 الزواج : -

يعد الزواج من العادات الاجتماعية حيث أن الحاكم يستدعي أحد افراد رعيته إلى مجلسة ليخطبه في ابنته ، وكان الرجل يشتري مايصلح لا تمام الزواج وكان يأمن البيت ومتطلبات ال زواج وكما هو السائد أخذ الموافقة من الم أ رة إذا كانت موافقة اتخذت وإن لم تكن موافقة نظر في غيرها أحسن وأوفق ([2]) وكانت تقام الولائم بمناسبة الزواج حيث يجتمع الأقارب لتناول الطعام في هذاه المناسبة ([3]) .

ان الشاب يراعي عند اختيار شريكة حياته ان تكون بمستواه الاجتماعي والاقتصادي فيطلبها على قدر ذات يده في مؤونتها وقناعتها حتى يبق في يده ما يستغني به(1)، واذا تم الاتفاق حددوا يوما لاجراء الملاك عقد القران يحضره عدد من المدعوين وقد افادنا المقدسي بحضوره املاكا ومثله فعل ابن زرياب كاتب القاضي عيسى بن مسكين توفي 295هـ / 908م، وكانت هذه العملية تكلف الشاب مبلغا ماليا وربما كان ينفقه على اعداد وليمة وتقديم بعض الهدايا للخطيبة ([4]).

---

[1]) القاضي النعمان ،المجالس والمسايرات ، ، ص 557 .
[2]) المصدرنفسه ،ص 543 - 544.
[3]) عبد الكريم ،العادات ،ص 320 .
[4]) المرجع نفسه ،ص 320 .

أما اصحاب الوثائق فيقومون بكتابة عقد النكاح ويسجل فيه شرط كل من الخاطبين، ثم يشهد على هذا الشهود وذكر المقدسي قائلا: امرني ابو الطيب حمدان ان اكتب شهادتي ويرجع هذا الى حض القرآن على كتابة العهود والمواثيق والى توفر الكتاب في المدن ([1]) .

الا ان الأمر يختلف في القرى والارياف والقبائل الطاعنة، فيبدو أنهم كانوا يكتفون بقراءة الفاتحة بحضور الشهود دون كتابة شيء ما، ويظهر هذا من قصة رواها رواها البكرى بشأن شيخ خرج رفقة امرأته الشابة الى قلعة بني فصحبة فتى أوقع المرأة في غرامه فاتفقا على ان يدعي كل منهما زوجية الآخر ويسقط الشيخ ، وحين شكا الشيخ امره الى حماد – مؤسس الدولة الحمادية لم يجد وسيلة لاثبات زوجيته لها الا اللجوء الى كلب كان يرافقهما، وما كان حماد ليلجأ الى هذه الوسيلة لو كان هناك عقد نكاح بل ما كانت المرأة والشاب ليقدما على الأمر([2]) .

3- الصيد والفروسية :

كانت بعض فئات سكان المغرب الأوسط تمارس الصيد، فكان مما طمن به نفاث بن نصر على الامام افلح بن عبد الوهاب خروجه للصيد فكأنه كان مولعا به. ويقدم ابن الخطيب في شخص الأمير يحيى بن العزيز الحمادي ([3]) صورة عن المولعين بالصيد فذكر انه كان يستدعي المضحكين وجوارح الصيد فيختبر هذا البازي ويتفقد هذا الكلب وينتهض هذا المضحك بالنوع الذي سلكه فيلهيه ويضحكه .

وكانوا يقضون أوقاتا في ممارسة الفروسية التي اشتهروا بها كما سبق وهم في هذا الشأن اشبه الناس بالعرب، الأمر الذي يحتمل معه ان تكون المباريات قد جرت، ليس بين فرسان ينتمون لنفس القبيلة فحسب، بل ينتمون لقبائل مختلفة ومن

---

[1]) عبد الكريم ،العادات ، ص321.

[2])المرجع نفسه ، ص322 .

[3]) يحيى بن عبد العزيز الحمادي هو أبو زكريا يحيى، وهو آخر ملوك بني حماد، من مواليد 515 هـ و توفي سنة 558هـ ، تولى الحُكم بعد أبيه عبد العزيز، كان يحيى رقيق الّنفس مستعبدا للنساء والّلهو، و همه الوحيد وشغله الشاغل إذا خرج من القصر، هو الصيد، كذلك كان فصيح اللسان أديبا حلو الكلام . الميلي ، مبارك ، كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ص267.

الطبيعي مادامت أكثر زناتة فرسانا يركبون الخيل ان يشغلوا انفسهم بركوبها والتفنن فيها، بل والتدريب عليه فيشير أبو زكريا الى ان المعتزلة بتاهرت طلبوا من أيوب بن العباس ان يلاعب فتيانهم على فرسه ففعل. ثم ان فتيان الحي المعتزلة ركبوا خيولهم واخذوا قضبانا يترامون بها (3) .

4- استعمال البخور : -

هذه العادة سائدة في بلاد المغرب الأوسط وبلاد الزاب خاصة ،وقد استخدم البخور في عدة مناسيات وفي العديد من المجالات وكان يستخدم لتعطير المساجد ([1]) كما كان يمزج مع ماء الورد لتعطير الصبية الذين يتم ختانهم حيث يذرون البخور على رؤوسهم ([2])

5 - إستعمال الحناء والكحل : -

كان يستعمل من طرف النساء والرجال على حد سواء وكانت تستخدم الحناء في تخضيب اليدين والقدمين وفي تخضيب اللحية ، وكانت تستعمل كدواء وعلاج لألم يصيب الأطراف ([3]) .

6- الملابس : -

يعد اللباس عنصر أساسي يعبر عن ثقافة المجتمع وتقاليده ومدن بلاد الزاب اختصوا بنوع معين من اللباس ،حيث كان السكان يلبسون البرانس منها البرانس السود ،ومنها البرانس البيضاء وهو عبارة عن لباس من صوف يستخدم في الشتاء للوقاية من البرد وقد أطلق هذا اللباس على قبائل البرانس لانهم كانوا يلبسونه ،

---

[1]) عبد الكريم ،العادات ، ص321 .
[2]) القاضي النعمان ،المجالس ، ص 557.
[3]) عبد الكريم ،العادات ، ص322 .

وربما كان هذا اللباس وراء اطلاق ابن خلدون لقب برانس على الذين يلبسونها، وقد اجتهدوا في صناعته وكانت المادة الاساسية لصناعته الصوف وبلغ البرنس ثماني أواقي عندهم ([1]).

وأشار ابن الصغير الى الاكسية فذكر ان الامام عبد الرحمن بن رستم امر بجميع ما بقي من مال الصدقة فأشترى اكسية صوفا فوزعها على الناس وهي البسة صوفية غير مفصلة، يلتحف بها كالحائك دون ان تغطي الرأس([2]).

كما أن عامة السكان من البربر وهم الذين عبر عنهم بالسوقة كانوا يلبسون المناديل، والمنديل لباس صوفي يغطي الرأس ويتدلى على الكتفين والظهر ويمكن ان يكون المنديل عمامة أو زنارا يتمنطقون به من نفس نوع القماش الذي يلبسونهلبسوا الجبة ([3]) ، وهي في العادة من الصوف الا انها قد تكون احيانا . الحرير، وقد اشار ابن الصغير الى انتشار لبسها فذكر ان الامام عبد الرحمن اشترى اضافة الى الاكسية السالفة الذكر جبابا صوفا واشرنا الى ان المعز الفاطمي كان عليه جبة، وهي لباس طويل تتدلى الى الركبة وقد تزيد، ويبدو أنها لباس متواضع، إذحين أخذ الشاعر ابن النحوي على نفسه بالتقشف سنة 394هـ / 1004م البس جبة صوف الى ركبته وكان هذا شأن ابن تومرت، فذكر ابن القطان عنه انه ما لبس الاثياب الصوف من قميص ومن سراويل ومن جبة تواضعا ([4]) .

اهتمت نساء المغرب حيث وصفن بأفخم عبارات الحسن والجمال، لأنها زينت نفسها . وسائل الزينة فقد كانوا يدهن شعر رؤوسهن بزيت أرغان ليطول ويمسك ويجعلن الحناء في أيديهن وأرجلهن ويتحلين بالفضة والذهب والخواتم ، وبالنسبة إلى لباس الحماديين فقد كانوا يصنعون بقلعة بني حماد العمائم والأقراقى الزرارية والفتوحيات وشواشي الخز والأكسية بالإضافة إلى هذا فقد لبسوا الجبة الطويلة

---

[1]) ابن خلدون ، المقدمة ، ص22 .
[2]) ابن الصغير، سيرة الأئمة ، ص 327
[3]) عبد الكريم ، العادات، ص ص 330-331.
[4]) ابن القطان،نظم الجمسان ، ص 132

والقميص والسروال والفرو والأقراط التى تعتبر من أقدم الحلي الفضية الحمادية وقد تنوعت أشكالها من المستديرة والبعض شكل حلقات بسيطة، والأساور التي كانت تزين معصم المرأة وعضدها من فضة والمشبك والمداليان 5أما بالنسبة للملابس عند الزيانين فقد كانت تختلف من طبقة إلى أخرى من المدنين والعسكريين والحضر وكانت توجد ملابس خاصة بالصيف والشتاء وأغلبها مصنوعة من الصوف والقطن والحرير كما يوجد ملابس أندلسية في المجتمع الزياني واشتهارها بصناعة المنسوجات حسب ما أورده الإدريسي خلال القرن السادس هحري والثاني عشر ميلادي وكانت السلع فقد كانت تصل باستمرار إلى هذين المنائين وغيرها من الموانئ الزبانية ومن بين تلك الملابس المرية الخاصة بالعرائس والبدن([1]).

7- المرأة ودورها :

من خلال بحثنا لاحظنا أن المصادر لم تأتي على ذكر الم أ رة ببلاد ال ا زب بحيث انها تقتصر على نشاط الكاهنة السياسي أيام الفتح الإسلامي لكن هذا لا يمنع من أن تكون الم أ ر ة عنصر فعال في المجتمع حيث كان لها دور أساسي في البيئة الأسرية أتيحت لها قيادة الأسرة وحظيت بكونها زوجة بمكانة هامة وتقدير وكانت المرأة تشارك الرجل في شؤون الحياة، تحطب وتسقي و تحلب الماشية ونسج الملبس و الخيمة ([2]) .

وبالرغم من القيود الاجتماعية التي فرضتها التقاليد على المرأة الريفية إلا انها أسهمت بدور بارز، في تدبير شؤون المنزل ([3]) ، والقيام بأعبائه، وتربية الأطفال وكانت تنشط في مجالات أخرى كالغزل والخياطة ([4]) .

وكان البدو ينظرون إلى المرأة كأداة متعة ونسل ويرغب في أن تلد له غلمانا يكاثر بهم غيره ويقوي من مكانته في القبيلة ويديم بهم بقاءه من بعده ([1])، وتميزت

---

[1]) بورو يبة: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ،ص 163
[2]) بن منصور، قبائل المغرب، ، ج 1، ص 354
[3]) حساني، تاريخ الدولة الزيانية ، ج 3، ص 198 .
[4]) فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني ، ج 1 ، ص 192 .

المرأة الريفية بعلاوة أخلاقها و المرأة الريفية في المغرب الأوسط حظيت بمكانة مهمة رغم المعاناة في بعض الأحيان، واستطاعت أن تسلط الضوء على أهم أ عمالها، التي كان معظمها من خاصة الرجال، وإبراز دورها في المجتمع الريفي الذي كان مقترنا بالسمة الرجالية، حيث سيطر الرجل على كظاهر الحياة الدينية والفكرية والاقتصادية والسياسية ([2]) .

وكانت المرأة تعتز بعقيدتها وشكلت جزءاً من شخصيتها وتحملت في سبيلها المصاعب والعواقب تذكر المصادر الاباضية قصة وصول امرأتُين ليوَّاتيتين ونزولهما منطقة تجديتٍ بأرًيغٍ. هربا بمذهبمها بعد تحول منطقة الوافدتين (طرَّة)إلى المالكية خوفا على نفسيهما من الإكراه ([3])

8- الترحال والهجرة :

لقد تسبب وصول الهلاليين في حركة هجرة نحو الغرب والجنوب ابن خلدون([4]) وقد ذكر خاصة تأسيس زناتة لعدة قرى محصنة في ورقلة إن فكرة الاقتلاع الكلي للجماعات البربرية تحتاج إلى إعادة نظر. يبدو أن القادمين الجدد أصبحوا أسيادا للسهول والهضاب وقاموا بتقليص الجماعات البربرية الموجودة عن طريق الاستعباد أو عبر الإلحاق السكاني. لكن في الجبال حافظت التجمعات البربرية على سيطرتها على المجال على شاكلة هوارة في الأوراس التي كانت هدف غزوة السلطان الحفصي أبي إسحاق في سنة 648هـ/ 1250م ([5]) .

اما لواتة، لماية بني يفرن، بني مغراوة بني ،برزال وعجيسة فقد ذكر ابن خلدون ([6]) أنهم مارسوا البداوة في زمنه في الناحية الممتدة بين مرماجنة([1])

---

[1]) عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج 1، ص 354 .
[2])فيلالي، تلمسان في العهد الزياني ، ج 1، ص 294 .
[3]) الوسياني، سير الوسياني، ج 2، ص 667.
[4]) ابن خلدون ،العبر ، ج7، ص51 .
[5]) ابن الشماع 1984: 76ج
[6]) ابن خلدون ،العبر ، ج6 ، ص141-142 .

وبجاية وأنهم جاوروا بني سليم. وبعد خضوعهم للاستعباد فقد تأثروا بأسلوب حياة القبائل العربية. كذلك فإن جماعة عجيسة في الجبال المطلة على مدينة المسيلة تعرضت للاستعباد وتم استبدالها بـ عياض ابن خلدون ([2]) بالنسبة لزناتة فروعها الرئيسية مثل بني يفرن بني مغراوة وبني برزال فقد تخلوا في أغلبهم عن الزاب وقرروا الانتقال إلى جنوب تلمسان وإلى المغرب الأقصى وكذلك في واحات الصحراء. ومن بقي بالزاب أصبح تابعا للهلاليين ([3]) .

وهجرة بني عبد الواد وقد تحدث عنهم الإدريسي في رحلته فذكر انهم من بين السكان الأراضي المحيطة بمدينة بسكرة، ثم انتقلوا نحو سهول التلية على عهد الدولة الموحدية وتمركزوا في الأراضي المحصورة بين وطن شلف وتلمسان إلى جوارأخوانهم من الزناتين مثل بني توجين ومغراوة ([4]) .

9- الايمان بالخرافات والاساطير :

يمتاز سكان ريف المغرب الأوسط بميلهم واعتقادهم بالمغيبات والسحر وانتشار الكهانة منذ ما قبل الإسلام([5]) ،ومثل هذه العقلية تكون سريعة الانقياد للزعماء والقادة الذين يعرفون استغلال هذا الضعف، ورغم اعتناق البربر الإسلام واستمرت الكهانة كظاهرة اجتماعية، فكان في قبيلة غمرت كاهن يسمى موسى بن صالح المشهور عندهم وكان يتنبأ بأن يكون لزناتة من الملك والتغلب على أحياء وقبائل والبلدان ([6]) ،ويذكر الوزان بقوله : ((أن أحد النساك كان يقيم في سهل خالي فالتف حوله السكان واعتبروه من الأولياء وصدقوا خرافاته وسحره، وانتشر صيته في كامل إفريقيا، ويعظم الأعراب هذا الرجل ويقدرونه، ومن الأشياء التي

---

[1]) مرماجنة: قرية قديمة بتونس تقع على مرحلة من سبيبة وعلى نحو ثلاث مراحل من القيروان. مؤلف مجهول، الاستبصار، ص162؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ5، ص109.

[2]) ابن خلدون ،العبر، ج6، ص145 .

[3] المصدر نفسه ، ج7 ، ص8 .

[4]) حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ، ج 1، ص، ج 3، ص 18 .

[5]) عميور سكينة، ريف المغرب الأوسط في القرنين ، ص 279 .

[6]) بكاي، عبد الملك، الحياة الريفية في المغرب ،ص 156 .

أطلعني عليها بعض الكتب الخاصة بالسحر والكيمياء محاولا أن يبرهن لي على أن السحر علم لدرجة إني جعلت اتهمه بأنه ساحر، وذلك لأني رأيت الناس يبالغون في تقديسه وتعظيمه دون أن يفعل أو يقول يخترع شيئا . أخر عبر ما وصفه من دعاء الله بأسمائه الحسنى)) ([1]) .

كما أن سكان بسكرة يؤمنون بالأساطير والكرامات، شأنهم في ذلك شأن أغلب الناس في العصر الوسيط، حيث يذكر البكري أنه في إحدى جبال بسكرة والمعروف بجبل زيقيزي. كيف به رجل قتيل لم يغيره مر الزمان و تقادم الدهور، نبض جراحه دماء كأنما قتل منذ يومين. وتخبر الكافة عن الكافة أنهم لا يعلمون متى قتل قدما، وقد نقله أهل تلك النواحي ودفنوه في أفنيتهم تبركا به ، ثم لم يلبثوا أن وجدوه في الكهف على حاله ويذكر أنه يحدث بذلك ثقات أهل تلك الناحية([2]) ، ويزيد الحميري أن أبو الملشوني الذي يسميه بأبي عبد الملك هو الذي أخبر بأمر هذا الرجل القتيل كما ذكر أنه من الحواريين، وأنه هناك قبل فتح أفريقية ([3]) .

ويتحدث صاحب الاستبصار عنه فيقول : ((ومن قرى بسكرة قرية تسمى ملسون ، ومنها كان أبو عبيد الله الملسونى، وكان عالما فقيها يحمل عنه العلم، وهو الذي أخبرنى أن فى طريق بسكرة جبلا وفيه كهف فيه رجل قتيل لم يعرف أحد من أى عهد هو ، ولم تغيره الدهور ولا تقادم الأزمان كأنما جراحه تقطر دما كأنه قد قتل من يومين، وتخبر الكافة عن الكافة والخلف عن السلف، أنهم كذا عرفوه منذ كانوا؛ وقد نقله أهل تلك النواحى ودفنوه بأقبيتهم تبركا به ثم لم يلبثوا أن وجدوه فى الكهف على حاله، يحدث بذلك ثقات أهل النواحى، ويقال إنه من الحواريين. ذكر محمد بن يوسف فى كتابه أن هذا القتيل فى شق جبل بشرقى عين أو بان، وهذه العين عظيمة بين مدينة مرماجنة وبين مدينة سبيبة، وذكر أنه يخيل لرائيه أنه كما

---

[1]) الوزان ، وصف شمال إفريقيا، ج2، ص 28 .
[2]) البكري، المصدر السابق، ص 137 .
[3]) الحميري، المصدر السابق،114 .

ذبح من يومه وإنه هناك من قبل فتح إفريقية ولم يذكر أمر نقله ودفنه. وقد ذكر المسعودى رحمه الله، هذا القتيل والله أعلم بحقيقة أمره)) ([1])

فالبكري (404 - 487هـ / 1014 - 1094م) يحدثنا عن انتشار عبادة الكبش([2]) وفي العصور القديمة للمنطقة اعتبر الكبش في الشمال الإفريقي حيوانا مقدسا([3]) ولم يكن مجرد حيوان للتضحية ولكنه رمز للآلهة المقدسة ([4]) ومن المعروف أن الكبش البربري وجد في ليبيا منذ القدم وأن قوته وسرعته واستحالة الوصول إلى أماكن تجواله في المناطق الجبلية التي كان يجوبها ويصل إليها جعلت منه في نظر العقول البدائية حيوانا جديرا بالإعجاب والتقديس([5]) .

وكانت الرسوم الكثيرة الواسعة الانتشار في كامل جهات الأطلس الصحراوي تظهر فيها كباش برؤوسها شبه كروية المزينة بالريش وبأغصان الأشجار([6]) وعبادة الكبش توطدت في أرض المغاربة في وقت مبكر ويشهد على ذلك الرسوم المتواجدة في الجنوب الوهراني واستمرت هذه العبادة بعد القدوم الفينيقيين وبعد الفتح الروماني وانتشرت في جميع شمال القارة الإفريقية ([7]) .

ويذكر ستيفان غزال أنه يكاد يكون لكل قبيلة ليبية كبشها المقدس الخاص بها وأن النظر إليه لم يكن في متناول الجميع بل كان له كهنة يحيطونه بأساطير خيالية تضفي عليه هالة من القداسة وتجعله مهابا من الجميع ، أما الكبش المقدس الذي يرمز إلى الإله آمون فقد عرف فقط منذ الدولة الوسطى وبعدها وهو نوع من الكباش ذات قرون مقوسة وذيل[8]

---

[1]) مجهول ، الاستبصار ، ج1 ، ص172 .
[2]) البكري، المصدر السابق، ج2، ص 161.
[3]) البرغوثي ، المرجع السابق ، ص 148 .
[4]) الصغير ، المعالم الحضارية في الشرق الجزائري ، ص 175 .
[5]) البرغوثي، المرجع السابق ، ص 141.
[6]) غابريل كامبس ، البربر ذاكرة وهوية ، ص247 .
[7]) اصطفان اكصيل ، تاريخ شمال افريقيا ، ترجمة محمد التازي ، مطبوعات اكاديمية المملكة المملكة المغربية ، الرباط ،2007م ، ص210 .
[8]) محمد الصغير غانم،المظاهر الحضارية والتراثية ،ص 386.

ووجدت هناك لوحات صخرية خاصة بالثور وبالبقريات فهي تجسد مشاهد من الحياة اليومية تعرف بالمشاهد االجتماعية والطقوسية ، فالثور إذا من بين الحيوانات التي كانت تحضى باحترام كبير وهو ما تفسره التماثيل والصور الصغيرة في شكل ثور في الاماكن المقدسة خاصة بالمالجئ والكهوف ([1]) .

10- المأكولات والمشروبات :

ليس من السهل تحديد المأكولات التي كانوا يتناولونها في ذلك الوقت، وان كانت في العادة المنتوجات الزراعية والحيوانية تخلط بكيفيات متعددة، وتحضر بأوجه مختلفة، فتنتج مأكولات متنوعة وهذا لا يمنع من ذكر بعض المأكولات رغم شح المصادر، اذ لم يكن هناك اهتمام بالتأليف في هذا الموضوع لأن أقدم كتاب مغربي وصل الينا هو كتاب الطبيخ المؤلف مجهول يرجع تاريخه الى العهد الموحدى كان أكل الثريد شائعا، وهو الخبز المفتت في المرقة ويثرد في الزيت أو بالزبد كذلك، أو بمرق الدجاج أو بلحم الخروف السمين أحيانا تتم عملية الفرد بلحوم الخراف والزيت أو يثرد باللبن ويضاف اليه السمن أو الزبد ([2]) .

وأضاف القاضي عياض والقصعة ويبدو أن الطعام الذي قدمه المعتزلة الى أيوب بن العباس([3]) في تاهرت كان ثريدا، فذكر الدرجيني أن هؤلاء قدموا له جفنة طعام عليها شاة ووطب من لبن.

وأكلوا البسيس وكانت الكاهنة عمدت الى دقيق شعير مخلق فأمرت به فلت بزيت والبربر تسمى ذلك بسيسة ([4]) وذلك عند مؤاخاتها بين يزيد بن خالد وابنيها

---

[1]) بشي ، تاريخ الاستقرار البشري ، ج3، ص6

[2]) القاضي عياض: تراجم ص 417؛ الدرجيني: طبقات .ج. 2 ص 507.

[3]) ابوالحسن أيوب بن العباس من مشايخ تين دوزيغ بجبل نفوسة حارب الواصلية وانتصر عليهم تولى امارة الخوارج في بلده توفي سنة 308ه . معمر ، علي يحيى ، الاباضية في موكب التاريخ ، ص4 ، ص42، ص126 .

[4]) الدباغ ، معالم الايمان، ج1 ، ص 93 ؛ بوروية ، الدولة الحمادية ، ص 162.

وكانت هذه الأكلة واسعة الانتشار تصنع بسميد الشعير المحمص والزيت والماء([1]).

وعرفوا الدشيش وهو شوربة مصنوعة بالشعير المدشش، أى مطحون طحنا خشنا أو قل محروشا وربما هو البرغل أو الفريك مطبوخ باللحم وأحيانا بالتمر، وأكلوا العصيدة وهي دقيق يلت بالسمن ويضاف اليه العسل، واكلوا الهريسة، وهي لحم مطحون وقمح مقلي في الدهن واكلوا الجنانية وهي تتألف في الصيف والخريف من الرجلة واليربوز والقرع والباذنجان وعيون البسباس وعيون الثعلب والقثاء والخيار وأما في فصل الربيع، فمن الخس والبسباس والفول الأخضر والاسبناخ والسلق والجزر والكزبرة ([2]).

واكلوا لحم الدجاج بالزيت بل بالزيتون أيضا، والبسار وهو الفول المطبوخ في اللبن والسمن والسلق المطبوخ بالحمص والجزر أو الفول، والخبز المسقى بشوربة البقول ، وكانت بعض العائلات تتناول الخبز والتمر، أو الخبز والزيت، بل كان بعض الفقراء والزهاد يكتفون بشيء من دقيق الشعير بلت بالزيت فيأكلونه أو بخبزة وسمن وقليل من الملح ([3]).

أما الاثرياء منهم، فكانوا يجلسون الى خروف مشوي في التنور، وقد وضع إلى جانبه من الزيتون والخبز وبقل المائدة ما يصلح به امره، والغريب في الأمر أن الاسماعيلية سكان البلاد كانوا لا يصلحون الاغنام اذا شووها ([4]) ، كما اكلوا المركاز أو النقانق وهي الضفادع والغزلان تحشى باللحم المرحي وتطبخ([5]).

ذكر الدباغ طعام عائلة يبدو انها فقيرة، فأشار إلى قول رب العائلة بخصوص طعامهم الجمعة إلى الجمعة انه رطل لحم نطبخ عظامه في ليلة من وشرائحه في

---

[1]) جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 810.

[2]) مجهول ، كتاب الطبخ ، ص172.

[3]) ابن الصغير: سيرة الائمة ص: 332 وعن الأطعمة بصفة عامة في بلاد المغرب الاسلامي انظر: ابن رزين التجيني: فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان تحقيق محمد ابن شقرون. دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط. 2. 1984م.

[4]) المقدسي: احسن التقاسيم ص: 238

[5]) مجهول كتاب الطبيخ ، ص 21 ؛ العماد ، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم 4 ج 1 ص 213 .

ليلة ثم نأكل في الليلة الثالثة حريرة، وفي الليلة الرابعة سلقا وحمصا الخامسة سلقا واسفنارية وفي الليلة السادسة سلقا وفولا وفي الليلة السابعة لحما([1])، وكانوا يضيفون التوابل الى طعامهم ليضفي عليه نكهة أفضل ([2]) .

اما قبائل الصحراء، فهم لا يعرفون حرثا أو زرعا، ولا خبزا فكان عيشهم من اللحم واللبن، وينفذ احدهم وما رأى خبزا ولا أكله الا ان يمر بهم التجار من بلاد الإسلام أو بلاد السودان فيطعمونهم الخبز([3])، فكان اعتمادهم على حيواناتهم، واكتفى سكان الصحراء خاصة قبائل صنهاجة بتصفيف اللحم اجلاف بعد طبخه وصب الشحم المذاب أو السمن عليه، واقتصروا على شرب لبن الابل لذلك ظلت أبدانّهم قوية صحيحة ([4]) ، وشرابهم اللبن قد غنوا به عن الماء يبقى الرجل منهم الأشهر لا يشرب الماء([5]).

11- العصبية القبلية :

تعتبر العصبية اصلا الاصول التي يقوم عليها المجتمع القبلي وقانونا من قوانينهم المتعارف عليها وهي تتولد من القرابة التي تستند الى وحدة الانتساب، سواء بالدم أو بالحلف والولاء بل ان المصاهرة تسهم بدورها في ظهور العصبية ودعمها ([6]) .

وتعتبر حياة العزلة التي تحياها القبيلة من دوافع العصبية اذ انها تحافظ على اصالة الدم وتحد من اختلاط الانساب وتنمي شعورا لدى افراد القبيلة بمسئوليتهم

---

[1]) الدباغ: معالم الايمان. ج. 2 ص 311. وجاء في الأصل تجعل عظامه في ليلة كما جاءت الكلمة: سلقا وفولا وحصا ولحما مرفوعة.

[2]) جودت ، عبد الكريم ، الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجرين 9-10م ، ص325 .

[3]) البكري المغرب ، ص 162.

[4]) بوتشيش: المرجع السابق، ص70 .

[5]) البكري المغرب ، ص 170.

[6]) الشماخي ، السير ، ص 145 .

الجماعية في الدفاع عن قبيلتهم فالعصبية تحمل الافراد على التناصر والتعاضد ([1]).

وتكون العصبية قوية، كلما ازدادت القبيلة توغلا في حياة الترحال والظعن ثم تضعف كلما اتجهت القبيلة نحو التمدن لذا فهي ضعيفة نسبيا في المدينة لاعتماد سكانها في حماية انفسهم على السلطة الحاكمة، على ان هذا لا يعني انها زالت في مدن المغرب الأوسط، بل انها تظهر من حين لآخر في مدينة تاهرت الرستمية، فان سياسة الائمة عجزت عن اذابتها، لكنها عند قبائل المدينة اقل حدة من غيرها ([2]) .

ويتعصب الفرد لقبيلته فان نظرة الى الحروب التي شهدتها بلاد المغرب تدل على انها في الغالب حروب ،عصبيات فيحدث ان يلتف ابناء القبيلة حول أمير كما فعلت مغيلة مع الي قرة والمغراويون مع بني خزر وبنو يفرن مع يعلى اليفرني السابق الذكر وغيرهم فتقوم القبيلة للسيطرة على غيرها من القبائل المشتركة معها في جد ،واحد فكثيرا ما وقعت الحروب بين مغراوة وبني يفرن مع انهم ،زناتيون وحاربت مغراوة ابا يزيد بن كيداد مع المفروض ان انه من رجل كتامي يعرف بنيح يقفا ـ محمد بن خزر وابنه - في صفه لانه زناتي مثلما ([3]) لكنهما لم يفعلا تحقيقا لمصالح خاصة بولائهم للفاطميين. يتعصب لقبيلته الام فان زيري بن عطية المغراوي كتب الى جميع قبائل زناتة وبلاد تلمسان يستصرخهم، فأتته الوفود من بلاد الزاب

ومثله حين اندلع صراع داخلي في البيت الصنهاجي بين زيادة الله بن القديم(أحد ولاة يوسف بن بلكين المذكور أعلاه وعبد الله بن محمد) وكان هوى أبي الفتوح مع عامله عبد الله ضد بن القديم الذي ثار احد جنوده (خلف بن حسين)سنة 364هـ ، فقتله ابو الفتوح وأفرغ باغاية من اهها وهدم سورها([4]) .

12 - الكرم

---

[1]) الفوال ، علم الاجتماع البدوي ، ص220 .
[2]) جودت ، الأوضاع ، ص 293 .
[3]) محمد بن عمرة دور زناتة في الحركات المذهبية بالمغرب الاسلامي ص .224
[4]) ابن الأثير، الكامل، ج 7 ، ص 47 .

يرى بعض الباحثين ان ظاهرة الكرم تعم المجتمع الريفي على فقره وبساطته أكثر من المجتمع الحضرى على غناه وتحضره ([1])، وربما كان من بين أسباب وجود الكرم عند المجتمعات القبلية ضعف وسائل القبيلة في حفظ ما تجمعه من طعام لفترات طويلة لا تتيح للمسافر ان يكفيه من المؤونة طيلة رحتله ونظرا لحاجة المسافر عندئذ الماسة الى من يقريه ونظرا لاهمية هذه الصفة، فقد احتلت مكانة بين الصفات مفاخر الفرد والقبيلة([2]) .

بدو ان آدابهم في اكرام الضيف ان يتناول المضيف الطعام مع الضيف حتى اذا ما انتهيا رفع ما تبقى من الطعام الى باقي افراد العائلة ([3])، بل ربما كان الضيف ينفرد بالاكل في حين يقف صاحب الدار لخدمته، بدليل ما كان يفعله زيري بن مناد السابق الذكر في صخره حين كان يدخل واصدقاؤه الى داره حيث يطعمهم واثناء الغداء كان يقف وراءهم ولا يأكل شيئاً ([4]) .

وقد لاحظ ابن حوقل ان هده الصفة الحميدة تكاد تكون خلقا يميز كل سكان المغربالاسلامي، فأورد في هذا الصدد: "وأكثر بربر المغرب الذين من سجلماسة إلى السوس وأغمات وفاس إلى نواحي تاهرت، وإلى تنس والمسيلة، وبسكرة، وطبنة وباغاي إلى أكربال وأزفون ونواحي بونة إلى مدينة قسنطينة الهواء وكتامة، وميلة وسطيف، يضيفون المارة، ويطعمون الطعام" ([5]) .

لكن الامر يختلف عما تقدم بالنسبة لسكان المدينة، حتى ان ابن خلدون عقد فصلا في مقدمته جعله بعنوان في ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضر، ويعطي البكري صورة عن مجتمع المدينة، وهو ان تعرض الى مجتمع مدينة تنس الا انه يمكن ان ينطبق على مجتمع المدينة بصفة عامة للتشابه الكبير في طبيعة تكوين مجتمعات المدن يقول البكري بشأن اهل تنس نقلا عن احد الشعراء:

---

[1]) الفوال ، علم الاجتماع ، ص251 .
[2]) جودت ، الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاوسط ، ص306 .
[3]) القاضي عياض ، تراجم ، ص168 .
[4]) بوربية ، الدولة الحمادية ص6 .
[5]) صورة الأرض، ص 91 .

أيها السائل عن أرض تنس... بلد اللؤم لعمرى والدنس

بلد لا ينزل القطر بها ... للندى فى أهلها حرف درس

فصحاء النطق فى لا أبدا ... وهم فى نعم بكم خرس

ماؤها من قبح ما خصت به ... نجس يجرى على أرض نجس

فمتى تلعن بلادا مرة ... فاجعل اللعنة اذا بالتنس ([1]) .

13-الطالع والتنجيم:

يبدو ان سكان بلاد المغرب الأوسط كانوا يعتقدون بالطالع، فيدعوهم الى التشاؤم أو التفاؤل، واشتهر البيت الرستمي بالتنجيم فكان الامام عبد الوهاب عارفا بهذا العلم حتى قال: معاذ الله ان تكون عندنا امة لاتعلم اين بات القمر([2]).

وكان العلم بالتنجيم يرفع من مكانة صاحبه في نظر العامة اذ يستطيع ان يخبرهم بحوادث قبل وقوعها، فيعظم امره بينهم.

ويبدو ان الفاطميين قد اهتموا به، فان المعز الفاطمي وكان مغرما بالنجوم ويعمل باقوال المنجمين وكان جوهر الصقلي قائده لما قصد اقامة السور وبناء القاهرة جمع المنجمين وامرهم ان يختاروا طالعا لحفر الأساس وطالعا لرمي حجارته (2).

---

[1]) البكري ، المغرب ،ص62؛ مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار ، ج1 ، ص133 .
[2]) الشماخي ، السير ، ص162 .

المبحث الثالث

الحياة الدينية والمذهبية :

اولاً- المسيحية :

ما من شك أن المسيحية قد شكلت ببلاد المغرب حضورا معتبرا خلال فترة ما قبل وصول الفتح وهذا بسبب السياسة الممنهجة من قبل السلطة الرومانية والسلطة البيزنطية التي تلتها ، والتي كانت على ما يبدو تسعى لتأكيد سيطرها على جميع مناطق المغرب ، فقامت بعملية تنصير ممنهجة على عموم المجال المغاربي الخاضع لها. واما عملية تمسيح بلاد الزاب فأنها تعود لحدود القرن الرابع الميلادي ([1]) والتساؤل الذي قد نجد أنفسنا بحاجة إلى طرحه هنا يتمحور أساسا حول مدى قدرة المسيحية كمعتقد على الصمود وعلى الاستمرار كمذهب له حضوره الاجتماعي. اذا ما سلمنا الكاهنة بوجود فهي لم تكن متدينة بالمسيحية في ظل احتفاظها على ما يبدو بيهوديتها ([2]) حسب ابن خلدون (ت 808هـ / 1404م) ([3]) ، الذي خالف في ذلك من قال بوثنيتها ([4]) .

---

[1]) علاوة ، عمارة ، اسلمة بلاد المغرب (ق 2- 6هـ / 9-12م) محاولة في التحقيب والاليات ، ضمن أعمال الملتقى الدولي حول الأسلمة والتعريب في المغرب والمشرق في العهود الوسيط ، تونس 26-28 فيفرم 2012 ، نشر مخبر العالم العربي الاسلامي الوسيط ،جامعة تونس، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، 2015 .

[2]) ينفي الباحث علاوة عمارة يهودية جراوة القبيلة التي اليها انتساب الكاهنة، مع اشارته لوجود جماعات يهودية. علاوة عمارة، أسلمة بلاد بلاد المغرب . . . ، ص - ص 22 - 23 . في حين تذكر عمامو نقلا عن الطالبي، أنها وقومها كانوا يدينون بالمسيحية ، وتعطي رأيا توفيقيا تشير من خلاله الى احتمالية أن تكون اليهودية ربما مما دان به أحد أجدادها قبل تمسحهم. حياة عمامو، أسلمة بلاد المغرب ، ص79..

[3]) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 140.

[4]) المالكي ، رياض النفوس، ج1 ، ص54 .

مع ظهور شخص حسان بن النعمان لايبدو أن الإرادة كانت تتجه لغير الاحتفاظ لغير من أسلموا بحق الاستمرار في الالتزام بما كانوا عليه رغم ما كان من تعاون وتنسيق بين البربر والروم ([1]) ، والذي كان قد تحقق حتى زمن الكاهنة([2]) ، ورغم ما أشرنا إليه من تباين في المعتقد إلا أن حسان تجاوز ذلك إلى فضاء الحرية الدينية مكتفيا بكتابة الخراج على كل من آثار الاحتفاظ بمعتقده([3]).

الا انه رغم اتساع جغرافية انتشار المسيحية لاجزاء من المناطق البربرية إلا أنها لم تكن قادرة على مقاومة ما كان سائدا من اعتقادات منها القديم ومنها الغريب والموصولة في مجموعها إما باليهودية أو بالوثنية ، وهو ما تجلى باستمرار جملة من الأفكار التي ربما أقرب للغرابة، والخاضعة ربما لجغرافية المكان وما كان هي يفرضه من حتمية الإيمان بها والاستسلام لها من ذلك الحديث عن الإيمان بإمكانية استقدام المطر باستنطاق واقع يتصل بحكايات شعبية ضاربة في المعتقد السائد كما أشير اليه بورقله (وارجلان)([4])، أو اليقين ببعض المخلوقات كما هي في قصورها ([5]) .

ارتسمت مع هذا الواقع ملامح النهايات المؤكدة للوجود البيزنطي الذي كان أبرز ملامحه اختفاء المسيحية السريع كديانة كان لها حضورها في المعتقد البربري ([6]) . إذ رغم ما كان قد مثله هذا الوجود في وقت قريب من من شريان حياة. إلا أنه أنه سرعان ما أثبت عدم قدرته على مقاومة موجات الفتح التي جاءت كدين وتاريخ([7])، واستطاعت أن تدحر الارتباط بالحضور العقدي المسيحي الذي سيظل سيظل يترنح مع الزمن ويتراجع القهقرى حتى لا يصير له مكان في الورى فاسحا

---

[1]) ابن أبي دينار، **كتاب المؤنس في أخبار إفريقية** وتونس، ص 31 .
[2]) ابن أبي دينار، **كتاب المؤنس في أخبار إفريقية** وتونس ، ص32 .
[3]) المصدر نفسه ، ص32 .
[4]) باسييه ، **أبحاث في دين الأمازيغ** ، ص49 .
[5]) المرجع نفسه ، ص66 .
[6]) المرجع نفسه ، ص 76 .
[7]) حاولت بعض الكتابات طرح فكرة الحضور المادي كعامل أساسي في حركة الفتح وربما استبعت العامل الحضاري. النابلسي ، المال والهلال، ص ص 143 – 163 .

بذلك المجال أمام إرادة الحضور بالمجال الواحي للوجود الإسلامي . اذ لم يعد متاحا للمسيحية كديانة رسمية لها حضورها الفعلي في عموم بلاد المغرب أما تزايد انتشار الإسلام([1]) .

ولابد من الإشارة الى أن بعضا من النصارى ربما كانوا بالأصل يهودا وإنما فرضت عليهم الأحداث ضرورة التنصر([2]) ، وهم الذين كانوا ربما سببا في اعتناق بعض القبائل البربرية لمعتقدهم . وكان الإسلام قد عاملهم بمقتضى ما تفرضه تعاليمه وتشريعاته من ترسيم ضريبة الجوالي التي هي ضريبة الرأس، والتي خص بها اليهود دون النصارى([3]). وقد أفادت العديد من الروايات بحضور الوجود اليهودي بالمجال الواحي الوارجلاني ([4]) .

بعض الكتابات حاولت ان تمدد للوجود المسيحي بالمنطقة من خلال طرحها لفكرة احتمالية إيجاد وتماثل أو ربما حتى تقارب من زاوية ما بين ما هو قائم في المنظومة الديرية وما قامت عليه منظومة الحلقة ([5])، أي حلقة العزابة مستندة في مسعاها ذلك إلى كون الإباضية قد وُجدت مراكزها في نفس المجالات التي كانت تسودها المسيحية خاصة ما تعلق منها بالمذهب الدوناتي والكنيسة الدوناتية ([6]) .

---

[1]) مؤنس، ، **فتح العرب للمغرب**، ص 28 .

[2]) بشير ، اليهود في المغرب العربي ، ص 57 .

[3]) المرجع نفسه ، ص 32-33 .

[4]) الشماخي، السير، ج2، ص 490 . كان للجماعات اليهودية الدور البارز في الاشتغال بالتجارة العابرة للمسالك الصحراوية عن ذلك ينظر: بوعمامة، اليهود في المغرب الاسلامي، ص ص 220 – 233 .

[5]) روبيناتشي، العزابة ، ص ص 30 – 31 .

[6]) كنيسة إفريقية انشقت عن الكنيسة الكاثوليكية في بداية القرن الرابع الميلادي عندما لاحظ المسيحيون الأفارقة عدم تأييد الكنيسة الكاثوليكية لشهداء الاضطهاد الروماني الوثني والدوناتية ظهرت كتيار ديني مستقل قائم على الرفض لكل ما هو متصل بالسلطة الرومانية ومعارضة الكنيسة ولا يعني ذلك مروقها عن المسيحية بل على العكس ظلت محتفظة بالمبادئ الأساسية، ومع تطور الأحداث تحوّلت لتأخذ طابع الثورة الاجتماعية ذات الأبعاد الاقتصادية والسياسية ، وهي تنسب للأسقف دوناتوس . اذ ان تحالف الكنيسة الكاثوليكية مع السلطة الحاكمة دفع بالدوناتيين إلى تأييد ثورات العمال والحركات المناهضة للاحتلال ، فتحولت الدوناتية إلى

ان الحضور للمسيحي حتى في بلاد الجريد المتصلة بالمجالات الواحية لم يعدله أثره البين خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، و لم يعد به سوى أن صارت الموضوعات ذات الصلة بالحضور المسيحي مجرد موضوع للفتيا. اذ تتحدث الكتابات عن أملاك الكنائس وما اتصل بها من الحجارة بعد انهيارها وما اذا أمكن استغلال كل ذلك للمساجد أو بنيانها([1]).

وابرز تطورات الوجود المسيحي في إقليم الزاب انه انتقلت جاليات مسيحية من أماكن مختلفة إلى قلعة بني حماد بعد تأسيس الدولة الحمادية ، لما تتميز به الإمارة من تسامح وحرية المعتقد، جاءوا إليها من الأوراس ومن إفريقية ومن القبائل الكبرى ومن كتامة وزواوة ومن الحضنة والمسيلة. ومسيحيي القلعة من المهاجرين شيدت لهم كنيسة بالقرب من قصر الأمير الحمادي ([2]) .

ثانياً – اليهودية :

وفدت بعض الأسر اليهودية إلى بلاد المغرب قبل الفتح العربي الإسلامي، واشتهرت الطائفة اليهودية في شمال افريقية بعد الفتح الإسلامي بنشاطها التجاري والاقتصادي ، وأصبحوا يشكلون أقلية من أهل الذمة بالمغرب الأوسط ([3]) .

يشار لنا أن استقرارا اليهود في المغرب منذ العهد القديم بحيث جاءوا مع الفينيقيين في موجات متعاقبة وقدمت جاليات منهم عندما طردهم الرومان من فلسطين ، ووجد أيضا في البربر من أعتنق الديانة اليهودية، ولكن لا تحدثنا

مذهب اجتماعي وسياسي يستهدف الاستعمار الروماني ويقال أن مدينة باغاي القريبة من المجالات الواحية مثلت أهم وأكبر معاقلها - وهنا تجد عددا من الأراء التي تربط بين المناطق التي كانت مجالا للدوناتية وتلك التي شهدت انتشارا للجماعات الإباضية. ولعل الرابط بعيدا عن الترابطية العضوية لا يعدو أن يكون تشابها في طبيعة المنشأ القائم على المعارضة والتواصل مع الفئات الاجتماعية. عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، ص286؛ دريسي، البزنطيون في شمال أفريقيا ، ص 22 ؛ الربيع ، الصراع الدوناتي الكاثوليكي في المغرب القديم ، ص 265.

[1]) ادريس ، **الدولة الصنهاجية** ، ج2، 373.

[2]) فيلالي ، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط ، ص22.

[3]) سعد الله ، فوزي ، **يهود الجزائر هؤلاء المجهولون**، ص45 .

المصادر عن كيفيـة انتشـار الديانة اليهودية في المنطقة، ولا كيف وصل اليهود إلى المغرب،الا ان المؤرين يتفون لى ان دول الجالية اليودية كان في زمن الرومان حيث هاجرت أعداد من العبرانين منطقة الشـرق الأدنى فرارا من الاضطهاد الذي أصابهم في مناسبات عديدة. وان مجموعة منهم تكونت في إفريقية بالجهات الجبلية النائية منذ القرن الأول والثاني كجبال الأوراس ([1])

ويرى ابن خلدون أن يكون بعض " البربر دانوا بدين اليهودية، أخذوه عن بني إسرائيل عند استفحال ملكهم لقرب الشام وسلطانه منهم، كما كانت جراوة أهل جبل أوراس قبيلة الكاهنة مقتولـة العرب لأول الفتح" ([2]) .

وبعد استيلاء الوندال ([3]) علـى المغرب وجدوا اليهود من التجار الكبار فقربوهم واستعانوا بهم على استغلال خيرات البلاد، ولكن مع دخول جيش الرومان الى المغرب اصدروا القرارات بتجريدهم من أملاكهم وتشتيت جموعهم وتبديد نفوذهم أن الاضطهاد الشديد الذي تعرض له اليهـود أدى إلى إفـلاس اليهود واليهودية ([4]).

وقد اندمج اليهود في الحياة الاجتماعية والنظم الإدارية باعتبارهم رعايا، ساعدهم الوضع على الاستقرار وتنمية أموالهم ونشاطاتهم الاقتصادية والتجارية، وكان الأئمة الرستميين يعطفون على هذا العنصر اليهودي، وكان من بينهم علماء في الدولة الرستمية منهم يهوذا ابن قريش التيهرتي الذي في نبع اللغة ([5])، كما

---

[1]) شنيتي ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ، ص197-199.

[2]) ابن خلدون ، كتاب العبر، ج6 ،ص126.

[3]) الوَندال (أو الفَندال) هم من قبائل الجرمان الشرقيين وكانوا يدينون بالمسيحية على مذهب الآريوسية، وقد كانوا مضطهدين من قبل الكنيسة المؤمنة بعقيدة الثالوث، فاجتمعوا تحت راية الملك الموحد غايسرك ضد حكم الروم، فأشتبكوا م الرومان في حروب عدة في القرن الخامس الميلادي واستطاعوا تأسيس دولة في جنوب أوروبا منها فرنسا وإيطاليا وإسبانيا وشمال أفريقيا مركزها مدينة قرطاج وضموا إليها جزيرة صقلية والعديد من جزر البحر المتوسط . أبو خليل ، بلاط الشهداء بقيادة عبد الرحمن الغافقي ، ص16 .

[4]) الجهني وآخرون: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ،ج1،ص501؛ فتاح: اليهودية عرض تاريخي،ص85

[5]) ميلي محمد :**تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي** ، ص83 .

جادوا وهي مدينة في جبل نفوسة مقراً للطائفة اليهودية ([1]) ، كما يقول البكري : ذات الأسواق الكثيرة والجالية اليهودية ([2]) .

ولما فتح المسلمون بلاد المغرب، وجدوا جاليات تقطن مناطق ومدن مختلفة من بلاد المغرب ، وكانت مهامهم فيها انشغالهم بالفلاحة و الصناعة وغيرها ،ولم يكن لحكام لاحد التدخل في تسيير أمورهم وكانوا يتمتعون نوعا ما باستقلال داخلي فكانت لهم قوانينهم ومحاكمهم الخاصة ([3]) .

ثالثا ـ الإسلام :

الثابت أن العرب قدموا الى بلاد المغرب على شكل موجات متوالية، وتعتبر الموجة المرافقة للفتح الإسلامي أولها وبفضلها تم إفراز واقع جديد ساد بلاد المغرب، تمثل في انتشار الإسلام وانتشار اللغة العربية ويبدو ان اعتناق البربرللاسلام كان دونما كبير اكراه او اجبار في ظل تخليهم عن معتقداتهم السابقة ، فمنذ بداية الفتوحات الاسلامية لبلاد المغرب كان للمؤثر الثقافي العربي الإسلامي دوره الكبير في المنطقة ([4]) . وربما كان ذلك بقوة لاسيما بعد فشل كل مقاومة من قبل البيزنطيين واعوانهم من البربر واستسلام المغاربة ككل للامر الواقع ، لاسيما ان الفاتحين حرصوا على استحداث عمران جديد من المساجد وأنماط التخطيط الجديد للمدن اللذين كان لهما حضورهما في نشر المعرفة الجديدة، ساعد على ذلك نشوء كيانات سياسية جديدة أسست مدنا ([5]). وفي هذا تظهر القيروان قادرة على أن أن تأخذ صورة العاصمة أو المدينة المركزية المتعددة الثقافات والأديان بما فيها حتى اليهودية([6]).

---

[1]) ابن حوقل :صورة، ص

[2]) البكري: المغرب، ص 9

[3]) عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر، ص 83

[4]) بيل ، **الفرق الاسلامية في الشمال الأفريقي**، ص 59 .

[5]) أبو ضيف أحمد عمر، **القبائل العربية في بلاد المغرب** ، ص42-43 .

[6]) بشير ، **اليهود في المغرب العربي** ، ص40 .

إن أهم ما لوحظ حول بدايات تشكل هذا الملمح هو ما اتسمت به الثقافة المتكونة حديثا من البساطة والتواضع ([1]) ، فهي على ما يبدو بعيدة عن كل تعقيد وأقرب ما تكون لعقول الجماعات الزناتية بشكل عام ، ويبدو أن هذه السياسة أتت أكلها خاصة انها انعكست ايجابا على انتشار الثقافة العربية الإسلامية، خاصة بعد عملية تشييد المساجد على نطاق واسع والتي كان لها دور بالغ الأهمية، كون أن المسجد أعتبر مركز علم وعبادة ووصل الأمر أن أمر الخليفة عبد الملك بن مروان بضرب الدنانير بنقش رموز الإسلام وباللغة العربية ([2]) لتتميز هذه الفترة ببروز معالم حضارية واضحة المعالم عليها قامت الحضارة المغربية التي تفاعلت فيها عناصر عربية وبربرية، لكن ظلت الريادة فيها للثقافة العربية الإسلام ([3]) ليكون عصرا ميزته حالة الامتزاج العرقي واللغوي الذي كان قد تحقق بين العرب والبربر([4]) الذين رأوا في الاسلام سبيلا للانتقال لحياة أفضل، فكان اقبالهم على تقبله واعتناقه وتأييده ([5]). وقد أشير إلى أن أوائل الصحابة كانوا يمتلكون مصاحف خاصة بهم. و و أن موسى بن نصير كان يوجه أوامره للعرب بضرورة تعليمهم البربر القرآن ([6]) ، وقد أشار محمد بن سحنون الى ما كان يباشره الصحابة المستقرين بذراريهم من اجتماع بأماكن يبدو أنها كانت مخصصة للقراءة والانطلاق منها نحو نشر الدين الإسلامي([7]).

أن الجماعات البربرية بما فيها تلك المستقرة بمناطق الواحات كانت الأسرع تأثرا بعملية نشر الاسلام ، والتي تعني في جانب منها اعتماد اللسان العربي كأداة لانصهار المؤثرات الثقافية بين الموروث والوافد الجديد إلا أن ما لوحظ في هذا

---

[1]) التليسي، المرجع السابق، ص 69.
[2]) المراكشي ، البيان المغرب،ج1، ص34 .
[3]) بن سعيد ، أثر اللغة العربية ، ص103 .
[4]) علاوة عمارة (قراءة وعرض كتاب صالح علواني القبائل والمرابطون الأعراب والولاية في داخل أفريقية 6هـ/12م. 12هـ/18م ، ص 526.
[5]) جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 24.
[6]) شلبي، القراءات بأفريقية من الفتح ، ص 83.
[7]) سحنون، آداب المعلمين ، ص33 .

الجانب أن حركية التعريب خاصة في بدايتها ربما لم تتجاوز المجموعات النخبوية المنخرطة في التعامل بشكل أساسي مع حركة العلوم الدينية ([1]) .

مع وصول البعثة العُمرية التي لم تفد الكتابات بتفاصيلها. إلا أنها مثلت الانطلاقة الحقيقية لتشكيل منظومة بنيوية تقوم على الدعوة ونشر أبجديات المعرفة الدينية بالبلاد الإفريقية ([2]).

وتجدر الإشارة هنا إلى القول أن أهم حدث عرفته بلاد المغرب خلال العصر الوسيط و لعب دورا بارزا في نشر الثقافة الإسلامية ببلاد المغرب هو قدوم تلك البعثة([3]) ، والتي صنعت الفارق بين بلاد المغرب الإسلامي قبل مجيئها وبعده ،فشهدت البلاد رسوخا للثقافة الإسلامية وفتحت الكتاتيب والمساجد لتعليم القراءة والكتابة وتدريس اللغة وقواعدها ([4])

أهم ماميّز البعثة الدينية الثقافية التي أوفدها الخليفة عمر بن عبد العزيز (99 - 101هـ / 717 - 720م) هو تجنبها الإصطباغ بالنعرة المذهبية ، فقد كانت على نهج الرسول بعيدة عن الإعتبارت المذهبية لذا فإن إحتضانها كان كبيرا وعرفت النجاح في ايصال صوت الثقافة الإسلامية على النهج النبوي ([5]) .

ولعل ذلك قد يعني فيما يعنيه بداية النشاط الرسمي المرتبط بمؤسسات سلطة الفتح، على اعتبار أن الخليفة عمر بن عبد العزيز هو من علم أهل افريقية الحلال والحرام ([6]) في اشارة لما بذله من جهد في تعليم أهل أفريقية أصول دينهم لما كان منه من حرص لإنجاح البعثة وما علق عليها من أمال في الوصول الى تحقيق نقلة نوعية في مجال انتشار الثقافة الاسلامية في الأوساط المغاربية. وهو الذي لم يخف

---

[1]) هشام جعيط ، المرجع السابق ، ص159.
[2]) الفريد بيل ، المرجع السابق ، ص97 .
[3]) التليسي ، الاتجاهات الثقافية ، ص70
[4]) المرجع نفسه ، ص70 .
[5]) بن سعيد ، أثر اللغة العربية ، ص106 .
[6]) السلاوي، **المرجع السابق**، ج 1، ص 115 .

اهتمامه بتعليم حتى أهل البوادي أصول السنة ([1]). خاصة وأنه أبرز ما عرف عنه اهتمامه بالعلم وحثه عليه وحبه الجم للعلماء([2]) .

فكانت البعثة العلميّة إلى الشّمال الإفريقيّ مكونة من 10 فقهاء من رجال التّابعين، ليفقّهوا أهله ويعلّموهم، وينشروا بينهم النبوية ، وكان قد عين على الشّمال الإفريقيّ أميراً متديناً ، أسلم على يديه جميع البربر، فكان خيرَ معين لهؤلاء العلماء في رسالتهم، والسّبب الرّئيس في إرسال هذه البعثة، من أنّ الإسلام في تلك البقاع لم يكن إلاّ أمراً سطحياً لا يحقق فيها ما يشدّ أمر الدين ([3]) ، فكان بحق ما أراده من وراء إرساله لها، حيث كان لهذه البعثة أثر كبير في نشر تعاليم الإسلام يقول في ذلك عبد الوهاب حسن حسني:

"اختطَّ كل واحد منهم داراً لسكناه، وبنى بحذائها مسجداً لعبادته ومجالسه، واتّخذ بقربه كُتَّاباً لتحفيظ القرآن، وتلقين مبادئ العربيّة لصغار أطفال البلد، وأشاعوا الرشد، وعلّموا الحلال والحرام، وحرصوا على الأمن والتآخي، فكان إسلام البربر نهائيا من آثار هذه البعثة الكريمة" ([4]).

عيّن الخليفة عمر بن عبد العزيز على الشّمال الإفريقيّ أميرا صالحا وأرسل معه نسعة من الفقهاء العلماء الربانيين ، فكان تعداد البعثة بالأمير عشرة، والأمير هوإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر([5]) ولاّه عمر بن عبد العزيز على إفريقية في المحرم سنة 99 - 100هـ، فكان خير أمير، قال ابن خلدون:

---

[1]) ابن عبد الحكم، **سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الامام مالك** ، ص160.

[2]) المرجع **نفسه**، ص 133 .

[3]) التهامي ، جهود علماء المغرب ، ص34.

[4]) حسني ، كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين ،ج ، ص46.

[5]) إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم وملم ابناء عبد الملك بن مروان وقد كان ولاه عمر المغرب فأقام بها سنتين وولوا بعده يزيد بن أبي مسلم . قال ابن خياط أسلم عامة البربر في ولاية إسماعيل. وكان حسن السيرة. مات في سنة اثنتين وثلاثين ومئة قبل دخول بني العباس دمشق بثلاثة أشهر . إبن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص 252؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ،ج5 ، ص 213.

"وأسلم جميع البربر في أيامه " ([1]) .

وأرسل معه تسعة من فقهاء التابعين وعلمائهم يفقّهون النّاس في أمور الدّين، ويبيّنون لهم الحلال والحرام، وكان هذا الأمير في غاية الزهد والتّواضع، وكان حريصاً على نشر العلم، وسار في أهل البلاد بسيرة العدل، وكان شديد الحفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم، فقد روى عنه ابن عساكر أنّه قال:

" ينبغي لنا أن نحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نحفظ القرآن" ([2]) ،

وأفراد البعثة العلمية هم : أبو ثمامة الجذامي ([3]) وأبو سعيد جلُ القتباني ([4]) حبان بن ابي جبلة القرشي([5]) وأبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي([6]) وطلق ابن جعبان

---

[1]) ابن خلدون : العبر ،ج 4، ص188.

[2]) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج 8 ، ص 436.

[3]) أبو ثمامة بكر بن سوادة الجذامي أقام في الشمال الإفريقي أكثر من ثلاثين سنة محدّثاً ومفتياً، وفقيهاً وقد انتفع به أهلها، ورووا عنه، أدخل على القيروان حديث عدد من الصّحابة، منهم: عقبة بن عامر، وسهل بن سعد الساعدي، وسفيان بن وهب الخولاني، كما روى عن جماعة من التّابعين منهم: سعيد بن المسيب وابن شهاب الزهري، وقد قارب شيوخه الأربعين، وروى عنه كثير من أهل القيروان منهم: عبد الرحمن بن زياد، وأبو زرعة الإفريقي وكان ثقة في حديثه، أخرج له مسلم والأربعة، والبخاري تعليقاً، وأحمد، والطبراني، وغيرهم. وقد عدّ أبو ثمامة بكر بن سوادة الجذامي في المصريين رغم طول مكثه بالقيروان ووفاته بها ت 128 هـ.المالكي ، رياض النفوس ، ج1 ، ص112 .

[4]) وأبو سعيد جُعثلُ بن عاهان الرُّعيني القتباني تابعي جليل، عدّه أبو العرب وابن حجر وغيرها في التّابعين، ولم يذكروا عمن روى من الصّحابة، وكان محدّثاً، فقيهاً مقرئاً، تولىّ قضاء الجند بالقيروان، وبث فيها علماً كثيراً لمدة زادت عن خمسة عشر عاماً، وروى عنه من أهل القيروان عبيد الله بن زحر، وعبد الرحمن بن زياد، وبكر بن سوادة، وهو زميله في البعثة العلميّة، وثّقه أكثر النقاد، وأخرج له الأربعة وأحمد وغيرهم. توفي في خلافة هشام بن عبد الملك سنة 115 هـ. شواط ، مدرسة الحديث بالقيروان ، ج2 ، ص15 .

[5]) حبان بن أبي جبلة القرشي مولاهم يكنى: أبا النصر تابعي بعثه عمر لتفقيه أهل القيروان، روى عن جملة من الصّحابة منهم: ابن عباس ، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو، ووالده عمرو، وبقي يبثّ العلم في عاصمة الشّمال الإفريقيّ في مدينة القيروان أكثر من خمس وعشرين سنة، انتفع به أهلها، وروى عنه خلق كثير منهم؛ وثّقه أبو العرب الصقلي في طبقاته، وذكره ابن حبان في الثقات، أخرج له البخاري في الأدب المفرد، وابن سنجر في مسنده، والحاكم في المستدرك، وغيرهم ، قيل انه غزا مع موسى بن نصير حين افتتح الأندلس حتى آنتهى إلى حصن من حصونها يقال له: قرقشونة؛ فتوفي: بها، وقيل توفي بالمغرب عام 125 - وقيل 122 هـ. ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج1 ، ص18.

[6]) يروي عن جماعة من الصّحابة، منهم: أبو الدرداء، ويروي عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلاً حتىّ توهّم بعضهم فعدّه في الصّحابة، ولذلك نبهت معظم المصادر على أنّه لا صحبة

جعبان الفارسي([1]) وأبو الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخي([2]) ، وأبو عبد الرحمن عبد الله المعافري الحبلي([3]) ، ووهب بن حي المعافري ([4]) ، وإسماعيل بن عبيد الأنصاري ([5]) .

رابعاً - الاباضية ([6]) :

له، وقد سكن القيروان وبثّ في الشّمال الإفريقي علماً كثيراً، وقد كانت مجالسه مليئة بالحكم والمواعظ البليغة، وكان شديداً على الأمراء، روى عنه من أهل القيروان: مسلم بن يسار الإفريقي، وعبيد الله بن زحر، وعبد الرحمن بن زياد، في جامع ابن وهب وغيره، وذكر الدباغ أنّه توفي بالقيروان بعد أن بثّ فيها علماً كثيراً، ولم يذكر تاريخ وفاته. المالكي ، رياض النفوس ، ج1 ، ص144 .

[1]) طلق بن جابان ويقال :ابن جعبان-الفارسي عده أبو العرب من العشرة التابعين. روى عنه موسى بن عليّ وعبد الرّحمن بن زياد بن أنعم. روى عنه من أهل مصر سعيد بن أبي أيوب.لم تعرف سنة وفاته . ابن ماكولا ،اكمال الكمال ، ج1 ، ص108.

[2]) عبد الرحمن بن رافع التنوخي من ثقات المصريين وانما وقعت المناكير في روايته من جهة عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الافريقي لا من جهته أول من تولى القضاء بالقيروان بعد بنائها، وَلاَّهُ إياه الأمير موسى بن نصير سنة 80 هـ يروي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ ، وحدث عنه من القرويين: عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، وعبد الله بن زحر الكناني، وبكر بن سواد الجذامي وغيرهم. وهو أوّل من ولّي قضاء القيروان. ت بالقيروان سنة 113 هـ . ابن حبان، مشاهير علماء الامصار ، ج1 ، ص195؛ الذهبي ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، ج2، ص 560 .

[3]) وأبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافري الحبلي دخل القيروان في زمن مبكّر فانتفع به أهل إفريقيّة، وبثّ فيها علماً كثيراً، وأدخل القيروان حديث جماعة من الصّحابة ممن لم يدخلها ، ولعل ذلك كان مع موسى بن نصير سنة 86هـ لأنه شهد فتح الأندلس، ثمّ عاد إلى القيروان وسكنها، وبنى بها داراً ومسجداً، توفي سنة 100هـ . الحجوي ، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ، ج1 ، ص370.

[4]) ذكر ابن أبي حاتم أن هناك من قلبه إلى: حي بن موهب، وأنّ أبا زرعة قد صحّح ذلك، غزا إفريقيّة قديماً. المالكي ، رياض النفوس ، ج1 ، ص111 .

[5]) يعرف بتاجر الله، من أهل الفضل والعبادة، كثير الصّدقة والمعروف، عالم فقيه، صحب جماعة من الصّحابة وروى عنهم، و كان من سكّان القيروان، انتفع به خلق كثير من أهلها، وبثّ فيها علماً كثيرا، بنى «المسجد الكبير» بالقيروان الذي يعرف الآن «بمسجد الزيتونة»، وكان يصلي به ويعمره، وإليه ينسب السوق الذي بجواره يسمى «سوق إسماعيل»، ولم يزل مقيما بالقيروان حتى حضرته نية في الجهاد، فخرج في مركب مطوعا في غزاة عطاء بن رافع فغرق سنة 107هـ . المالكي ، رياض النفوس ، ج1 ، ص107 .

[6]) هم أصحاب عبد الله بن أباض التميمي ، الذي خرج في أيام مروان بن محمد أخر خلفاء الدولة الأموية، كانت البصرة مركزا للدعوة الاباضية ومنها انتشر هذا المذهب في الأمصار حيث كان يرسل الدعاة إلى الأمصار بعد تلقيهم أصول الدعوة وتدريبهم على أساليب نشرهااسسوا الدولة الرستمية في تيهرت وانتشارهم في المغرب الأوسط وبعض مناطق المغرب

ظهرت الاباضية في المغرب منذ أيام الدولة الاموية وامتدت الدعوة الى المغرب الأدنى والمغرب الأوسط وكانت الاباضية لها اليد الطولى في تلك المنطقتين رغم وجود المذاهب السنية ببلاد الزاب ممثلا بمذهب السلطة (الاغالبة) وهو المذهب الحنفي الذي كان اكثر تواجده في الزاب في مدن تهوّذة، وواحات بنطيوس، إلا أن ارياف بلاد الزاب كانت من حصة المذهب الاباضي ([1]) وبالتالي لم يكن بداً ان يحدث صراع بين هذاين المذهبين وكان في بدايته فكرياً ، ثم تحول الى صراع عسكري ، قادته جهتان سياسيتان– الدولة الرستمية الاباضية في تيهرت وتمثل المعارضة ،، والدولة الأغلبية في رقادة التي تعتنق المذهب الحنفي وهي ممثلة للسلطة العباسية في افريقية " ممنل السلطة العباسية"، لكن وبالرغم من تزحزح الجماعات الاباضية نحو تيهرت بعد صدها من القوى السنية في طبنة وما جاورها من مدن الزاب ركائز للاغالبة السنيون لدحر الزحف الاباضي إلا أن حضورها بقي مميزا ([2]) .

أن هذه الظروف التي تميزت باكتساح الجماعات الاباضية لكل أرياف الزاب تقريبا، وهذا بسبب قربها من معاقل الجماعات الاباضية كالعاصمة تيهرت وما جاورها مسقط رأس الاباضية الوهبية ([3]) ، وجبال الآوراس وجبال السالات معقل الاباضية النكارية ([4]) ، وبلاد قسطيلية ونفوسة([1]) .

الأدنى وعمان . البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 83 ؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ص 108 .

[1]) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص273 .

[2]) الطاهر طويل ، المدينة الاسلامية ، ص

[3]) الوهبية هي من فرقة الخوارج الاباضية توالي عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم إمام الدولة الرستمية،المتوفى عام (197هـ) على رواية ، وعام (205 هـ) على رواية أخرى ، وقد سميت وهبية نسبة إليه.، والوهبية هم غالبية الاباضية في وقتنا الحاضر. الباروني، مختصر تاريخ الاباضية، ص 38-39.

[4]) النكار أو النكرية : فئة أباضية تنكر إمامة عبد الوهاب ، وتشنع عليه الوصول إلى الإمامة عن طريق الوراثة والعصبية ، وقد تزعم هذهِ الفئة يزيد بن فندين ، وأتباعه هم من الذين تغيرت قلوبهم وتنكرت صدورهم وساءت ظنونهم وسقط في أيديهم ما أثروا من تولية عبد الوهاب أن لايقضي أمراً دون جماعة معلومة ثم أن بقية أصحاب إبن فندين الذين لم يصابوا يوم القتل بقيت في أنفسهم حزازات وضغائن ثم خرجوا حتى أتوا الكدية المعروفة بكدية النكار ،

وبعد سقوط الدولة الرستمية وعاصمتها تاهرت بيد ابي عبد الله الشيعي سنة 296هـ / 908م استقر بعض أفراد البيت الرستمي ببلاد الزاب من خلال ما أورده البكري في تقسيمه الجغرافية بنطيُوس الواقعة ضمن المجال الزابي أنه كان بها إباضية منتسبين للفرس ([2]) ، وقد أدى هذا الاستقرار في المناطق الريفية في بلاد الزاب الى الاختلاط بالسكان وبالتالي تصاهر هؤلاء مع سكان المنطقة الذين تزوجوا من نساء الاباضية الفارسيات ([3]) ورغم سيطرة الفاطميين بقيادة ابي عبد الله الشيعي على مناطق الاباضية الا ان الجماعات الاباضية بقيت حاضرة ، خاصة وأن هوارة التي كانت حاضرة في هذا المجال كان لها بالمجالات الواحية غيرمتأثّر في ذلك بالسيطرة الفاطمية على مفاصل المنطقة وبقيت عاملاً مقلقاً للسيطرة الفاطمية مما دفع هذه السلطة للتوجُّه لبناء المحمَّدية على تخوم المجال الزَّابي في مواجهة التقدم الزناتي الاباضي المحتمل في ظل خضوعه لها ([4])

ونتيجة للضغط الفاطمي بفعل الثورات الخارجية الاباضية ضعف امر الخوارج الاباضية ثم اضعف النفوذ الاباضي خلال الفترة الصنهاجية والحفصية بسبب ما أنشأه" الصنهاجيون في المغرب الأوسط من مدن أصبحت ذات كثافة مالكية غيروا بها وضعية الإقليم مذهبيا وسياسيا، وشيئا فشيئا تم استئصال الإباضية من عديد المناطق كالجريد وأريغ والزاب وغيرها ([5]) ومالبث الاباضية ان تلقوا الضربة القاصمة اذ تم تخريب قلعة درجين بالجريد سنة 440هـ/1048م وقتل من فيها ([6]).

وخرج إليهم من هو في مثل حالهم ، فسموا من ذلك اليوم النكار وسمي الموضع بكدية النكار . ينظر : أبو زكريا ، السيرة ، ص92-101 ؛ الدرجيني ، طبقات المشائخ ، ج1 ، ص51 ؛ لقبال ، موسى ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، ص333 ؛ مؤنس ، تاريخ المغرب وحضارته ، ج1 ، ص328 .

[1]) عمارة علاوة ، انتشار المذهب المالكي ، ص128 .

[2]) البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 740 .

[3]) العدواني، المصدر السابق، ص 80

[4]) ادريسي، **الدولة الصنهاجية**، ج1 ، ص47.

[5]) علال ، **انتاج الفكر الإباضي** ، ص519 .

[6]) الدرجيني، ، كتاب طبقات المشائخ ، ج2 ، ص171 .

خامساً - المذهب الحنفي ([1]) :

إنتشر المذهب الحنفي في مناطق واسعة من العالم الإسلامي ، و منها بلاد المغرب الإسلامي على العموم والمغرب الأوسط خصوصا) وبما ان الخلافة العباسية من الناحية المذهبية ملتزمة بالمذهب الحنفي الذي كانت بغداد من أهم بيئاته الحاضنة له. وبما ان الاغالبة كانو ممثلين للسلطة العباسية في المغرب فقد اعتنقوا بدورهم المذهب الحنفي ، لكن هذا لايعني أن بلاد الزاب كانت خاضعة لهذا النفوذ المذهبي بخاصة اذ اعتمد الاغالبة سلوك الحرية المذهبية ولو في فترة من تاريخها المذهبي. إذ عمدوا بعد أن استقر لهم الأمر إلى فتح باب المناظرات وتنشيط المجادلات والمحاورات الفكرية بين أعلام المالكية من ذلك المناظرة الشهيرة التي جمعت عند الأمير زيادة الله الأغلبي([2]) (290 - 296هـ / 903 - 609م) الفقيه الحنفي أبا محرز محمد بن عبد الله بأسد بن الفرات المالكي ومناظرة ابن عبدون مع عبد الله كلا من ونظراءهم من الأحناف([3]).

و في بلاد المغرب الأوسط ، فقد تواجد الأحناف في تاهرت منذ عهد عبد الرحمن بن رستم ، و غالبيتهم من أهل الكوفة حتى أنهم بنوا مسجدا خاصا به سموه مسجد الكوفيين ان شهادة البكري (ت 487هـ / 1094م) كأحد أبرز من عايش القرن الخامس هجري/ الحادي عشر ميلادي، وناقلا لأوضاع القرن الرابع هجري

---

[1]) نسبة الى ابو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي (80-150 هـ) بمدينة الكوفة وهو من سلالة فارسية نشأ المذهب في المشرق وساعد العباسيون على نشره من خلال تعيين اهل الرأي القضاء في الدولة ابرزهم أبو يوسف القاضي قاضي قضاة الدولة في زمن هارون انتشر في المشرق والمغرب ، يتخذ الرأي والقياس منهجاً فقهياً له . محي الدين عبد القادر ، الانوارالمضيئة في طبقات الحنفية ، ،ص120 ؛ أبو زهرة، تاريخ المذاهب الاسلامية، ص350.

[2]) زيادة الله: هو ابو مضر زياد الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب أبن إبراهيم بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي، آخر أمراء بني الأغلب بأفريقيا، ولد ونشأ بتونس، وكان ميالاً إلى اللهو واللعب، ولاه أبوه امارة صقلية، فعكف على لذاته، فعزله عنها وسجنه، فدس لأبيه ثلاثة من الصقالبة فقتلوه، ونادوا بزيادة الله أميراً على أفريقيا فتولها سنة 290هـ/900م، وتوفي بالرملة سنة 304هـ/914م ودفن هناك. أبن خلكان، وفيات الأعيان، جـ2، ص193. أبن الخطيب، أعمال الأعلام، ق3، ص37-45. الزركلي، الأعلام، جـ1، ص56.

[3]) علاتي عمارة، **انتشار المذهب المالكي . . .** ، ص 26 .

من خلال استنساخه لمسالك محمد بن الوراق (ت 363هـ / 973م)، تؤكد على انتشار المذهب الحنفي وفقهه بشكل لافت بأرياف بلاد الزاب، وبداية بالأخص بواحات بنطيوس، وقد استمر اعتناق هذه الجماعات المحلية للفكر الحنفي حتى النصف الأول من القرن الخامس هجري، ويقول في ذلك البكري: "وهي ثلاث مدن يقرب بعضها من بعض، وفي كل مدينة جامع، فالاثنان لأهل السنة ويقصد واحد للحنفية والآخر للمالكية، والثالثة لقوم من الخوارج يعرفون بالواصلية، اباضية..." ([1])

ويواصل البكري الحديث عن انتشار الجماعات السنية بالصبغة الحنفية ببلاد الزاب، إن الشهادة التي يقدمها البكري عن النسيج البشري المشكل لهذه المدينة ونقصد تهوذة، يتضح من خلالها طغيان الجماعات القرشية حين يقول البكري: " وهي مدينة أهلة، سكانها العرب، وقوم من قريش ، وقد طبع فكرهم المذهب الحنفي يضيف في ذلك البكري قائلا: " وأهل تهوذة على مذهب أهل العراق (الحنفيين يقصد)([2]) .

إن اعتماد السلطة الأغلبية للمذهب الحنفي كمذهب رسمي للدولة، لم يُمكن له البتة في كل بلاد المغرب الأوسط حيث يلاحظ عدم توسعه بشكل كامل كما هو حال الاباضية والزيدية بأرياف بلاد الزاب خاصة ؛ ليس هذا فقط، بل إن الجماعات المالكية قد بدأت في الولوج إلى مدن بلاد الزاب والمغرب الأوسط ككل على غرار افريقية في فترة يمكن اعتبارها جداً متقدمة وبالتالي إرساء قواعدها مبدئيا وهذا بفضل جهود علماء المالكية الكبار الذين بذلوا قصارى جهدهم في نشر مذهبهم في تلك المناطق ([3]) .

---

[1]) البكري ، المسالك والممالك ، ج2 ، ص740 .
[2]) المصدر نفسه، ج2 ، ص741 .
[3]) القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ج1 ، ص25 ؛ علاوة ، عمارة ، انتشار المذهب المالكي ، ص133 .

وقد دام المذهب الحنفي في المغرب إلى حوالي 400هـ/ 1009م ، و انقطع على يد المعز بن بن باديس وفقهاء المالكية ([1]) .

سادساً ـ المذهب المالكي :

أن المذهب المالكي قد استطاع بسط قوته وهيمنته على كل بلاد الزاب، فبخطوات سريعة استطاع قادة هذا المذهب بداية بفضل تلامذة الإمام مالك، وكذلك الداودي اذ يعتبر من أهم الشخصيات الفقهية المالكية التي تغلغلت في الوسط الريفي، فبعد الحضور الضعيف للجماعات المالكية بتهرت القديمة ، اتجه الداودي إلى نشر المذهب المالكي بمدن بلاد الزاب على غرار المسيلة والقلعة، في هذه المرحلة تلاشت نسبيا القوى الاباضية التي تزحزحت نحو سدراتة ثم ورجلان ولاشك ان انصراف الفاطميين عن المغرب ، قد أكسب المذهب المالكي قوة بفضل توجه أغلب النخب المحلية لاعتناق مذهب إمام دار الهجرة وتحولت جل الأرياف بالمغرب الأوسط مالكية في معظمها ([2]) .

إن بروز الكثير من النوازل الفقهية على مذهب الإمام مالك، والتي أوردها الداودي في مؤلفه كتاب الأموال، قد أكدت مجهودات السلطة الفقهية في القضاء على الديانات المخالفة، وتوسعة نشر الفقه المالكي، بمدن تقع تحت سلطة الزاب مثل المسيلة وقلعة بني حماد، وكذا بالمدن القريبة من بلاد الزاب ثم الاستحواذ على القضاء أيام الإمام سحنون بن سعيد التنوخي(ت240هـ / 855م) لحظة تحول بارزة في حياة المذهب المالكي السني ببلاد المغرب كله([3]).

أن الفترة من 296هـ / 909م إلى 361هـ / 972م ، قد مثلت بعض الصعوبات للجماعات المالكي في حين عرف المذهب الحنفي الكثير من الراحة

---

[1]) بونار، المغرب العربي ، تاريخه وثقافته ، ص84.

[2]) زياني ، حضور الجماعات السنية ، ص698 .

[3]) القاضي عياض ، ترتيب المدارك ،ج1، ص25-26 ؛ فيلالي ، تاريخ المغرب الإسلامي ، ص62 .

بفضل تلاقي الكثير من الأفكار العقائدية والفقهية مع المذهب الفاطمي – الإسماعيلي ، أذ نلحظ حدوث تقهقر مؤقت، عادت في الأخير بالفائدة على الجماعات المالكية، التي انتهزت فرصة رحيل الشيعة إلى مصر لبدء مرحلة الانتقام الجسدي والمجازر السنية ضد أتباع الإسماعيلية، وكان للسلطة الزيرية والحمادية وحتى المرابطية بالجنوب كل الفضل في إنجاح القطيعة مع كل المذاهب السنية وغير السنية، والعودة لسابق عهد المالكية ، وباكتساح تام للجماعات المالكية خلال القرن الخامس الهجري ، وفي بلاد الزاب وقسطيلية ووارجلان واصلت الجماعات المالكية اكتساحها لمعاقل الجماعات الأباضية، حيث تم لها النجاح في الاستحواذ على كل الأرياف الزابية تقريبا بعدما ضمنوا المدن الشمالية لبلاد المغرب الأوسط (الجزائر) بفضل مساهمة السلطة السياسية الحمادية وحتى بالجنوب المرابطية في إرساء قواعد المذهب السني المالكي، واستقر المذهب المالكي بشكل كبير في جزائر نقصد بعد بناء القلعة مقر حكم الحماديين 93.. إن هذه المرحلة أي القرن الخامس هجري / الحادي عشر ميلادي قد مثل انزياحا كبيرا وتقهقرا لا مثيل له للجماعات الأباضية الواصلية - النكارية - الوهبية، أين تنكرت النخب المحلية لهذه المذاهب وتحولت بشكل طوعي لمذهب إمام دار الهجرة بفضل نشاط تلامذته الأكيد أن أتباع مذهب جابر بن زيد[1] قد حافظوا على جزء يسير من مجالاتهم المذهبية التي كان يطوقها نفوذ مذهبهم الاباضي، حيث تراجع مجالهم نحو وارجلان وبلاد مصعب أو بلاد ميزاب التي استقروا به لفترة طويلة ([2]) .

ويبين المفدسي عن الأوضاع آنذاك في المغرب عموما فيقول :

---

[1]) ابو الشعثاء جابر بن زيد اليحمدي الأزدي البصري (21- 93هـ/ 642- 712م)، احد ائمة التابعين ومن علماء البصرة محدث وفقيه، وإمام في التفسير والحديث وهو من أخص تلاميذ ابن عباس، وممن روى الحديث عن عائشة وابن عمر ، لمكانة العلمية لجابر بن زيد فلم يستطع أحد أن يقدح فيه إلا أن المؤرخين أنكروا علاقته بالإباضية. ابن سعد ، الطبقات الكبرى ،ج7،ص 134 ؛ مغلطاي ، إكمال تهذيب الكمال،ج3 ، ص 122 – 123

[2]) زياني ، حضور الجماعات السنية ، ص701 .

((اما المذاهب فعلى ثلاثة أقسام اما في الأندلس فمذهب مالك وقراءة نافع وهم يقولون لا نعرف الّا كتاب الله وموطّأ مالك فان ظهروا على حنفيّ أو شافعيّ نفوه وان عثروا على معتزليّ أو شيعيّ ونحوهما ربّما قتلوه، وبسائر المغرب الى مصر لا يعرفون مذهب الشافعيّ انّما هو ابو حنيفة ومالك وكنت يوما اذاكر بعضهم في مسألة فذكرت قول الشافعيّ فقال اسكت من هو الشافعيّ انّما كانا بحرين ابو حنيفة لأهل المشرق ومالك لأهل المغرب أفنتركهما ونشتغل بالساقية، ورأيت أصحاب مالك يبغضون الشافعيّ قالوا أخذ العلم عن مالك ثم خالفه وما رأيت فريقين أحسن اتّفاقا واقلّ تعصّبا منهم)) ([1])

سايعاً – المذهب الاسماعيلي :

إن التوجه العملي لنشر التشيع في المغرب كان على يد سادس أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) ، فقد أولى إهتمامه للمغرب ، وحاول أن يعمق فيه جذور التشيع ، لوجوب البحث عن مكان آمن يلجأ أليه الشيعة ، بعد إشتداد ظلم السلطات الحاكمة لهم ويصف القاضي النعمان . انتشار التشيع في المغرب بقوله ((ان رجلان قدما من المشرق بأمر أي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) بعثهما لهذه الغاية يعرف بالحلواتي، والآخر بأبي سفيان [(2)]، فنزل السفياني ببلدة مرماجة والأخر ببلدة سوجمار [(3)] وكلاهما في ارض أفريقيا)) [(4)].

---

[1]) المقدسي ، كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص236 .

([2]) وهما داعيتان أرسلهما الإمام جعفر الصادق (ع) إلى بلاد المغرب سنة (145هـ) وقال لهما : انكما تدخلان أرضاً بوراً لم تحرث قط فاحرثهما وعرباها وذللاها حتى يأتي صاحب البذر فيضع بها حبه . ينظر : المقرزي ، الاتعاظ ، ج1 ، ص41 .

([3]) سوجمار : وهي بلدة من ارض سماتة بالناحية التي تعرف ببلاد الجريد . ينظر : القاضي النعمان ، رسالة افتتاح الدعوة ، ص68 .

([4]) النعمان ، رسالة افتتاح الدعوة ، ص27 ؛ المقريزي ، الاتعاظ ، ص41.

واستطاعا ان ينشرا الدعوة في بعض إنحاء أفريقية [1]، ثم مات أبو سفيان بمرماجنة وقبره بها يعرف . وعاش الحلواني بعده دهراً طويلاً ومات بالناظور [2] .

ومن الجدير ذكره أن الجيلالي يدَعي بأن الدعاية الشيعية قد سبقت الحلواني والسفياني في المغرب وتحديداً في (الجزائر) إذ يقول : ((كان أول من نشر الأفكار الشيعية في الجزائر منيب بن سليمان المكناسي [3] نزل بأعمال تاهرت ، ونواحي وانشريس ، فنشرها هناك بين العامة ، ثم جاء بعده السفياني والحلواني ، فنشراها أيضاً ما بين أهالي مرماجة من بلاد مجاتة وسوق حمار بنواحي قسطنطنية)) [4] .

وبهذا يكون الأثر الفعلي لنشر التشيع يعود للحلواني وأبو سفيان فقد بذرا البذرة الأولى للتشيع في تلك الناطق وهيأ الأوضاع بعد جهد كبير ، كسبا من خلاله أتباعاً ومؤيدين ورسخا التشيع في مناطق المغرب وكان لهم الفضل في تهيئة الأجواء لأبي عبد الله الشيعي كبير دعاة الإسماعيلية الذي توَّجه إلى اليمن والتقى بالداعية ابن حوشب [5] ليزوده بتعاليم الدعوة الخاصة ، فلزمه وحضر مجالسه

([1]) القاضي النعمان، ، شرح الأخبار ، ج1 ، ص20.

([2]) الناظور : وهي من أراضي سوجمار بالمغرب الأقصى . ينظر : القاضي النعمان ، رسالة افتتاح الدعوة ، ص60 .

([3]) لانملك عن المكناسي أي معلومات سوى ما ذكره عنه الجيلالي في كتابه.

([4]) الجيلالي ، تاريخ الجزائر ، ج1 ، ص301.

([5]) أختلف المؤرخون حول إسمه وإسم أبيه فالقاضي النعمان يقول أنه أبو القاسم الحسن فرج بن زادان الكوفي ، والحمادي اليماني يسميه المنصور بن الحسن بن زادان أما البهاء الجندي فيسميه منصور بن زادان بن حوشب بن الفرج بن المبارك ويذهب بن الأثير إلى القول بأنه رستم بن حوشب بن داذان النجار ، ونحن نميل إلى ما أورده القاضي النعمان كونه أقرب المؤرخين إلى زمنه كما أنه إلتقى طلابه وأصحابه ، لُقب بمنصور اليمن ، قيل أنه من ولد مسلم بن عقيل بن أبي طالب وكان يسكن كربلاء في أول حياته ويعتنق مذهب الشيعة الإثنا عشرية ، ثم تحول إلى= =مذهب الإسماعيلية ، أرسله الإمام الحسين بن أحمد لإقامت الدعوة في اليمن ، ونجح في ذلك حتى إنجراف علي بن الفضل عنه ، توفي سنة 302 أو 303هـ . ينظر : القاضي النعمان

وأفاد من علمه . ثم أرسله إلى المغرب، وقال له : ((إن أرض المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان، وقد ماتا وليس لها غيرك فبادر فإنها موطأة ممهدة لك))[1]

ولكن لا يبدو الوجود الشيعي قد حظي بنفس ما كان لما سواه من التيارات الفكرية خاصة بالمجالات الواحية التي يمكن أن تكون بلاد الراب منها خاضعة لنوع من الاستثناء بالنظر لما كانت عليه من الناحية السياسية ومن ثمة فإن الاشارات التي قد تقف عليها من هنا وهناك لا تعلو مجرد ومضات تحاول استكشاف هذا للملمح.

وفي إشارة يوردها البكري (ت 487هـ / 1094م) تخص أهل نقطة التي يكون قد غلب عليها التشيع لدرجة صارت توصف معها بالكوفة الصغرى تيمنا بكوفة ، العراق، وما يشير إليه ذلك من رمزية الحضور الشيعي البارز فيها

ولاحظ أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي في كتابه ((الرحلة الكبرى)) قوة حضور المذهب الشيعي منذ سنة 908 ميلادي إحدى الكور التي خضعت سياسيا للهيمنة الفاطمية الشيعية، بل إن مدينة نفطة مثلت إحدى المراكز الشيعية الهامة خلال هذه الفترة وكانت تسمى أيضا بـ " الكوفة الصغرى" وذلك لكثرة التشيع بين أهلها ([2]) .

الا ان الفراغ السياسي الذي سببه رحيل الفاطميون إلى مصر، قد عاد بالسلب على المذهب الشيعي وأتباعه، خاصة بعدما تحولت النخب المحلية إلى الانتقام من

، إفتتاح الدعوة ، ص32 ؛ الحمادي ، كشف أسرار الباطنية ، ص22 ؛ الجندي ، كتاب السلوك في طبقات العلماء والملوك ، ص140 ؛ إبن الأثير ، الكامل ، ج8 ، ص30 ؛ إبن المؤيد اليمني ، أنباء الزمن في أخبار اليمن ، ق1 ، ص38 ؛ يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (ت 1100هـ / 1689م)، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، ق1 ، ص191 ؛ القصير ، إبن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن ، ص31 ، ص60 .

([1]) المقريزي ، الاتعاظ ، ج1 ، ص74.

[2]) الدرعي ، الرحلة الكبرى ، ص104 .

المجموعات الإسماعيلية – الشيعية ، ففي عهد باديس انشقت الدولة الصنهاجية حيث خرج حماد بن بلكين عم باديس على ابن أخيه وأسس إمارة مستقلة تعرف باسم (أشير) وأعلن فيها الطاعة للعباسيين والخروج على الفاطميين ثم أمر بقتل كل من كان يذهب مذهبهم ـ أي الشيعة ـ ، ثم اتجه إلى باجة التي كانت موطناً لهم فاستولى عليها وأباد جموعهم سنة (405هـ) ([1]).

وانحصر وجود الشيعة في جبال الأوراس وباغاية إحدى المدن الكبرى لبلاد الزاب في تلك الفترة ، وهذا بعد فرارهم من المجازر التي ارتكبها ضدهم الصنهاجيون بمباركة وتأليب من الأئمة المالكية أنفسهم، هذه الانتهاكات نلحظها جلية في مجزرة باغاية لما اجتمعت عليهم صنهاجة وأبادتهم جماعيا ([2]) كان من ضحاياها شاعر الإسماعيلية الأول ميمون بن عبد الله الهواري([3]) سنة 409هـ/1018م. في مجمل حديثه عن الرقيق القيرواني (ت 420هـ /1029م)، يذكر الأستاذ علاوة عمارة أنه بحلول سنة 420 هـ / 1029م تواصل التعنيف والتقتيل الهمجي للجماعات الإسماعيلية والتي أُطلِق علهم ((الروافض)) من قبل الجماعات المالكية السنية في تلك المرحلة رغم تدخلات فقيه تونس أبي إسحاق، والذي يذكر القاضي عياض انه بتدخله هذا قد لاقى الكثير من الانتقادات المالكية من الأندلس والمشرق. إن أهم شخصية بعد ميمون الهواري، والتي تم استهدافها وإعدامها كان الرقيق القيرواني مبلور الفكر التاريخي للمغرب كما أورد ذلك علاوة عمارة في مقاله((الرقيق القيرواني وبلورة الفكر التاريخي ببلاد المغرب)) ، ففي حدود (420هـ / 1029)م وبقرار من المعز بن باديس تم إعدام هذه الشخصية التاريخية المرموقة والتي عرفت بميولها الشيعية المسبقة([4]) .

---

[1]) ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب ، ج1، ص273-274

[2]) علاوة ، انتشار المذهب المالكي ، ص132 .

[3]) ميمون بن عبد الله الهواريّ وليس بهوّاريّ على الحقيقة لكن سكن أبوه قرية تعرف بالهوّاريّين فنسب إليها وإلا فهو من مسالمة تونس، وكان متشيّعا شديد الصلف . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤١٩ .

[4]) علاوة ، عمارة ، الرقيق القيرواني ، ص111 .

الفصل الثالث

المبحث الأول

الجوانب الاقتصادية في بلاد الزاب حتى القرن السابع الهجري :

عرفت مدن بلاد الزاب ازدهاراً اقتصاديا بفضل ماتوفرت لها من موارد اذ شكلت حلقة مهمة من حلقات الاقتصاد في المغرب الأوسط من خلال انتاجها الزراعي والحيواني ومن خلال مايتقنه أهلها من حرف وصناعات أضافة امتهان أهلها للتجارة واهمية موقعها الذي مثل نقطة هامة للقوافل التجارية بحيث كانت بسكرة والمسيلة والقلعة نقطة عبور هامة للقوافل الصحراوية ([1]) وقد تنوع النشاط الاقتصادي بين الزارعة والصناعة والتجارة.

أولاً - الزراعة :

تعتمد الزراعة في أي منطقة جغرافية على توفر المياه اذ لايمكن قيام زراعة ما في أي مجال جغرافي الا بتوفر المياه ، وفي بلاد الزاب نجده يتميز بوفرة المياه وتكون مصدرها الآبار المختلفة منها الأولية القديمة ومنها المستحدثة ومنها الطيبة العذبة ومنها المالحة، إضافة إلى المياه التي تنساب من الوديان والمجار التي تشق إقليم الزاب خاصة التي مصدرها جبال أوراس. فالفضاء الجغرافي لبلاد الزاب، لا تكاد تخلو منطقة من مناطقه من الأودية والعيون والمياه الجوفية، وهو الأمر الذي أشادت به كتب الرحالة المؤرخين فكل من تبسة وقلعة بني حماد والمسيلة وبسكرة وطبنه ، وغيرها من مدن الزاب تقع على ضفاف الأودية أو تتوفر فيها عيون وأبار([2]).

ومن الأنهار التي غذت إقليم الزاب وادي سهر، حيث يعرف هذا الوادي بكثرة الماء وسرعة جريانه ، ويعد من أهم الموارد المائية التي تغذي مدينة المسيلة

---

[1]) بوعزيز، طرق القوافل والاسواق ، ص 13 - 29 .

[2]) عطابي، استغلال المياه في المغرب الأوسط ، ص 177 .

ومنه مشربهم وسقي مزروعاتهم وجنانهم ، وذكره البكري في قوله ((ونهر سهر الّذي عليه مدينة المسيلة منبعثه من عيون داخلة مدينة غدير وارّوا، وهي مدينة كبيرة أوّلية بين جبال فيها عين ثرّة عذبة عليها الأرحاء وعين أخرى وتحتهما عين خرّارة يقال لها عين مخلد تجتمع فيها، ومن هناك منبعث نهر سهر)) ([1]) .

كما يوجد في جنوب المسيلة وادي لعلع وقد ورد اسمه عند ابن حماد حين ذكره لحركة ابي يزيد النكاري اذ قال بأن الخليفة المنصور الفاطمي نزل على هذا الوادي ([2]) .

ومن الأنهار أيضا نذكر نهر الزاب الذي ينبع من جبل الاوراس حسب البكري كذلك نهر سيرات الذي تطرقت إليه كتب الجغرافية وذكرت أهميته في زراعة وادي الزاب التي تكمن في قدرته على سقي سهل يمتد على مساحه تبلغ حوالي أربعين ميلا، وبفضله انتشرت المزارع و البساتين على طول هذا السهل الذي حمل اسمه، ويجري نهر سيرات تحت قلعه هوارة يقول البكري : ((سيرات وهو النهر الّذي يسقى به فحص سيرات، وطول الفحص نحو أربعين ميلا ليس منه شيء إلّا يناله ماء هذا النهر، إلّا أنّه اليوم غامر غير عامر لا أهل فيه لأنّ الخوف أجلى أهله)) ([3])

لقد تم العمل على إيصال الماء إلى المدينة بإقليم الزاب حتى يسهل على سكانها الحصول عليه دون عسف، وذلك بوضع شبكات توصيل الماء إلى جميع الأحياء، وخير دليل مدينة بسكرة التي ربطت بقنوات شقت من النهر المجاور لها ([4]).

أن إقليم الزاب الى جانب توفر مياه الأنهر والوديان فيه ، توفره أيضاً على الآبار([5]) ، فبداخل مدينة بسكرة آبار عديدة عذبة المياه ، منها في الجامع بئر لا

---

[1]) البكري ، المسالك والممالك ، ج2 ، ص724 .
[2]) ابن حماد ، اخبار ، ص55 .
[3]) البكري ، المسالك والممالك ، ج2 ، ص737 .
[4]) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص230 .
[5]) البكري ، المسالك ، ج2 ، ص72 .

تنزف([1]) ، وعلى بعد مرحلة شرق مدينة بسكرة توجد مدينة تهودة بها بئر((لا تنزف أولية وآبار كثيرة ...وحولها بساتين كثيرة من أصناف الثمار وضرب البذر))([2]) .

اما بلزمة فأن فيها آبار طيبة ذات مياه عذبة ([3]) ، وعند اخرين ((آبار طيبة وماؤها غدق، وهو في وسط فحص أفيج)) ([4]) .

ومن اجل الاحتفاظ بالمياه مدة اكثر واستخدامها في فترات الجفاف وغيره اقام اهل الزاب الصهاريج ، وتعتبر الصهاريج من بين أهم منشآت تخزين المياه، حيث يعرفها ابن منظور بأنه مصنعة من الحجر يجتمع فيها الماء وأصله فارسي، وصهرج الحوض أي طلاه ([5]).

وعرفت أيضا : بأنها حفائر تحت سطح الأرض تتم إقامتها قريبا من السفوح حيث تكون المساقي، وتنشأ بعيدا عن الأراضي الزراعية لأنها كثيرا ما تستعمل في استسقاء

المواشي، وذلك تجنبا للضرر الذي قد يحصل من دخول المواشي إلى المزارع، لذلك نجدها في أطراف المدن أو خارجها في الصحاري والطرق التجارية لتسهيل استفادة الناس منها([6]) .

اما انتشار هذه الصهاريج فيعود إلى الاحتلال الروماني ، حيث كانت بكثرة في المناطق الجنوبية، وتزداد كثافتها كلما تقدمنا جنوبا، وهي تتوزع بصفة متباينة مع

---

[1]) البكري ، المسالك ، ، 52 .
[2]) المصدر نفسه ، ص72 .
[3]) الحميري ، المصدر السابق، ص 103 .
[4]) الادريسي، نزهة المشتاق، ص 114
[5]) ابن منظور، لسان العرب ، ج 7 ، ص312 .
[6]) سعد :مصادر المياه ووسائل الري ، ص 108 .

توزع مصادر المياه السطحية أو الجوفية، ومع القنوات الناقلة لمياه السدود والينابيع والأمطار([1]) .

وأقيمت الصهاريج في مدن المغرب الأوسط، ففي طبنة بني صهريج كبير يقع فيه نهرها ومنه تسقى بساتينها....وكان اكثر الصهاريج شيوعاً في بلاد الزاب من يكون شكله الشكل المستدير والمربع الزوايا ([2]) .

كما ذكر صاحب كتاب الاستبصار انه يوجد بقلعة بني حماد صهريج عظيم في وسط القصر المسمى بدار البحر ((تلعب فيه الزوارق ، يدخله ماء كثير مجلوب عن بعد))([3]).

كما ان شبكة المياه التي اقيمت منذ عهد الرومان ساعدت على بناء السدود وربطها بمختلف القنوات وحفر الآبار وهذا بدوره ساهم في وفرة المحاصيل الزراعية ([4])

والزراعة تعتبر المحور المهم للحياة الاقتصادية في عموم المغرب الاسلامي ، وقد مرت بأزمة خلال بداية الفتوحات الإسلامية نتيجة للاضطرابات السياسية والثورات ولكنها نهضت وازدهرت بعد الاستقرار السياسي [(5)] ، فنتيجة للأوضاع السياسية وبفعل الحروب والمعارك المستمرة في بلاد الزاب كغيره من مناطق المغرب تأثر الوضع الاقتصادي تأثراً بالغاً وعلى هذا لم تكن المزارع تعرف الامن والسلام اللازمين لقيام الزراعة وتأمين عبور القوافل التجارية [(6)] ، ولعل اشد اشد الاضطرابات التي اثرت في ذلك كانت حركات الخوارج في المغرب الاسلامي

---

[1]) المرجع نفسه ، ص 114 .
[2]) فاطمة بلهواري : هندسة الري وطرقه في بلاد المغرب ، ص 114
[3]) بن عميرة : الموارد المائية وطرق استغلالها ، ص 270 .
[4]) محمد صغير غانم ، نظام الزراعة والري في منطقة بسكرة ، ص 22 .

[(5)] الحبيب ، القيروان عبر عصور ازدهار ، ص 131.

[(6)] ابن عذاري ، البيان المغرب، ج، ص36 ؛ سالم ، تاريخ المغرب الكبير، ج2، ص407 ؛ عبدالرزاق ، الخوارج في المغرب، ص 272.

اذ كانت لها اثار سلبية على الأحوال الاقتصادية في الزاب حيث انها استنزفت الكثير من الموارد المادية والبشرية وادت بالتالي الى ركود وكساد في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة ، وقد كان التطور الاقتصادي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالاضطرابات السياسية [1] . ومن مصاديق ذلك ان قامت الكاهنة خلال معاركها مع حسان بن النعمان قامت بتخريب المزارع، اذ ذكرت المصادر [2] ، بانها وجهت اصحابها الى تخريب المزارع وقطع الاشجار، بعد ان كانت ((افريقية ظلاً واحداً من طرابلس الى طنجة قرى متصلة)) [3] .

- أهمية الإنتاج الزراعي :

لقد تميز إقليم الزاب بسعة مياهه وكثرة محاصيله وكثافة زراعاته وواحاته، هذه الأخيرة التي كانت مصدرا هاما للغذاء وحققت إمكانية الاستدامة في هذا المجال وهو شرط أساسي في ازدهار الحياة ورفاهية السكان، ولكون توفر الغذاء مطلب أساسي لنشوء المدن واستقرارها واستمرار نموها فإن التجمعات السكانية بالزاب تحصلت على محصول كبير من الثمار والحبوب التي تكفي لسد الحاجة السكانية وتفيض عنها ، فكان سكان الزاب يقومون بخزن ما فاض عن حاجتهم تحسبا لأ ي ضرف سيء مثل نشوب الحروب ووقوع الحصار على مدنهم ، ومصداق ذلك القصور التي وصفها النميري بالمخازن عند الحروب ، وكانوا يعتمدون على إقليمهم الذي ينتج محاصيل كبيرة في السنين المطيرة، فضلا على استغلال مياه الأودية لري زراعاتهم، مما يزيد من وفرة الإنتاج، وكانت المدن تعتمد على الطرق

---

(1) المرجع نفسه، ص 271–273.

(2) الرقيق القيرواني ، تاريخ افريقية والمغرب، ص 61 ، النويري ، نهاية الارب، 36/24 ، ابن ابي دينار، المؤنس في اخبار افريقية وتونس، ص 21.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب،ج 1، 36 ، الدباغ ، معالم الايمان،ج 1،ص64–65 ، النويري، نهاية الارب ،ج 24، ص37.

والمسالك التجارية لتزويدها بالكثير من السلع والإحتياجات من المناطق المجاورة ، لذلك فإن المدينة بإقليم الزاب عاشت مستوى إقتصاد مزدهر ([1]).

اهم المزروعات في إقليم الزاب

بطبيعة الحال كان التمر في المرتبة الأولى من المزروعات التي تعتمد عليها بلاد الزاب ، اذ المحصول الرئيسي، وتوضح المصادر أن التمور أهم المنتجات الزراعية في الزاب، كما أكدت إنتشار النخيل في مواقع مختلفة وحددت لنا نوعيتها، فقد اشتهرت بزراعتها وانتاج محاصيلها بشكل كبير طولقة وبسكرة النخيل([2]) ، لقد كانت مدينة بسكرة وباقي المناطق والمدن المجاورة لها قد إشتهرت بغاباتها وبساتينها الكثيرة، فمدينة بسكرة من خلال كتاب المسالك والممالك للبكري هي مدينة كثيرة النخل وحولها بساتين كثيرة، وهي في غابة كبيرة مقدار ستة أميال او اكثر، وتنتج هذه الغابة أجناس وأنواع التمور المختلفة، لدرجة أن أضيف إلى إسم المدينة صفة الثمرة المشهورة بها فعرفت ببسكرة النخيل وببسكرة النخل لكثرته([3]) .

ويذكرها صاحب الإستبصار((ببسكرة النخل لكثرته بها، وفي جميع البلاد إنما يصيحون عليه بسكرة)) ([4]) ، والوضع نفسه بالنسبة لمدن تهودة وبنطيوس وطولقة، وبادس، فقد كانت أكثر ثمارها النخل، محاطة ببساتين كثيرة([5]) وكان تمر إقليم الزاب يتمتع بشهرة خاصة ([6])، الا انه لم تتوفر لدينا معلومات دقيقة عن كميات إنتاج التمور بالمنطقة في العصور الإسلامية ، فالبكري قال أن أكثر ثمار بنطيوس هي النخل، وقال ابن سعيد أن من بسكرة تجلب التمر إلى حاضرة تونس وبجاية، وقال ياقوت أن في بسكرة نخل وشجر وقسب جيد، وقال القلقشندي أن

---

[1]) هدوش، المدينة ببلاد الزاب من خلال المصادر العربية ، ص116 .
[2]) البكري، المسالك، ص 254 .
[3]) المصدر نفسه ، ص 254 .
[4]) مجهول الإستبصار، ، ص 141 .
[5]) البكري، المسالك، ص 254 .
[6]) إسماعيل العربي، دولة بني حماد ، ص227 .

ببسكرة نخل كثير ومنها يجلب التمر الطيب إلى تونس وبجاية ([1]) وبهذا تبين لنا ما اشتهرت به مدن الزاب من إنتاجها لكميات التمر ذو الجودة العالية، ومن أجناس مختلفة منها جنس كان يعرف بالكُسْبا والصيحاني([2]) ، يضرب به المثل لفضله عن غيره ([3])، وجنس يعرف بالليار وكان أبيض أملس، وكان من اطيب واحسن الأنواع ، ولهذا السبب كان عبدالله المهدي الخليفة الفاطمي الاول يأمر عماله بالمنع عن بيعه والتحظير عليه، وبعث ما هنالك منه إليه ([4]) .

إلى جانب التمور تتحدث المصادر أن إقليم الزاب عرفت إنتاج الفواكه مثل الكروم، الزيتون، العنب، فبسكرة حسب البكري هي مدينة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار كما وضحنا ، وإشتهرت كذلك بكثرة الأعناب، أما تهودة فأنها تجود بالزيتون، والأعناب وجميع الثمار ([5]) ، وطولقة التي إشتهرت بإنتاج أجود أنواع التمر كانت تزرع بها العديد من الأشجار المثمرة مثل الكروم، الزيتون، والعنب([6]) (، أما بادس فجاء عند صاحب الإستبصار((بسائط كثيرة ومزارع جليلة، بها نخل كثير وجميع الفواكه والثمار)) ([7]) .

واشجار الزيتون موجودة بإقليم الزاب منذ أيام الرومان اذ اهتموا به وغرسوه هناك لمعرفتهم بأهميته الاقتصادية للدولة لكونه من أهم المصادر الاقتصادية للدولة([8]) ، و توفر الزيتون بكثرة في العديد من المدن ، فمدينة بسكرة " كثيرة النخيل و الزيتون ([9]) و مدينة أذنة لها قرية يكسم يعتبر زيتها أطيب الزيوت([10]) .

---

[1]) القلقشندي ، صبح الأعشى، ج 5، ص 194
[2]) مجهول ، الاستبصار ، ص173 . .
[3]) البكري، المسالك، ص 230.
[4]) المصدر نفسه ، ص52 .
[5]) المصدر نفسه، ص ص 254 -255 .
[6]) البكري ، المسالك، ص230 .
[7]) مجهول ، الإستبصار، ص175 .
[8]) شنيتي ، أضواء على تاريخ الجزائر القديمة، ص109.
[9]) مجهول ، الاستبصار ، ص 173 .
[10]) البكري ، المسالك ، ج2 ، ص 348 .

كما عرفت مدينة نقاوس بكثرة بساتين اللوز والجوز ، حيث يصفها الإدريسي : ((.. كثيرة الشعر و البساتين وأكثر فواكهها الجوز ومنها يتجهز به إلى ما جاورها من الأقطار)) ([1]) ...وتقع بشرقها مدينة اللوز([2]) .

و ذكرت المصادر التاريخية والجغرافية ان مدن الزاب توفرت على كميات هائلة من شجر العنب ، فالمسيلة لها كروم و أجنة كيرة ([3]) ، و نقاوس لها جنان تحتوي على فواكه اللوز و الكروم ([4]) .

ومثل ذلك ثمار التين والرمان اذ توفرت بكل من مدينتي بسكرة و نقاوس ([5]) ، وقال الوزان اثناء مدحه لتين نقاوس بأنه اشهر تين بالبلاد ويحمل منه الكثير إلى قسنطينة ([6]).

و ظهر السفرجل كإنتاج وفير بمدينة المسيلة الذي يحمل منه الكثير إلى مدينة منها بجاية([7])، والقيروان ([8]) .

اما القطن والكتان فكانا أحد أهم المحاصيل الزراعية في مدينة طبنة ([9]) ، أما سكان مدينة مقرة فكانوا يزرعون الكتان و هو عندهم كثير([10]) ، ويجود في مدينة المسيلة القطن ([11]) ويزرع فيها الكتان بكثرة ([12]).

وكانت قلعة بني حماد وبما حولها من بساتين وارباض تنتج العديد من الفواكه و الخضروات مثل الكروم و الزيتون و البقوليات، إضافة نبات الفوليون الحراني الذي

---

[1]) الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج 01 ، ص 264 .
[2]) الطاهر طويل ، المدينة الإسلامية ، ص 145 .
[3]) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص 85.
[4]) مجهول ،الاستبصار ، ص 172.
[5]) ابن الحاج النميري ، فيض العباب ، ص 440.
[6]) الوزان ، وصف إفريقيا ، ج2 ، ص 53.
[7]) ابن حوقل ، صورة الارض ،ص85 .
[8]) الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج 1 ، ص93 .
[9]) البكري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 228 .
[10]) الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 263.
[11]) ابن حوقل ، المصدر السابق ،ص85 .
[12]) الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص93 .

يشربـــه أهل المنطقة ليتحصنوا من ضرر العقارب. كما أنها كانت مشتهرة بتربيـــة الغنـــم و البقر و الخيل و الإبل و النحل و حتى البغال ([1]).

لقد شكلت سياسة الادخار والتخزين في عهد الدولة الفاطمية مكانة اقتصادية متميزة فحين أمر أبو القاسم وهو يهمّ بمغادرة المكان الذي اختاره لاختطاط المسيلة سنة315هـ/927م، بأن تدخر بها الأقوات، ومختلف أنواع الغلال، وكل ما تستدعيه الظروف والطوارئ من حاجات ففعل، فكان ابن حمدون إذا ارتفعت الأسعار، وشحّ المطر، كتب إلى القائم بأمر اهلها وهو ولي عهد الدولة الفاطمية حينها، يستأذنه في بيع ما تمّ تخزينه، مبلغاً اياه ما لتلك الزيادة من أهمية في دعم مداخيل الدولة، فكان ينهاه ويأمره بالحرص على تأمين ما تم تجميعه وادخاره، لاستعماله في حوالك الأيام، وهو ما وقع فعالاً غداة ثورة "صاحب الحمار" سواء الأولى أو الثانية، حين تمكن هذا الأخير من تضييق الخناق على العاصمة المهدية التي طوق الحصار عليها، وكاد أن ينال منها في الفترة ما بين 334- 336هـ/945 -947م، لولا المدد الذي تلقوه من المغرب الأوسط سواء من المسيلة أو آشير([2]) ، وهو ما أشار إليه ابن حماد في قوله: ((فلم تزل تلك الأطعمة مصونة مختزنة إلى فتنة أبي يزيد)) ([3]).

وبهذا اصبحت المنطقة مخزنا احتياطيا للفاطميين، بملأ المطامير بمختلف أنواع الحبوب، يتم استخدامها عند الحاجة، إضافة إلى الطابع المنبسط لأرضيها الرعوية –تمثل جزءا من الهضاب العليا حاليا - مما يسمح بممارسة تربية المواشي والأبقار والخيول، ويخزن بها الزيتون والمجففات .

---

[1]) سعودي أحمد ، الحياة الاقتصادية والثقافية لقلعة بني حماد ، ص136-160 .

[2]) أصلها ياشير، كلمة بربرية بمعنى المخالب، تسمت المدينة بذلك كناية عن موقعها الذي يسمح للمدافعين عنها بالإجهاز على كل من تسول له نفسه الإغارة عليها أو المساس بأمنها، فهي مدينة وحصن بينها وبين المسيلة مرحلة، تقع ضمن نطاق إقليم الزاب الكبير، أسسها زيري بن مناد الصنهاجي سنة 324هـ/935م، فعرفت المدينة باسمه " أشير زيري"، للمزيد عنها أنظر: الحميري، الروض المعطار ، مج 2 ، ص ص234 ، 235.

[3]

وبسبب السياسة الفاطمية في الادخار تعلم الحماديون في القلعة ذلك لاسيما وان لديهم فائض كبير من القمح يتميز بقدرته على مواجهة التلف فكان يحفظ لسنة أو سنتين دون أن يفسد، بسبب كثرة غلتها منه و هذا حسب ما قاله الإدريسي: "...كانت بكثرة غلتها تكفي لسنة أو سنتين دون أن تفسد " ([1]) .

ففي القلعة كان الحماديون يقومون بطمر المحصول الذي يفيض عن حاجتهم لاسيما من القمح في مطامير كثيرة محفورة في صحن دار قريبة من قصر السالم ([2])

4- الثروة الحيوانية :

تعتبر الثروة النباتية العنصر الأساسي لتأمين الغداء سواء كان ذلك بالنسبة للإنسان أو للحيوان، وهي بمثابة الركيزة الأساسية لمختلف الأنشطة الاقتصادية للدول، من وبالتالي فمن البديهي أن يقوم الإنسان بتربية الحيوانات، اذ تساعده في الحرث ونقل المحاصيل أو لتكون غذاء له أو تستعمل في المنتجات الصناعية مثل الألبسة والزيوت ، لذلك تجد أن بلاد الزاب اشهرت بتربية الحيوانات و غزارة إنتاجها الحيواني المتعدد ، فتذكر المصادر الجغرافية أن مدينة طبنة وافرة الماشية من البقر والغنم وسائر الكراع والنعم ([3]) ، ويدخل في هذا الوصف الدواجن وحتى الإبل الذي يستطيع التأقلم مع مناخ المدينة . أما مدينة المسيلة أيضا فهي كثيرة المواشي من الدواب والأنعام و البقر([4]) ويصفها البكري على أنها كثيرة اللحم ([5]) ، وجبل أوراس وافر الماشية من سائر النعم و الكراع ([6])، وكلمة النعم و الكراع تشير إلى البقر والغنم والماعز و أنواع الطيور الداجنة والخيل والبغال . فهذه الثروة

---

[1]) الإدريسي: المصدر السابق، ص 109 .
[2]) سعودي أحمد ، الحياة الاقتصادية والثقافية لقلعة بني حماد ، ص136-160 .
[3]) ابن حوقل ، صورة ، ص 85.
[4]) ابن حوقل ، صورة ، ص 85.
[5]) الإدريسي ،نزهة المشتاق ، ج 1، ص240 .
[6]) ابن حوقل ، صورة ، ص 85 .

الحيوانية الهامة استعملت في حياة الإنسان الزابي إما للغذاء أو مساعدا له في الزراعية والتجارية وغيرها من نواحي الحياة المختلفة ، مثل كونها تستعمل للركوب و التنقل و المشاركة بها في الحروب مثل الخيول و البغال أو الحمير لقوة تحملها ([1])، وذكر أن عقبة بن نافع قد غنم من جبل أوراس خيرا لم يعرف أصلب و أسرع منها ([2]) ، كما اشتهرت مدينة المسيلة بتوفر الأسماك بنهر سهر([3]) .

ومن ابرز ما ربى الفلاح في بلاد الزاب الضأن فهو من بين المواشي التي اشتهرت بتربيتها المناطق السهبية من إقليم الزاب ، ولعل أهم المدن التي اشتهرت بتربيتها هي مدينة بونة، حيث يفيدنا ابن حوقل أن من تجارتها ((الغنم والصوف والماشية من الدواب وسائر الكراع)) ([4]) .

وكانت تربية وتجارة الأغنام منتشرة في المسيلة وبونة وطبنة ([5]) .

اما بالنسبة للأبقار فكانت طبنة "وافرة الماشية من البقر والغنم وسائر الكراع " ([6]) ، وقد كثرت عند أهل المسيلة ((الماشية من الدواب والأنعام والبقر)) ([7]) .

كما تواجدت الخيول بأقليم الزاب خلال العصر الوسيط، والإشارات المدونة حولها تؤكد على دور كبير لقبيلة زناتة في الاهتمام بتربية وترويض هذا النوع من الدواب، وفي هذا الشأن ذكر الإدريسي أن " أكثر زناتة فرسان يركبون الخيل "([8]) كما نجد ابن حوقل يذكر أن أهل بونة ((قل من بها تفوته الخيل السائمة)) ([9]) ، واشتهرت المسيلة بسوائم الخيل والأغنام والأبقار([10]) .

---

[1]) جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق ، ص 65 .
[2]) الحميري ، المصدر السابق ، ص387.
[3]) الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 254 .
[4]) ابن حوقل النصيبي، نزهة المشتاق ، ص: 8
[5]) المصدر نفسه ، ص86 ، ص95 .
[6]) المصدر نفسه ، ص89 .
[7]) المصدر نفسه ، ص89 .
[8]) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص155 .
[9]) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 80 .
[10]) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص155 .

اما الجمال فهي أهم الأنواع الحيوانية انتشارا في المجال الصحراوي الزابي ، وقد امتازت بالكثير من المزايا منها احتمالها للعطش، وحمل الأثقال وقطع المسافات الطويلة في الصحراء ، وقد عرفت قبيلة زناتة بامتلاكها وتربيتها لاعداد كبيرة من الجمال في صحاري المغرب الأوسط وبلاد الزاب فيذكر الرحالة ابن حوقل أن : ((الجمال كثيرة في براريهم وسكان صحاريهم التي لا تدانيها في الكثرة إبل العرب)) ([1]) .

رغم ان بلاد الزاب هي بلاد داخلية فانها حوت الأنهر التي يصطاد فيها السمك ومن بين الأنهار التي حوت الأسماك نهر المسيلة الذي يتميز((بسمك صغير، فيه طرق حمر حسنة، ولم ير في بلاد الأرض المعمورة سمك على صفته، وأهل المسيلة يفتخرون به، ويكون مقدار هذا السمك من شبر إلى ما دونه، وربما اصطيد منه الشيء الكثير، فاحتمل إلى قلعة بني حماد)) ([2]) .

ثانياً : - الصناعة:

عرف مجتمع إقليم الزاب نشوء حرف وصناعات متعددة انتعشت بنمو الإنتاج الزراعي ووفرة الثروة الحيوانية؛ فقامت الصناعة الحرفية بالأساس على هذا الإنتاج، وعليه شاعت الصناعة الزراعية، والصناعة التي تعتمد على ما تنتجه الثروة الحيوانية، والصناعة المعدنية التي تقوم على موارد الإقليم أو ما يتم جلبه من المناطق الأخرى. و عندما تحقق الاكتفاء الذاتي كان يتم تصدير الفائض عبر القوافل التجارية التي تعبر جل مدن الإقليم لتصل إلى بلاد السودان أو المشرق الإسلامي و منها ما حمل عبر البحر عبر بجاية لتصل مدن الأندلس أوربا.

وكان للواقع السياسي دور في تطور هذه الصناعة أو زوالها، حيث أن إقليم الزاب توفر على موارد أولية أسهت في نشوء بضع صناعات و حرف، بينما غابت المادة الأولية في بعض الصناعات الأخرى، فكانت تجلب تلك المادة مع قوافل

---

[1]) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص98.
[2]) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص156 .

التجار من البلدان المجاورة، لذلك أسهمت الحالة السياسية المستقرة في ازدهار الصناعات و ظهور الأسواق و تبادل المنتجات بين مختلف المدن، فإذا ظهرت الصراعات و والاقتتال زالت هذه الصناعات و قطعت الطريق أمام القوافل التجارية.

الصنائع يمكن أن تصنف ويفاضل بينها لاعتبارات أخرى متعددة، وقد يفضل بعضها البعض الآخر بسبب نوع المادة المستعملة مثل الصباغة وصناعة العطور، ومنها بسبب الأدوات التي تتم صناعتها مثل آلات الرصد، والاسطرلاب وبسبب الحاجة الضرورية الداعية الى اتخاذها كالحياكة والحراثة والبناء أو بسبب انتفاع عدد أكبر منها مثل الحمامين والكناسين، وأخرى بسبب طبيعة الصناعة نفسها([1]) .

ومهما كان الأمر فإن الصنائع تختلف من مجتمع الى آخر، باختلاف درجة التطور، فإن صنائع المجتمع البدوي تختلف عنها في المجتمع الحضري، فهي تتركز في المجتمع الأول حول توفير الطعام والملبس والخيام وبعض الأدوات التي تستعمل في توفير الأمن للناس، وبالجملة فهي ترتكز حول ما هو ضروري وهي في العادة قليلة، أي أن المجال الصناعي في المجتمع البدوي ضيق، وهذا ما دعا ابن خلدون أن يذكر أن العمران البدوي ولا يحتاج من الصنائع الا البسيط خاصة المستعمل في الضروريات من نجار أو حداد أو خياط أو حائك ([2]). ونحو ذلك ويضيف أن الصنائع في الأمصار الصغيرة ناقصة ولا يوجد منها الا البسيطه فإذا تزايدت حضارتها ودعت أمور الترف فيها الى استعمال الصنائع خرجت من القوة الى الفعل ([3]) .

ويختلف الأمر بالنسبة للمجتمع الحضري، حيث يستبحر العمران، ويكثر السكان، ويزداد تطلعهم الى ما وراء الضروري أعني الى الكماليات، وكلما تقدم في حياة الرفاهية والترف اتسعت نظراته وتطلعاته اليها، بل أن الأمر يتعداها الى التفنن

---

[1]) رسائل أخوان الصفا ، ج 1 ص 287 .
[2]) ابن خلدون ، المقدمة ، ص401 .
[3]) المصدر نفسه ، ص400.

فيها، وكلما تقدم أيضًا اتسعت دائرة نشاطه الصناعي، وفي هذا الشأن يذكر ابن خلدون: إذا زخر بحر العمران وطلبت فيه الكمالات كان من جملتها التأنق في الصنائع واستجادتها فكملت بجميع متمماتها وتزايدات صنائع أخرى معها مما تدعو اليه عوائد الترف وأحواله من جزار ودباغ وخراز وصائغ وأمثال ذلك [1]وإذا زاد العمران اتساعا ظهرت صناعات أخرى مثل: الدهان والصفار والحمامي والطباخ والشماع والهراس ومعلم الغناء والرقص وقرع الطبول على التوقيع([2]).

وهو يربط بين اتساع العمران واتساع ميدان الصناعة فيذكر أنه: ((إذا عظم عمران المدينة وكثر ،ساكنها كثرت الآلات بكثرة الأعمال حينئذ، وكثر الصناع الي أن تبلغ غايتها من ذلك... فإذا تراجع عمرانها وخف ماكنها قلت الصنائع لأجل ذلك)) ([3]) .

وهكذا يمكن القول أن الصناعة في بلاد المغرب الأوسط، لم تكن على وتيرة واحدة ومستوى واحد نظرا لتعدد مستويات نواحيه، فهناك نواح يسودها المجتمع البدوي.

وكانت هناك مراكز صناعية في القرى المنتشرة عبر أنحاء بلاد المغرب الأوسط لاسيما يلاد الزاب ، وهي أكثر تقدما من صناعة المجتمع البدوي لأنها تدخل فيها الفلاحة ومنتوجاتها اضافة الى الصناعة الحيوانية، إلا أهم المراكز الصناعية هي في مدنه العديدة مثل مدينة مسيلة.

شكلت الصناعة أحد أهم الأنشطة الاقتصادية ،وقد وجد الملح ببسكرة ([4]) ،بحيث يذكر البكري بأن بها جبل يقطع فيه الملح كالصخر الجليل ([5])، وكذلك

---

[1]) ابن خلدون ، المقدمة ، ص 401.
[2]) المصدر نفسه ، ص 401.
[3]) المصدر نفسه ، ص 359 .
[4]) رشيد بوريبة ،المرجع السابق ،ص136 .
[5]) البكري ،المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ،ص 52 .

القطن وقصب السكر والكتان الجيد ([1])،والكثير من المزروعات القابلة للتحويل([2]).

ومما لاشك فيه أن حواضر ومدن إقليم الزاب شهدت حركة صناعية متنوعة، و هذا راجع بالدرجة الأولى إلى النمو الزراعي وتعدد المحاصيل وكثرة الثروة الحيوانية إضافة إلى وقوعها في مفترق الطرق التجارية الداخلية و الخارجية مما أنعش حركة الصناعة بها فبسبب القطن والكتان واصواف الحيوانات ظهرت صناعة النسيج فمدينة تبسة: ((بها بسط جليلة محكمة النسيج يقيم البساط منها مدة طويلة)) ([3]). ولوجود القطن بها بكثرة أصبحت ((بها صنائع وهي كثيرة القطن))([4])

وظهرت في إقليم الزاب حرفة الصوف التي تعتمد بالدرجة الأولى على صوف الأنعام التي كانت كثيرة في الإقليم ، حيث عبر ابن حوقل عن مدينة المسيلة بأنها ((كثيرة المواشي)) ([5]) ، وعن طبنة قال ((مدينة طبنة وافرة الماشية من البقر من الدواب والأنعام و البقر والغنم وسائر الكراع و النعم))([6]) لهذا كثرت فيهما صناعة الانسجة والاردية بمختلف أنواعها . .

أما الكتان فكان يستعمل نسيجه في صناعة الثياب و غيرها ([7]) ، فوصف الجغرافيون غنى بعض مدن الزاب المشهورة بمحاصيل الكتان مثل مدينة طبنة التي عرفت زراعة الكتان ([8]) ، ومدينة مقرة التي كانت زراعة الكتان بها كثيرة ([9]) .

ونتيجة لتوفر القطن في عدد من مدن الزاب مثل مدينتي طبنة و المسيلة، فقد ساهم ذلك في ظهور الصناعة القطنية مثل الملابس القطنية، واستعمل أيضا في

---

[1]) الورثلاني ،الرحلة الورثلانية ، ص 111 .
[2]) بن قربة ،تاريخ مدينتي المسيلة والقلعة ، ص 251.
[3]) الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص363 .
[4]) الإدريسي ، نزهة المشتاق ،ج1 ، ص263 .
[5]) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص87 .
[6]) المصدر نفسه ، ص85 .
[7]) ابن حيان ، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ص40
[8]) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص85 .
[9]) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج1 ، ص263 .

مجال التداوي، ويذكر الحموي عن خداع الصناع أنهم " كانوا يحفظونه في مناطق ندية فيزيد وزنه " ([1])

ومن بين الصناعات الغذائية التي عرفها إنسان الإقليم صناعة عصر الزيتون فلأن شجرة الزيتون متوفرة بإقليم الزاب بكثرة نتيجة غرسه من ايام أيام الرومان لمعرفتهم بأهميته المصادر الاقتصادية للدولة ([2]) كما وصف الرحالة و الجغرافيون كثرة الزيتون بأقليم وادي الزاب و المدن التي يضمها ، كمدينة بسكرة التي هي "كثيرة النخيل و الزيتون " ([3]) ، ومدينة أذنه التي لها قرية يكسم، يعد "زيتها أطيب الزيوت "([4]) .

لقد استعمل الزيتون في إقليم الزاب عدة استعمالات اذ نجدهم يقومون بتصبير حبه واستعماله طعاما ، أما زيته فيدخل في عدة استعمالات سواء في تحضير الطعام أو يؤكل بالخبز أو يستعمل للإضاءة أو للعلاج و كان عصر الزيتون يتم بطريقة بدائية و هي متبعة إلى الآن، فحبوبه تهرس بواسطة عجلة يديرها حيوان، ثم يمر الزيت المهروس إلى المعصرة ثم تأتي المرحلة الثانية حيث يتم غلي الزيتون و عجنه ثم يترك في أحواض فيطفو الزيت، ثم يحفظ في قالل أو زقاق من جلود الأغنام ([5]) .

الأرحية او الرحى : كما هو معلوم ان إقليم الزاب تتوفر فيه أغلب محاصيل الحبوب، فكان الغذاء الأساسي للسكان يتكون من محاصيل القمح و الشعير والحنطة التي تدخل في صناعة الخبز و بعض أنواع الطعام و الحلويات لاسيما وان تخزينها

---

[1]) الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص257 .
[2]) شنيتي ، أضواء على تاريخ الجزائر ، ص109.
[3]) مجهول ، الاستبصار ، ص 173 .
[4]) البكري ،المسالك والممالك ، ج2 ، ص348 .
[5]) جودت، الاوضاع الاقتصادية ... ، ص ، ص 46-47

مقدور عليه عندهم ، فيذكر الإدريسي على أن الحنطة تختزن في قلعة بني حماد : ((فتبقى العام و العامين لا يدخلها الفساد و لا يعتريها التغيير)) ([1]).

وكانتا الرحية توضع على أفواه الأنهار فإذا خرج املاء أدارها، وكانت بعضها تدار بواسطة الحيوان ([2]) و إلى جانب هذه الأرحية كانت هناك أرحية أخرى متنقلة تدار باليد في المنازل([3]).

كما ظهرت في إقليم الزاب صناعة التجفيف فإذا توفر المحصول بكثرة يستعمل الفائض منه في التجفيف أو البيع، فعرفت مدن الإقليم محاصيل الفواكه التي من الممكن استعمالها في التجفيف ومن ثم للتصدير ((تحمل منها الفواكه و العنب و الرب إلى مدينة بجاية)) ([4]) .

كما صنعت في إقليم الزاب الحصران او الحصر اذ تمت صناعتها من نبات الحلفاء أو القصب أو حتى من سعف النخل ، وعرفت المنطقة كذلك صناعة الغرابيل و التي هي ملازمة للحبوب المتوفرة بالمنطقة التي ربما كانت في جل المدن، و ظهرت مهنة استخراج الملح، والذي كان متوفرا بمدينة بسكرة ([5]) .

كما صنعت الأسلحة في إقليم الزاب ، فنجد أن مدينة الغدير بالقرب من المسيلة اشتهرت بصناعة الدروع حتى أصبحت تعرف بغدير الدروع ([6]) .

، إضافة إلى حذوات الخيول وبعض أدوات الفلاحة كالمحراث و الفؤوس وغيرها، وصنعت أيضا السلاسل الحديدية و الأقفاص ([7]) .

---

[1]) الإدريسي ، نزهة المشتاق ،ج1 ، ص261.
[2]) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص125 .
[3]) جودت، الاوضاع الاقتصادية .. ، ص 110-109 .
[4]) مجهول ، الاستبصار ، ص128 .
[5]) البكري ، المسالك والممالك ، ج2 ، ص231 .
[6]) جودت، الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، ص 121.
[7]) المرجع نفسه ، ص 121 .

كما لم تغب صناعة الفخار عن مدن الإقليم فقد تمت صناعته هناك لاسيما وانه يستعمل بكثرة في كثير من الأدوات المستعملة في المنازل والمهن مثل صناعة القلل و الجرات و الأطباق و الكؤوس وغيرها ([1]) .

3- التجارة :

تعتبر التجارة وعملية التبادل التجاري التي تمارسها المجتمعات الإنسانية دليلا على الانتعاش الاقتصادي الذي يسبقه الاستقرار السياسي والنهوض الزراعي والصناعي ، ولم تكن بلاد الزاب استثناءً عن هذه القاعدة ، فلقد انتعشت التجارة في مدن بلاد المغرب خلال العصر الوسيط عامةً ومدن إقليم الزاب خاصةً ، وبالتحديد القرن الرابع الهجري/10م، لأنه قرن اتسم بالانتعاش الاقتصادي من جهة، وبالتنافس والصراع بهدف التحكم في منافذ تجارة الذهب والرقيق والملح من جهة أخرى.

ان مدن الزاب كغيرها من المدن عرفت التجارة عبر طرقها ومسالكها المتنوعة فقد تعددت بها المسالك التجارية بحكم موقعها الجغرافي المهم الذي يعتبر نقطة وصل بين العديد من المناطق والتقاء القوافل التجارية ،اذ شكلت مدينة بسكرة أهمية تجارية بالغة وذلك لتوسطها بين الصحراء والتل ([2]) ، وقد ارتبطت مدن الزاب بطرق تجارية داخلية منها طريق يصل بنطيوس ببسكرة ([3]) ، وطريق يمكن الإنتقال عليه إلى باغاية ([4]) ، وطريق من باغية إلى نقاوس ([1]) ،والتي بدورها تنقل إلى بسكرة ([2]) .

---

[1]) جودت، الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، ص 117 .
[2]) الزبيري ، التجارة الخارجية لشرق الجزائري ، ص 163.
[3]) الحميري ، المصدر السابق ، ص 401.
[4]) حساني ، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية ، ص 84 .

ومن الطرق الداخلية توجد طرق تجارية خارجية منها الطريق التجاري الذي يربط سجلماسة بوجدة وتلمسان وتاهرت ،ومن بلاد الجريد إلى القيروان عن طريق قفصة ثم الساحل التونسي إلى طرابلس عن طريق نغراوة ثم برقة ثم مصر ([3])، وقد ارتكز النشاط التجاري بمدن بلاد الزاب على العديد من المنتجات فكانت هناك تجارة الحبوب والزيوت والأنسجة الصوفية إلى جانب بيع التمر([4]) ، فمادة التمور اعتبرت أساس التجارة فمدينة بسكرة مشهورة بأنواع التمور "الليلري ([5]) ، زد على ذلك التجارة بمادة الملح التي كانت متوفرة بمدينة بسكرة ([6]) ، وهذا ما ا زد في أهميتها الاقتصادية وإلى جانب مادة تمر توجد الحبوب التي كان يتم جلبها من نواحي المسيلة ([7]) وسهول الفيض، ([8]) عند مصب وادي العرب ([9]) .

وبتنوع المنتوجات التجارية زاد هذا في حركية الأسواق مثل سوق تهودة ([10]) ، وأسواق منطقة الحضنة ([11]) ، ومختلف الأسواق المتنوعة على كافة إقليم الزاب والتي يوجد فيها مختلف المنتوجات الزراعية مثل تجارة الجوز التي كانت تحمل من منطقة نقاوس إلى بجاية وإلى أسواق بلاد المغرب ([12]) ، وتجارة السفرجل التي

---

[1]) الحميري ، المصدر السابق ، ص65 .
[2]) رشيد بورويبة ، المرجع السابق ،ص 114.
[3]) الجنحاني ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة ، ص 152.
[4]) الزبيري ، المرجع السابق ، ص 163 .
[5]) مجهول ، الإستبصار ، ص 173.
[6]) البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب،ص52 .
[7]) الزبيري ، المرجع السابق ،ص162 .
[8]) الفيض:هي مدينة خصبة وسط سهول واسعة ،تبعد عن مدينة بسكرة بحوالي عشرين ميلا في طريق سيدي عقبة - ينظر عبد الحميد ز وزو، الاوراس ابان فترة ..... ، ص 43 .
[9]) واد العرب : ينبع من جبال الأو ا رس يسقي بساتين خنقة سيدي ناجي ويمر بمدن ليشانة والقصر وزريبة الوادي -،ينظر :المرجع نفسه ،ص43 .
[10]) رشيد بوروبية ، المرجع السابق ، ص 149 .
[11]) البكري ،المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب ، ص 59 .
[12]) صاحب الاستبصار ،المصدر السابق،ص 172 .

كانت تنتقل من أسواق المسيلة إلى القيروان ([1]) ، كما انتقلت المنتوجات التجارية لمدن ال ا زب في كامل نطاق المغرب الأوسط وإلى بلاد الحبشة ([2]).

وقد كان لمدن إقليم الزاب أهمية كبيرة بالنسبة للطرق التجارية الا انها كانت أهميتها من خلال الطريق الداخلي البري الذي يجتاز مناطق المغرب الواقعة بين المنطقة الساحلية وبين البراري والمفاوز(الصحراء) والتي تفصل المغرب عن السودان. ويبدأ هذا الطريق من إفريقية ويسير إلى آخر أعمال طنجة ويمر في بلاد عامرة ومدن متصلة ([3]) ، إن هذا الطريق عبارة عن شبكة كبيرة من الطرق التي تربط المراكز أو الأسواق التجارية المغربية. ونجد في هذه الشبكة طرقا برية رئيسية وأخرى فرعية كثيرة منها :

الطريق البري الأول، يبدأ من القيروان، وهو بثلاثة فروع تلتقي عند المسيلة في الزاب، حيث عدت مركز التقاء الطرق البرية الداخلية خلال القرن الرابع الهجري. والملاحظ أن إنشاء مدينة المسيلة قام على عامل اقتصادي، له مساس بتأمين المسلك التجاري الذي يبدأ من سجلماسة إلى القيروان، لأن المسلك الشمالي كان مهددا من قبل أمويي الأندلس، والمسلك الصحراوي الجنوبي تسيطر عليه قبائل زناتة على الأقل في هذه المرحلة التاريخية ([4]) يعني أن أهمية المسيلة التجارية ليست فقط محليا، وإنما لعبت دورا هاما في النشاط الخارجي وخاصة في التجارة العابرة للصحراء.

كما يتوسط الفرع الأول للطريق البري الفرعين الآخرين، و يبدأ من القيروان باتجاه مدينة تيهرت غربا، فقد ذكر "الأصطخري" هذا الطريق بإيجاز شديد، مكتفيا

---

[1]) ابن حوقل ،المسالك والممالك ،ص 60 .
[2]) أبو عبد الله الزهري ،كتاب الجغرافية ، ص 124 .
[3]) ابن حوقل، صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص84 .
[4]) الجنحاني، دراسات مغربية في التاريخ ، ص81 .

بالإشارة إلى أنه يستغرق مسيرة ست وثلاثون مرحلة على الإبل ([1]) ، بينما ذكرها "البكري" بتسع عشر مرحلة، . ويمر هذا الطريق ببغاي وبلزمة وطبنة وأدنة ببلاد الزاب إلى أن يصل إلى تيهرت ثم تلمسان وليتوقف في بلاد السوس. فهذا المسلك يشكل المعبر الرئيسي الذي ضمن للقيروان الإشراف الإداري مباشرة بعد الفتح الإسلامي وقدم "ابن حوقل ([2]) " تفاصيل حول هذا الطريق باتجاه تيهرت، فهو يجتاز مرماجنة ، هذه المدينة التي اعتبرت أول مفترق طرق، إذ يتفرع منها طريقان، واحد باتجاه شمال غرب في ناحية تيجس([3]) والآخر باتجاه الغرب في ناحية مسكيانة ثم باغاي. ومن هذه المدينة انشطر هذا الطريق إلى فرعين، واحد باتجاه بلزمة ونقاوس وطبنة، وهذا الممر يلتقي بالفرع المؤدي من مرماجنة إلى تيجس ثم إلى قسنطينة ثم ميلة وسطيف وآشير. أما الفرع الثاني فيفترق من باغاي نحو دوفانة ودار ملول([4])ثم نحو طبنة ومقرة ([5])والمسيلة لتنتهي بتيهرت .

وينتهي هذا الطريق عند مدينة فاس، فهو يمر بالسير إلى باغاي وطبنة مارّا بدار مدلول، وقبل أن يصل هذا الطريق إلى المسيلة يمر على مقره وهو منزل فيه مرصد لجباية الضرائب التجاري ([6]) اما الفرع الثاني فهو الفرع الشمالي من الطريق البري العام الذي يربط القيروان بالمسيلة، حيث يمر عبر بلاد كتامة والأربس، و يسير باتجاه مدينة تيجس ومنها إلى قرى عديدة حتى يصل إلى مدينة المسيلة **([7])** في حين نجد الفرع الثالث وهو الفرع الجنوبي، الذي يربط القيروان بالمسيلة ويمر على المناطق الواقعة جنوب جبال الأوراس، وهي مناطق الواحات والجريد، ويربط هذا الطريق المسيلة بطبنة ثم تهوذا وبادس الواقعتان على حافة

---

[1]) الاصطخري ،المسالك والممالك، تحقيق، محمد عبد العال الحسني، القاهرة، دار القلم، 1961م ، ص37.

[2]) صورة الأرض، ص 84 -85.

[3]) تقع غرب الأربس، المصدر نفسه، ج2، ص.293، البكري، المصدر السابق، ص.53.

[4]) تقع غرب طبنة، الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 263-264.

[5]) تقع بالقرب من المسيلة، ابن حوقل، المصدر السابق، ص 119.

[6]) ابن حوقل، المصدر السابق، ص84-85.

[7]) المصدر نفسه، ص86-87.

جبال الأوراس الغربية، وهما من مدن الزاب، ومنها إلى المدن الواقعة جنوب الأوراس كتامريت ومدالة، ثم نفطة وقسطيلة ([1]) وينتهي بقفصة ([2]) وبعد أن تنتهي الفروع الثلاثة من القيروان عند المسيلة، يسير الطريق البري باتجاه المغرب نحو مدينة تيهرت وفاس مركز التقاء الطرق التجارية البرية الداخلية. ويوافق "المقدسي" ([3])

قول "ابن حوقل" **([4]) في** وصفه لهذا الطريق، ويحدد مسافته فيذكر أنه يبدأ من تيهرت إلى مدينة آشير ثم على المسيلة ثمانية أيام و منها على مجانة ثم إلى القيروان ستة أيام، وهو أقصر الطرق، إذ لا تتعدى مسافته أربعة عشر يوما. ومن مدينة تلمسان ثم على مدن العلويين، ويستمر هذا الطريق إلى مدينة فاس، ويستغرق الطريق بين مدينتي تيهرت وفاس حوالي خمسين يوما([5]).

ويصف "ابن حوقل([6]) " الطريق بين فاس والمسيلة بالمقلوب، مبتدئا بمدينة فاس ومنتهيا بالمسيلة ثم القيروان والسبب كما قال هذا الجغرافي :"لأنني سلكته من المغرب إلى إفريقية " ([7]) . والواضح أن هذا الطريق يسير من مدينة فاس باتجاه المسيلة في مناطق سهلية وذات أنهار ووديان، فمن فاس على سبو، وهو نهر عظيم، ونمالته التي تقع على واد يقال له إيناون.

ويسيرالطريق في هذا الجزء من بلاد المغرب بموازاة الساحل وليس بعيدا عنه، فهو يمر بجرارة أبي العيش التي تقع على بعد ستة أميال من البحر، ومنها إلى تلمسان ويستمر سيره إلى مدينة أفكان ، ومنها يتفرع إلى فرعين، أحدهما يسير باتجاه الشرق إلى تيهرت الواقعة على بعد ثلاثة مراحل من أفكان. أما الفرع الثاني

---

[1]) تشكل مجموعة مدن من بلاد الجريد بتونس وهي : توزر ونفطة والحمة وتقيوس وقفصة، البكري، المصدر السابق، ص

[2]) ابن حوقل المصدر السابق، ص.87.

[3]) أحسن التقاسيم، 1906، ليدن، ص.247.

[4]) صورة الأرض، ص.ص. 88- 89.

[5]) المقدسي، المصدر السابق، ص. 246. الأصطخري، المصدر السابق، ص37.

[6]) صورة الأرض، ص.ص. 88- 89.

[7]) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص89.

فيسير من هذه المدينة بموازاة البحر إلى مدن شلف وتنس والخضراء، ومنها ينحرف الطريق إلى مدينة مليانة ليصل بعدها إلى مدينة أشير التي تبعد بثلاث مراحل من المسيلة، ومن هناك يرتبط هذا الطريق بالطرق الفرعية الثلاثة المتفرعة من المسيلة و المؤدية إلى القيروان ([1])

اما الطريق البري الثاني، الذي يربط إفريقية بالمغرب الأقصى، فإنه يخترق مناطق الواحات في المغرب الأوسط وبلاد الجريد، التي أصبحت نقطة التقاء بين مختلف المناط في المغرب الاسلامي، التي تمر بها القوافل التجارية. وقد قدم "اليعقوبي" وصفا لهذا الطريق الذي يبدأ من القيروان عبر مناطق بلاد الجريد، ماراً بالمغرب الأوسط وتحديداً بتيهرت ومنها إلى عاصمة بني مدرار سجلماسة ، والى ذا الطريق أشار ابن حوقل اذ قال : ((الطريق من سجلماسة إلى القيروان عبر بلاد الجريد)) مبيناً أهم المراكز التجارية التي يمر بها وهي سماطة من أرض نفزاوة، ونفطة ثم قسيطيلية ومدينة قفصة، ثم يستمر الطريق حتى يصل إلى القيروان، ويقدر المسافة التي تقطعها القوافل التجارية بين سجلماسة والقيروان عبر هذا الطريق حوالي شهرين ([2]) .

---

[1]) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص.ص. 88-89.

[2]) المصدر نفسه ، ص.109.

المبحث الثاني

الحياة العلمية في اقليم الزاب

تزودنا المصادر الجغرافية بنزر قليل من المعلومات عن الحياة الدينية ببسكرة وإن لم تكن هذه المعلومات كافية إلا أننا نستطيع من خلالها تصور ما كان عليه المجتمع البسكري في العصر الوسيط، فباعتبار بسكرة من المناطق الصحراوية، يمكننا تخيل حياة القساوة وشظف العيش التي كان عليها سكانها، فقد وصف سكان بسكرة بأنهم فقراء ، غير أنهم مهتمون بالعلم وموصوفون بالأدب([1])

غير أن بسكرة عرفت ازدها را اقتصاديا ونهضة عمرانية وثقافية، خاصة مع بداية القرن الخامس للهجرة، وهذا ما نستشفه من خلال المصادر، حيث يصفها البكري بالمدينة الكبيرة ([2]) والادريسي بالحصن المنيع ([3]) ، ونظرا لكبرها وحصانتها وتوفر الأمن بها شهدت مدينة بسكرة تطورا في الجانب الاجتماعي والعلمي والثقافي، حيث يذكر البكري أن: ((ببسكرة علم كثير وأهلها على مذهب أهل المدينة)) ([4]) ، كما يصفها صاحب كتاب الاستبصار بأنها ((دار فقه وعلم ، فيها العلماء([5])))، فمن خلال ما أورده الجغرافيان يمكننا أن نتصور الجو العلمي الذي . سكان بسكرة خاصة وأنها وصفت بدار فقه و علوم، ووصف العلم بها بالكثير وبالأخص ما تعلق منه بالعلوم الدينية والمذهب المالكي، وبما أن سكانها على مذهب أهل المدينة وهو المذهب المالكي، فقد أثر البسكريون هذا المذهب على بقية المذاهب، شأنهم في ذلك شأن أغلب العامة في المغرب الأوسط ([6]) .

إذن فقد أدى التطور والازدهار الاجتماعي والاقتصادي ببسكرة إلى تطور الجانب العلمي والثقافي بالمدينة دون أن نغفل دور الأمن في ذلك، فنرى أن المدينة

---

[1]) الوزان ، وصف إفريقيا، ج2، من 138 .
[2]) البكري المغرب، 136 .
[3]) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص 264 .
[4]) البكري. المغرب ، ص 137 .
[5]) مجهول، الاستبصار، ص 173 .
[6]) طمار، المغرب الاوسط ، ص196.

قد أخرجت مجموعة لا بأس بها من العلماء، أمثال أبو عبد الله الملشوني وابنه إسحاق " ([1]).

اللذان ينسبان إلى إحدى قراها وهي ملشون ([2]) ، وقد كانا من العلماء الأفذاذ يُحمل عنهما العلم ([3]) " كما يذكر ياقوت الحموي أنه ينسب إلى بسكرة أيضا العالم أبو القاسم يوسف بن علي، وهو أبو ذؤيب ابن خويلد البسكري ([4]) ، الذي سافر إلى إلى بلاد المشرق وسمع من جمع من العلماء هناك. كان يفهم في الكلام والنحو، كما كان له اختيار القراءة. وكان يدرس النحو([5]) "

أهمية المسيلة علمياً :

كانت المسيلة كغيرها من حواضر العالم الإسلامي منارة للعلم والعلماء في العصر الوسيط أنجبت الكثير من العلماء سواء كان أصل هؤلاء العلماء منها وولدوا بها أم استوطنوها ودرسوا بها من أمثال عائلة المقري وعائلة المرازقة العجيسيين،وابن رشيق المسيلي، وأبو علي المسيلي وغيرهم كثير.

---

[1]) أبي عبد الله عبد الملك الملشوني (كان حيا سنة 226 ه/ 841 م)، عارف بالتاريخ، مشارك في عدة علوم، من فقهاء المالكية، تعلم بقريته ملشون ثم بالقيروان، وجالس ابن سحنون وأخذ عنه، كان نديما لمحمد بن الا غلب سادس امراء بني الاغلب (206- 242ه) انظر : عادل نويهض، معجم اعلام الجزائر ، مركز الامام الثعالبي ، الجزائر ، 2011م ، ج2 ، ص150 .

[2]) ملشون من قرى بسكرة من ناحية إفريقية القصوى، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 192 .

[3]) البكري ، المغرب، ص 137

[4]) وهو يوسف بن علي بن جبارة بن محمد أبو القاسم الهذلي البسكري المغربي أبو القاسم النحوي المقرئ، نشأ في بسكرة كان كثير الترحال في طلب القراءات المشهورة والشاذة، زار أصبهان وبغداد وسمع من نعيم الأصبهاني وغيره، كان رجلا من وجوه القراء ورؤوس الأفاضل، عالم بالقراءات كثير الروايات، مقدم في النحو والصرف، عينه نظام الملك مقرئا في مدرسته سنة 458. فاستمر بها سنين كثيرة إلى أن مات انظر: عادل نوبهض معجم أعلام الجزائر ص 43 بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، 1980، ص 43 ؛ السيوطي، بغية الوعاة ، ص 359 .

[5]) ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5 ص 422 .

فكانت رافدا من روافد العلم تجود بالعلماء والنوابغ إلى بقية الحواضر الإسلامية الأخرى،فمن علماء المسيلة من كان قاضيا بفاس ومنها من كان عالما بتلمسان ومنها من كان مشاورا في الأحكام بقرطبة،

الفقيه أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي. (أبو حامد الصغير)

كان يسمى أبا حامد الصغير، جمع بين العلم والعمل والورع، له المصنفات الحسنة والقصص العجيبة ([1])

لا تذكر المصادر فهرسة شيوخ أبي علي المسيلي ولا تاريخ ولادته ولكنها تذكر بأنه عاش في فترة زاخرة بالعلماء من أبناء عصره، إذ يذكر بعضهم أنه عاصر ببجاية أبا محمد عبد الحق الاشبيلي([2]) صاحب الأحكام الكبرى والأحكام الصغرى، وأبا عبد الله محمد بن ابراهيم الوغليسي([3]) صاحب «الوغليسية»، والأستاذ أبا زيد عبد الرحمان بن الحجري ([4]) .

مـؤلفـــاتـــه:

–التذكرة في أصول علوم الدين

---

[1]) التكروري ، أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد (ت ١٠٣٦ هـ) ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة ، دار الكاتب، طرابلس - ليبيا

[2]) أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الأندلسي الإشبيلي المعروف بابن الخراط ولد سنة 514 هـ فقيه أندلسي سكن مدينة بجاية وقت الفتنة التي زالت فيها الدولة اللمتونية بالدولة المؤمنية فنشر بها علمه، له "المعتل من الحديث" وكتاب "الرقاق" وكتاب "الصلاة والتهجد" ومصنفات آخر توفي581 هـ . الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج21، ص199 ؛ وفوات الوفيات ،ج١، ص ٢٤٨.

[3]) محمد الوغليسي أو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الوغليسي البجائي الزواوي وُلِدَ ببجاية في نحو عام (551هـ /1156م) انتقل من بجاية إلى مراكش، عاصمة الموحدين، لما كان له من دراية بالعلوم الشرعية التي جعلته مرجعا علميا مطلوبا في عاصمة الخلافة. توفي سنة 638هـ/ 1241م ودفن في منطقة بجاية . الغبريني ، عنوان الدراية ، ص282؛ ابن الخراط ، الصلاة والتهجد ، ص14 .

[4]) أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي الصقلي، المعروف بابن الحجري أحد المنتصبين للأستاذية والإقراء، لقي مشائخ بافريقية ، وأخذ عنه العلم ناس ببجاية. الغبريني، عنوان الدراية ، ص222 .

-النبـراس في الرد على منكر القياس،يرد فيه على ابن حزم وابن حزم هو من هو في الحجاج، مما يدل على أن أبا علي المسيلي كان يضاهيه أو يفوقه ولا ندري لِمَ لم يحظ أبو علي بمثل ما حظي به ابن حزم من كتابات

-كتاب في التذكير سماه: ((التفكر فيما تشتمل عليه الآيات من المبادئ والغايات)) سلك فيه مسلك أبي حامد في الإحياء ولهذا لقب به([1]) .

قضــاؤه وثنـــاء العلمـــاء عليـــه:

ولي قضاء بجاية، ثم تفرّغ للفتيا والتدريس بالمسجد الأعظم ببجاية، وكان من تواضعه رغم تفرّده يقول عن نفسه: «أدركت ببجاية تسعين مفتيا، ما منهم من يعرف الحسن بن علي من يكون» كان يقول هذا تواضعا منه حين يشار إليه بالتفرد والتوحد في العلم.

وقد أثنى على المسيلي غير ما واحد من العلماء، فقد كان يكنى ((أبا حامد الصغير)) وهذه الكنية تدل على طول باعه في العلم وسعة اطلاعه وجمعه بين الفقه والتصوف وعلمي المنقول والمعقول كحجة الإسلام أبي حامد الغزالي-رحمه الله- ووصفه الغبريني بالعالم العامل المجتهد، الذي جمع بين العلم والعمل والورع، وجمع بين علم الظاهر والباطن. كما وصفه ابن قنفذ بالقاضي الشهير العدل، ذو الدّين والزهد واتباع السلف([2]) .

تـــلامـــذتـــه:

لا تكاد تذكر المصادر تلامذته ومن أخذ عليه ولكنّ نصا للغبريني ذكر فيه سلسلة شيوخه وسنده إلى أبي علي المسيلي يفهم منه أنّ من تلامذته الذين قرؤوا عليه و أخذوا عنه أبو عبد الله بن حماد صاحب كتاب "النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة"([3]).

---

[1]) التكروري ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ص156.
[2]) المصدر نفسه، ص156.
[3]) الغبريني ، عنوان الدراية ، ص

وفاتـه:

توفي أبو علي المسيلي حوالي سنة 580 هجرية، ودفن بمقبرة باب أمسيون ([1]) .

عبد الرحمن النهشلي المسيلي" (ت405ه)

الاديب محمد عبد الكريم بن ابراهيم - التميمي أصله من المحمدية "المسيلة" وتوفي في المهدية، تشبع بالثقافة الأدبية وبالعلوم اللغوية المختلفة فنبغ في الإنشاء ونظم الشعر حتى عد في طليعة أدباء زمانه، له كتاب "الممتع" الذي يعتبر دراسة وافية في علم الأدب وتاريخه وفنونه[2] ونقده

- أبو الحسن ابن رشيق المسلي (ت 405ه / 1071م)

الأديب والشاعر والإخباري ولد في المسيلة وتعلم في البداية صناعة الصباغة على يد والده ثم مال إلى علوم الأدب والتاريخ، وقد تركة عدة مؤلفات منها كتاب "العمدة في صناعة الشعر ونقده" وكتاب"أنموذج الزمان في شعراء القيروان" و"قراضة الذهب" وكتاب "تاريخ القيروان" و"الروضة الموشية في شعراء المهدية" ([3]) .

أبو علي حسين بن محمد بن سلمون المسيلي(ت431ه/1040م):

من كبار فقهاء المالكية، ترعرع بمسقط رأسه المسيلة، ثم رحل عنها إلى الأندلس، حيث ولاه سليمان بن الحكم، عرف بحسن التفقه، اهتم بالنظر في المسائل، إلى أن وافته المنية بقرطبة وبها دفن([4]) .

عبد الله بن حمو المسيلي (ت473ه/1080م):

---

[1]) ابن قنفذ ، انس الفقير وعز الحقير، ص34.

[2]) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج19 ،ص: 51؛ قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي، ص 74.

[3]) صليحة، المسيلة وجهتها في العصر الوسيط، ص10 .

[4]) نويهض، معجم ، ص300 .

أبي محمد عبد الله بن حمو بن عمر اللواتي المسيلي ، اشتهر بمعرفته بالأصول والفروع، انتقل من مسقط رأسه المسيلة إلى مدينة سبتة بالمغرب الأقصى حيث وليّ قضاءها، ومنها إلى العدوة الأخرى ليستقر بالمرية، ذكرصاحب الصلة روايته عن أبي إسحاق بن يربوع([1]) وغيره ، قال فيه ابن شكوال: أصله من المسيلة ، من قبيلة لواتة البربرية ، سكن المرية بالاندلس .. و كتب إليّ القاضي أبو الفضل بن عياض([2]) بخطه يذكر : إن عبدالله هذا من أهل سبتة.. و من أكابر فقهاءها و مدرسيها، أخذ عن أبي إسحاق بن يربوع ، ولزمه و اختص به، وسمع منه كثيرا، وكان يقوده حين كان متبصرا، فسُمِي بـ ((عصا ابن يربوع)) ، وكانت أكثر كتبه بخطه، رحل إلى المغرب، و جاء إلى سبتة و استقضى بها، فأتُهِم باللدعوة للمرابطين،ثم فر منها إلى المرية وتولى القضاء بها، أخذ عنه العديد من فقهاء و قضاة و رواة عصره، توفي عام 473هـ/1080م بالمرية ودفن بها ([3]).

زرزور القيرواني البسكري:

وربما كان أقدمهم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن زرزر وفي بعض نسخ معالم الإيمان زرزور/ ((زرزر اسم، وليس كذلك وانما هو لقب، واسم ابيه. عبد الرحمن بن سلم بن اراب بن سهيل الفارسي. قال المالكي: يقال إن سهيلا صحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه))([4]) ومما يمكننا التعليق به كان عالما بمذاهب أهل الكوفة وبجميع الأقاويل وله مناقب جليلة وكان حافظا للغريب وبصيرا بالعربية راويا للأشعار يحسن الصنعة جيد القول فيها وشعره كثير جدا

---

[1]) أبي إسحاق بن إبراهيم بن أحمد بن يربوع القيسي السبتي. دخل الأندلس، وسمع من: أبي محمد الباجي، وغيره. ورخه حفيده إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم. الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٢٩ ، ص ٣٧٨ .

[2]) أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي (544 هـ / 1149م). قاض مالكي. علامة وفقيه ومؤرخ رحل إلى الأندلس طلبًا لسماع الحديث وتحقيق الروايات، وطاف بحواضرها ورحل الى المشرق تقلد القضاء في «سبتة» وفي «غرناطة» ، له العديد من المصنفات . ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج١، ص٣٩٢ ، ابم الابار ، المعجم ،ص ٢٩٤ ؛ الحميدي ، جذوة الاقتباس ، ص ٢٧٧.

[3]) ابن بشكوال، الصلة، ج3 ، ص451.

[4]) الدباغ ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، ج2 ، ص ٢٤٧ .

وأكثره في توحيد الله فمن قوله:

تهتك الستر عن ذوي البغي والفند * وحصحص الحق بعد الغي واللدد

وأيقن المشرك الداعي له ولدا * بأنه الله لم يولد ولم يلد

لا موت يدركه لا شيء يشبهه * يبلي الآباد ولا يبلى على الأبد

ويح ابن آدم من عاص يخالفه * ومن مصر على الآثام معتقد

وفي الخلود نعيم غير منصرم * باق بقدرته، باق بلا أمد([1])

وقد توفي سنة 291 هـ وكان من أصحاب سحنون ([2]) ، قال ابن سلامة: ولم يذكر المالكي أين مات فلعله المدفون بوادي بسكرة.

اما طبنة فقد برز فيها الكثير من العلماء منهم

الفقيه "ابراهيم بن البني"

من علماء المذهب الحنفي في افريقية ، وهو الذي كان شريكا لسحنون بن سعيد في قضاء القيروان بأمر من -الأمير "أبي العباس محمد بن الأغلب"، فكان قاضيا مقتدرا وفقيها عالما ([3]) شركَ معه نحوًا من 40 يومًا ، ويقال وعندما لم يتمكَّن الأمير محمد بن الأغلب من عزل سحنون ((لمكانه من قلوب الناس)) ، وتحت ضغط بعض رجاله ممَّن ضيَّق عليهم سحنون، ولَّى الطبني - "وكان رجلاً جافيًا جاهلاً" - ليقوم بالقضاء مع سحنون، مضادة له، فكان في البلد قاضيان، "ولما رأى سحنون رجال الطبني، وفهم المراد، لزم داره مدَّة وترك الجامع، وكان الطبني يحكم في الجامع، وحبيب - صاحب مظالم سحنون - ينظر، إلى أن بلغه أن الطبني مدَّ يدَه إلى بعض أصحابه، فخرج سحنون إلى الجامع، وسمع بذلك الناس، فأتوا إليه

---

[1]) المصدر نفسه ، ج2 ، ص248 ؛ المالكي ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية ، ج1 ،ص 515 .

[2]) المصدر نفسه ، ج2 ، ص249 .

[3]) بوسعد الطيب ، دور علماء طبنة في العصور الإسلامية الوسطى، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 7، جامعة غرداية، الجزائر ، 2008م ، ص6 .

من كل جهة، فخرج الطبني من الجامع إلى داره، فكان ينظر في داره، وسحنون في الجامع على عادته نحوًا من 40 يومًا، إلى أن تُوفي"، في السابع من رجب سنة 240 ﻫ ([1])

أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبني

عبد الملك بن زيادة الله بن أبي مضر التميمي الحماني، أبو مروان الطبني ولد سنة 396ﻫ :عالم باللغة والحديث، شاعر، أصله من " طبنة " بالاندلس وهومن أهل قرطبة وقيل من طبة بالزاب . رحل إلى المشرق وحج، وكتب عمن لقي من العلماء. وعاد فأملى كثيرا من تقييداته. وقتل بقرطبة. قال ابن حيان: قتلته جواريه لتقتيره عليهنّ سنة 457ﻫ ، و قد اتّهم ابنه بقتله أيضاً ، وكان يوصف بالبخل المفرط . وهو القائل وقد رجع من المشرق وجلس وكثر عليه الجمع:

إني إذا حضرتني ألف محبرة يقول شيخي..

نادت بعقوتي الأقلام معلنة * هذي المفاخر لا قعبان من لبن([2]) .

و كتب إلى ذي الوزارتين أبي الوليد بن زيدون الشاعر المشهور:

أبا الوليد، و ما شطّت بنا الدار... و قلّ منّا و منك اليوم زوّار

و بيننا كلّ ما تدريه من ذمم... و للصبا ورق خضر و أنوار

و كلّ عتب و إعتاب جرى فله... بدائع حلوة عندي و آثار

فاذكر أخاك بخير كلّما لعبت... به الليالي، فإنّ الدهر دوّار([3])

---

[1]) الطالبي، تراجم أغلبية: 114 - 5؛ عبدالرحمن خليف، "سحنون والقضاء"، في محاضرات ملتقى الإمام سحنون، 1991/1412، مركز الدِّراسات الإسلامية بالقيروان، تونس 1993: 46 - 7؛ فريد سليمان، "السلطة والعلماء بإفريقية في العهد الأغلبي"، ص 287.

[2]) الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص21 .

[3]) المقري ، نفح الطيب ، ج7 ، ص49 .

محمّد بن الحسين الطبنيّ

ولد نحو سنة ٣٠٠(٩١٣ م) في طبنة. ثمّ إنّه انتقل إلى الأندلس سنة (٣٣١هـ /942 م) وافدا على المنصور بن أبي عامر. و سكن الطبنيّ في قرطبة و نال حظوة عند المنصور فولاّه المنصور خطّة الشرطة ثمّ اتّخذه نديما.

و كانت وفاة الطبنيّ لثلاث ليال بقين من ذي الحجّة من سنة 394 هـ/ ١٠٠٣ م) وكان محمّد بن الحسين الطبني عالما بأخبار العرب و أنسابهم أديبا متفنّنا و شاعرا مكثرا مجيدا ([1]) .

مختارات من شعره:

- قال محمّد بن الحسين الطبني في الغزل، و هو ممّا يغنّى به:

صدفت ظبية الرصافة عنّا... و هي أشهى من كلّ ما يتمنّى

هجرتنا، فما إليها سبيل... غير أنّا نقول: كانت و كنّا ([2])

- و قال في الخمر:

و اجتمعنا بعد التفرّق دهرا... فظللنا نقطّع العمر سكرا

لا يراني الإله إلاّ طريحاً... حيث تلقي الغصون حولي زهرا

قائلا كلّما فتحت جفوني... من نعاس الخمار زدني خمرا ([3])

- و قال في الهجاء:

و وغد إن أردت له عقابا... عفا عن ذنبه حسبي و ديني

يؤنّبني بغيبة مستطيل ..... و يلقاني بوجه مستكين

---

[1]) الغرناطي ، المغرب في حلى المغرب ، ج1 ، ص142 .
[2]) المصدر نفسه ، ج1 ، ص142 .
[3]) المصدر نفسه ، ج1 ، ص142 .

و قالوا قد هجاك فقلت كلبٌ... عوى جهلا إلى ليث العرينِ ([1])

واصبحت مدينة القلعة قبلة للطلاب والعلماء، ورحل اليها طلبة العلم والعلماء من البلاد القريبة والبعيدة مما أدى الى ازدهار الحركة الثقافية والعلمية خلال العهد الحمادي.مع حرص ملوكهم على رعاية هذا النشاط والتقرب من العلماء والفقهاء والأدباء فكان الناصر بن علناس(454-461هـ) ([2]) يتقدم الأدباء إليه ويغدق صلاته عليهم ([3]) .

ومن ابرز علماء مدينة قلعة بني حماد

أبو القاسم عبد الجليل ابن بكر المعروف بالدباجي

المعروف بابن الباذش وُلِد أبو الحسن سنةَ أربع وأربعين وأربعمائة بغرناطةَ في أسرةٍ أصلُها من (جيان) في الأندلس ، أبُو الحَسَن عليُّ بنُ أحمدَ بن خَلف بن مُحَمَّد الأنصاري الأندلسي الغرناطي المالكي النحوي ،وزاد ابن فَرْحُون لقبَ (الباذِش) في اسمِه ،فقالَ : عليٌّ بنُ أحمدَ بن خلف بن مُحَمَّد الباذِش الأنصاري ، ويبدو أنّ هذا هو الصوابُ في اسمِه ، فقد عُرفت أسرةُ أبي الحسن في غرناطةَ ببني الباذِشِ ([4])،

هذا العالم العلامة له مؤلفات جليلة وهامة جدا في النحو

حيث اتَّسَم عصرُه بكثرةِ الشروحِ والتعليقاتِ على كتبِ أهل المشرق ، وقد نَسَبَ المترجمون له مجموعةً من الكتب ، لم يصلنا أيُّ كتابٍ منها ، وهذه الكتب هي شرح كتاب سِيْبَوَيْه، شرح الأصول لابن السراج ، شرح المُقْتَضَبِ من كلام العرب،وهو كتاب لابن جِنِّي في اسم المَفْعُول من معتلِّ العين ،وذكر ابن فَرْحُون أن له كلاماً على المقتضب ، فيُحتمَلُ أن يكون تعليقة على كتاب المُبَرّد ، شرح الجمل

---

[1])الحميدي ، جذوه المقتبس في ذكر ولاه الاندلس ، ج1 ، ص50 .

[2]) ابن حماد بن بلكين بن زيري ، الصنهاجي ، البربري ، ملك المغرب أنشأ مدينة بجاية الناصرية ، وكانت دولته سبعا وعشرين سنة . توفي سنة إحدى وثمانين وخمسمائة . الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج18، ص597.

[3]) رابح ، بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، ص 195

[4]) الضبي ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، ص419 .

للزجاجي ، شرح الإيضاح لأبي علي الفَارِسِيّ ، ولابن الباذِش أبياتٌ في إعجابِه بالإيضاحِ ومؤلِّفِه وغيرهن ([1]) . توفِّي ابن الباذش في شهر محرم من سنة 528 ﻫ في مدينة غرناطة ([2]) .

الطاهر بن علي بن عيسى بن عبادة الأنصاري البلنسي. وأحمد بن خصيب (ت 450هـ/ 1058م) ، ولما انتقلوا إلى القلعة كانوا يحملون معهم مستواهم الحضاري الراقي ([3]) :

علي بن اسماعيل القلعي (ت526ﻫ/ 1131م)

يعرف بالطميش، شاعر أديب من قلعة بتٍ حمّاد، كان من الشعراء الذين طرءوا على مصر في عهد الحافظ الفاطمي وقد مدحه بقصيدة :

وقد قيل مات الحق وهو مخلد ولكنه الصمصام في غمده قرا

وقد كان دين الله من قبل عابسا بجراك حتى لحت في وجهه بشرا

وكنت عليا حين كان الذي مضى معاوية والحارثي له عمرا ([4]) .

أبو الفضل يوسف بن محمد ابن النحوي(ت 513 ﻫ / 1119 م)

أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف، التوزري الأصل، التلمساني، القيرواني، القلعي، المعروف بـ "ابن النحوي التوزري"، مجتهد، نحوي، ناظم، فقيه، من أهل تلمسان. ولد بمدينة توزر سنة 434هـ / 1042م([5])، لذا لقب بالتوزري نسبة الى توزر مسقط رأسه في الجنوب التونسي. ودخل سلجماسة وفاس وصفاقس والقيروان، وله رحلة إلى الأندلس، ثم استوطن مدينة القلعة عاصمة الدولة الحمادية الأولى فقيل له "القلعي"، وعُدّ من أهلها. ، أتيحت له الفرصة خلال عمره الطويل

---

[1]) هدية العارفين ، ج1، ص696

[2]) الضبي ، بغية الملتمس ، ص419 .

[3]) سليمان، الشخصية الجزائرية، بانوراما المشهد الحضاري، ج2 ، ص111.

[4]) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ٢٠ ، ص ١٤٧ .

[5]) التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، ص301 .

(ثمانين سنة) ليصيب من العلم أوفر نصيب سمح به زمانه. فقد كانت توزر في عصره (القرن 5هـ / 11م) بها أعلام كثيرة مثل عبد الله بن محمد الشقراطسي([1]) ، ، الذي كان إماما في الحديث والعربية والفقه، أديبا شاعرا وهو من شيوخ ابن النحوي. ورحل أبو الفضل إلى ولاية صفاقس بالجنوب الشرقي التونسي للأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى القيروان ، وبعد أن استكمل المترجم رحلته العلمية رجع إلى بلده توزر ثم بارحها في ظروف غامضة لظلم الوالي له، ولبث متجوّلا بين مدن الجزائر والمغرب الأقصى مدرّسا للنحو، والفقه، والأصول، وعلم الكلام، م انتقل إلى قلعة بني حماد بلدته الثانية التي آثرها على بقية مدن المغرب واستقر بها، فاشتهر بنسبته إليها([2]) .

وفي القلعة حيث طالت إقامته مارس نشاطًا علميًا متميزًا، ساهم من خلاله في بناء مركزها الثقافي ، وقد استهوته القلعة لأنها كانت حاضرة علم ودار ملك بني حماد وقاعدة دولتهم. توفي ابن النحوي بقلعة حماد سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ([3]).

ابن الرمامة (ت 567 هـ/ 1171 م) ([4])

هو محمد بن علي بن جعفر بن أحمد بن محمد القيسي، من أهل قلعة بني حمّاد، يعرف بابن الرمامة وقيل لامرأة نسب إليها ، هاجر إلى فاس ، وروى عن أبي الفضل بن النحوي وأخذ عنه ، وعن أبي إسحاق إبراهيم بن حمّاد وخاله أبي الحسن علي بن طاهر بن محشّوة ، كما هاجر إلى الأندلس من أجل التجارة وطلب العلم ولقي بعضا من الفقهاء منهم أبو الوليد بن رشد، ثم عاد إلى فاس وتولى

---

[1]) عبد الله بن الشيخ يحيى بن علي بن زكرياء الشقراطسي التوزري، أبو محمد، العالم الأديب الشاعر.نسبة إلى قلعة شقراطس القريبة من قفصة ، ولد بتوزر، درس على يد والده مبادئ العلوم اللغوية والدينية، ودرس في القيروان والجريد ، ثم سافر إلى المشرق حاجا ، وعند رجوعه إلى بلده اشتغل بالتدريس فانتفع به جماعة ، له العديد من المؤلفات (ت 466 هـ) . الزركلي ،الأعلام ، ط5،ج4، ص 144 ، التوزري ، أعلام الأفارقة ، ص45، مخلوف ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، ص117، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ، ج1، ص 122 – 123.

[2]) بوفرور، أحلام شعيب ماضي، ص 12-17.

[3]) ابن القاضي:جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، ص 353 .

[4]) نويهض ، مُعجَمُ أعلام الجزائر ، ص144 .

قضاءها سنة 536 هـ ، و كان حافظا للفقه نظارا فيه بارعا في معرفة أصوله ماهرا في استنباط معانيه ، وكان متقدما في الفضل و الورع و التواضع و النزاهة و الوقار و حسن الخلق و علو الهمة و الانقطاع الى العلم، و إيثار طلابه، و حثهم على طلبه. وشهر فضله فاستخلصه أمير المسلمين أبو الحسن على بن يوسف ابن ناشفين، فكان من اخص حاضرى مجلسه لديه. ثم قدمه للقضاء بفاس سنة ثلاث و ثلاثين و خمسمائة فتقلده ، و سار فيه أحمد سيرة و اشتدت وطأته على المفسدين و الذعرة المعتدين و برز في اظهار الحق و العدل و الانصاف و التسوية بين الأقوياء و الضعفاء و المشروفين و الشرفاء؛ و استمر على ذلك من حاله مدة، ثم عزل عن القضاء ، و أقبل على نشر العلم و الجلوس للا قراء و الاسماع محتملا مشقة التدريس على كبر سنه رغبة في بث العلم، ، و كانت الدارية أغلب عليه من الراوية إذ لم يهتم إلا في سن الكهولة ([1]) ، و قد أدرك و عاصر جملة وافرة من أكابر الشيوخ فلم يعن بالرواية عنهم لشغفه بالعلوم النظرية و عكف على تحصيلها حتى صار راساً فيها فكان لذلك قليل الرواية. ، شافعي المذهب([2]) ، توفي ابن الرمامة بفاس في الحادي والعشرين رجب سنة 567 هـ ([3]) .

ميمون بن أحمد بن محمد القيسي (ت 635 هـ/ 1237 م)

من قلعة بني حمّاد، انتقل إلى قرطبة، ثم دخل مراكش بعد سقوطها إلى أن توفي بها عام635 هـ ، كان يحفظ موطأ مالك عن ظهر قلب كما تصف المصادر، ويدرس القرآن الكريم بقرطبة ومراكش([4]) .

أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلعي (ت673هـ/ 1274م)

---

[1]) المراكشي ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة. ج8 ، ترجمة 123، ص 326.
[2])المصدر نفسه، ج 8، ص 326.
[3]) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج 2، ص 158 .
[4]) المراكشي ، الذيل والتكملة، ج 8، ص523 .

من قلعة بني حماد كان جده قاضيا بها وقد نشأ بالجزائر وانتقل إلى بجاية ودرس على يد علمائها، كان بارعا في علم العربية متحكما في النحو واللغة والأدب، وكان له درس يحضره الطلبة وتجر فيه المذكرات المختلفة في التفسير والحديث وأبيات الغريب وكان قويا في علم التصريف.. وهو أفضل من في علم العربية ([1]) .

ومن مؤلفاته كتاب" الموضح في علم النحو" و" حدق العيون في تنقيح القانون" و((نشر الخفي في مشكلات أبي علي))، وله نظم في الزهد ومدح الرسول صلى الله عليه وأله وسلم، توفي عام 673ه ([2]) .

عبد الله بن محمد بن عمر بن عبادة القلعي (ت 699 ه/ 1299 م) :

ذكره الغبريني فقال".. كان يدرس بالمسجد الأعظم بالغداة بمجلس القضاة منه وكان حافظا للخلاف العالي والمذهب المالكي .. وحافظا للتاريخ وذاكرا للحديث وكان مشاورا شاهدا بالديوان، كان يدرس الفقه والحديث والرواية وانتهى إلى الزهد في آخر أيامه توفي عام 699 ه ، وكانت جموع الأمراء في الأمور المجتمع لها لا تنعقد إلا بوجوده.0 ([3]) .

يوسف بن جبارة البسكري النيسابوري:

ومن أشهر علماء بسكرة يوسف البسكري هو يوسف بن عليّ بن جبارة بن محمّد بن عقيل بن سواده ([4]) أبو القاسم الهُذَلي البسكري مقرئ ورحالة ولغوي كبير، ولد بمدينة بسكرة سنة 403 ه ، ارتحل في طلب علم القراءات سنة 425 ه حتى جاوز فرغانة وكان نتاج رحلته كتاب الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها

---

[1]) الغبريني ، عنوان الدراية ، ص67 .
[2]) المصدر نفسه، ص70 .
[3]) المصدر نفسه ، ص ص 65-66 .
[4]) الذهبي ، معرفه القراء الكبار علي الطبقات والاعصار، ج1 ، ص229 .

وقال عنه : وألفت هذا الكتاب فجعلته جامعا للطرق المتلوة والقراءات المعروفة ونسخت به مصنفاتي كالوجيز والهادي ([1]) ، بل هو الذي دون اسمها في غير ما كتاب وفي غير ما فن من الفنون القرآن وسائر العلوم المتداولة، زار أصبهان وبغداد وسمع أبا نعيم الأصبهاني وغيره، عينه نظام الملك مقرئا في نيسابور سنة 459 هـ وقد كف بصره في أواخر عمره، فمكث ناشرا علمه بها إلى أن توفي عام 465هـ ([2]) وله قبرا مشهورا بقداشة إحدى ضواحي مدينة بسكرة .

أحمد بن قمود البسكري:

أحمد بن المكي بن أحمد بن قمود البسكري كان حيا عام 516 هـ أبو العباس فقيه مشارك في بعض العلوم رحل في طلب العلم فدخل مصر سنة 516 هـ لم نعثر له على ترجمة وافية([3]).

اما بالنسبة للحركة العلمية في عهد الموحدين فقد شاع الأمن وحرية الثقافة في عهد عبد المومن بن علي (524 هـ -558/1130 هـ -1163) وابنه يعقوب (580 هـ -595/1184 هـ -1199) فأسوا المدارس وعمروها بالطلبة والأساتذة، وشجعوا تدوين الكتب والترجمة وعقدوا المناظرات، وجمعوا المجامع العلمية المتنوعة وأسسوا خزائن الكتب، وسبقوا للتعليم الإجباري المجاني، ووضعوا مناهج للتعليم ونشروه حتى باللسان البربري وكرسوا جهودهم للم شمل المغاربة في أول تجربة لتوحيد بلاد المغرب الإسلامي جغرافيا وسياسيا ومذهبيا، ولاسيما عندما دخلت القبائل الهلالية رياح وزغبة وأثبج إلى المغرب الأوسط، في القرن 5هـ / 11م، وانتشرت من بونة إلى ما وراء تلمسان غربا والهضاب العليا والصحراء جنوبا، تلاحمت هذه العناصر مع القبائل المغربية المحلية الكبرى، فشكلوا بذلك مجموعة بشرية مترابطة دعمت مشروع عبد المومن بن علي في المغرب الأوسط غير أن

---

[1]) ابن الجزري، ، غاية النهاية في طبقات القراء ، ج4، ص170 .
[2]) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج6 ، ص2849 .
[3]) الضوء اللامع ٢: ١٤٥؛ نويهض ، معجم ، ص42.

هذه التجربة، لم تعمر طويلا وزالت بزوال الدولة الموحدية فقامت على أنقاضها ثلاث دول ([1]) .

[1]) فيلالي عبد العزيز ، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 2014م ، ص24 .

المبحث الثالث

العمارة في بلاد الزاب حتى القرن السابع الهجري

شهدت بلاد الزاب العديد من الدول الاسلامية التي قامت في ربوعها والتي تعاقبت على حكمه، كالدولة الرستمية والاغلبية والفاطمية، تلتها الدولة الزيرية الصنهاجية ثم الدولة الحمادية، ومن بعدها الدول الأخرى التي كان لها شأنها في المغرب الإسلامي، وهي الدولة المرابطية والموحدية وكان لهذه الدول حضارتها . والتي تتأثر بحضارة سابقاتها، لكن تبرز معها معالم حضارتها الخاصة بها، في جميع الميادين ، لاسيما في مجال العمران ومما لاشك فيه ان طبيعة الضروف المناخية وطبيعة الارض التي توفر مواد البناء لها الدور الحاسم في طبيعة البناء والتي تكون خاضعة ايضاً لقدرة المهندس والبناء والتوجهات السياسية وحتى العقائدية في اخراج النموذج الحضاري في مجال العمارة ، سواء كانت عمارة الاسوار والابراج او القصور وملحقاتها او البيوت وحتى دور العبادة .

هذا وقد افرزت حضارة بلاد الزاب في المجال المعماري شواهد عديدة تمثلت في الكثير من الابنية المتعددة الاغراض .

ومن ابرز هذه الشواهد المعمارية :

1- لاالاسوار والخنادق :

إحتواء أغلبها على وسائل دفاعية مهمة كالسور والخندق، فبسكرة قاعدة الزاب، وأعظم مدنه كانت مسورة عليها خندق، ونفس الخاصية بالنسبة لمدن بنطيوس كان عليها أسوار وخنادق، وهو الحال بالنسبة لمدن طولقة المتشكلة من ثلاث مدن أحيطت كلها بخنادق وأسوار([1]) ، ومدينة بادس ([2]) كان لها حصنان([3]) ، فهي تعتبر بمثابة المدينة الحصن ، ومدينة تهودة مدينة أزلية بنيانها بالحجارة ((

---

[1]) الحميري ، المصدر السايق ، ص400

[2]) البكري ، المغرب في ذكر بلاد .. ،ص230

[3])المصدر نفسه ، ص743 .

مدينة قديمة أزلية عليها سور عظيم مبني بالحجر الجليل)) ([1]) ، وخندق كان سكانها إذا كان بينهم وبين من يجاورهم حرب أرسوا ماء النهر في الخندق المحيط فامتنعوا به من عدوهم فالمدينة ببلاد الزاب أحيطت بأسوارقوية ودعمت بخنادق فجاءت بسور وخندق وسورين وخندق وسور وخندقين وسور وخنادق.وتعطينا المصادر معلومات عن مواد البناء المستخدمة في بناء الأسوار دونأن تبين التقنيات المستخدمة في ذلك، حيث وجدنا تباين في استخدام مواد البناءتراوحت بين الآجر والحجر والطوب، فمن بين المدن التي استخدمت الطوب فيبناء أسوارها نذكر مدينة طولقة وبنطيوس ([2]) ولاحظنا إستخدام الآجر في بناء سورمدينة بسكرة ([3]) ، والحجارة شكلت مادة البناء الأساسية لأسوار مدينة تهودة([4]) .

وهذا التنوع في المواد يرتبط بالمحيط الجغرافي الذ وجدت فيه ، إضافةالى إستخدام مخلفات المجتمعات والحضارات السابقة كوسائل دفاعية جاهزة أو مواد بنائها إن كانت غير صالحة للإستحكام الدفاعي، مثال ذلك مدينة بادس التي وصفها الجغرافيون كصاحب الإستبصار بأنها ((مدينة كبيرة لها حصنان، وهي مدينة قديمة فيها آثار للأولين)) ([5]) .

إضافة إلى هذه المنشآت العسكرية المتمثلة في الأسوار والخنادق، واستكمالا الى ما ذكرناه سابقا ، كانت أسوار المدينة بمنطقة الزاب تحتوي على مداخل وأبواب رئيسية تعكس الطابع العسكر للسيطرة على الحركة من وإلى المدينة، وتبين الوظائف الإجتماعية والإقتصادية، وأسهمت الأبواب في التعريف باسم الجهة التي تنطلق إليها محاور الحركة الرئيسة داخل المدينة وخارجها كما كان الحال عند مدينة بسكرة فقد إحتوت على أبواب متعددة شكلت مداخل المدينة، وأخذت تسميتها من الأماكن التي تضفي إليها، فهناك باب أول عرف بباب المقبرة أنه يضفي إلى

---

[1]) مجهول ، الاستبصار ، ص175 .
[2]) البكري ، المغرب في ذكر بلاد .. ، ص230 .
[3]) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1،ص422 .
[4]) مجهول ، الاستبصار ، ص175 .
[5]) المصدر نفسه ، ص175 .

المقبرة، والثاني هو باب الحمام أ أنه يضفي إلى الحمام - الذ يعتبر من المنشآت الرئيسية داخل المدينة الإسلامية لما له من أهمية في الطهارة- ، وباب ثالث لم يذكر إسمه ، يسكنه المولدون ([1]) .

ومما يلفت النظر في خصائص المدن ببلاد الزاب إحتوائها على الأرباض خارج أسوارها، وإستعملت كلمات كثيرة تشير إلى توابع المدينة، كالريف، الضيعة، الضاحية، والربض، هذه الأخيرة يرد ذكرها للدلالة على توابع المدن ببلاد الزاب، فالربض هو ما حول المدينة أ أنه تابع من توابعها خارج كتلتها ، السكنية أو أسوارها، فهو من سمات فيضان السكان عن المدن الكبيرة ([2]) .

الأسواق والحمامات :

كانت موضع إهتمام من قبل المسلمين، ووجود الأسواق والحمامات بمدينة بسكرة دليل على أهميتها والعدد الكبير لساكنيها، فياقوت الحموي يشير في وصفه لمدينة بسكرة على أنها مدينة مسورة ذات أسواق وحمامات ، وكان أحد مداخل المدينة يضفي إلى أحد الحمامات فسمي باب الحمام، لكن وللأسف الشديد تغيب عنا المعلومات الكافية عن عدد هذه الحمامات، إضافة إلى غياب وصف مخططاتها، ومن يقوم على خدمتها ، وهل مياهها حارة طبيعيا أم يتم تدفئتها عن طريق الوقود الذي نجهل طبيعته، هل هو من الزبل اليابس مثلا أم من ما تقدمه الواحة من أخشاب الأشجار وجذوع النخل وكرنافه. وتحتوي مدينة تهودة التي وصفها البكري بأموالها الكثيرة، على فنادق ، كبار ، كانت بالأخص بمثابة سكن للتجار في المدينة، وهذا بإعتبار أن المدينة كانت معبرا ونقطة مهمة للقوافل التجارية تحتوي على أسواق كثيرة قد يستعمل التجار هذه الفنادق للنوم، وليضعوا بها بضاعتهم.

---

[1]) الحميري ، المصدر السابق ، ص 114 .

[2]) هدوش ، المدينة ببلاد الزاب ، ص120 .

ولأنه من الضروري أن يكون لكل مدينة أو قرية موضع مخصص لدفن الموتى، إحتوت المدينة ببلاد الزاب على المقابر لدفن الموتى، وهو ما تأكد في تخطيطها العمراني، حيث كان مثلا لأهل مدينة بسكرة مساحة من الأرض مخصصة لدفن الموتى من سكانها، فكان أحد أبواب المدينة يضفي إلى المقبرة .

قلعة تهوذة

برزت في هذه القلعة شواهد عديدة مثلت فن العمارة الذي لم يكن حكراً على دولة من الدول او قوم من الاقوام ، وبرز الشواهد المعمارية في العديد من البقايا الاثرية مثل الملاط الطيني الذي يستعمل في بناء الجدران الطينية التي تشبه تلك الموجودة في الكدية للمنازل، مما يوحي الى ان القلعة واصلت حياتها باستمرارية استغلالها ما بعد القرن الثاني عشر ميلادي، حيث الجدران من الحصى تبنى كأسس للمباني الطينية في الطابع الصحراوي ([1]) .

اما سور القلعة الدفاعي الشمالي المحصور بين برجي زاوية الشمالي-الشرقي والشمالي-الغربي، فيوجد فيه باب ثانوي شمالي يقابل المدخل الرئيس الجنوبي([2]) .

لقد تميز مخطط القلعة الاثرية تهودة بشكله المستطيل، ويتكون في الوقت الحالي من: السور الدفاعي التحصيني، مزود بملحقات تتمثل في المداخل، والابراج. بالإضافة الى وجود منشأة مائية ألا وهي الحمامات ([3]) .

اما السور الدفاعي التحصيني: فتتراوح ابعاده كما يلي: طول الكورتينة الشمالية هو 120 م السور المحصور بين برجي مراقبة. تتميز هذه الكورتينة بمسارها غير المستقيم حيث تنطلق من البرج الزاوية الشمالي-الشرقي بخط مستقيم الى غاية

---

[1]) ياسين رابح حاجي واخرون ، مكتشفات موقع تهودة الاثري ،ص37 .
[2]) المرجع نفسه ،ص 37 .
[3]) المرجع نفسه ، ص38 .

المدخل الثانوي الشمالي ثم تنحرف بخط اخر مستقيم نحو برج الزاوية الشمالي-الغربي، اي ان المدخل الثانوي الشمالي يتقدم نحو الشمال ([1]) .

وطول الكورتينة الجنوبية هو 112 م ، وطول الكورتينة الشرقية هو 73 م، اما طول الكورتينة الغربية فهو 65 م ([2]) .

اما بالنسبة لمواد البناء، ففي ارضية الاستقرار الاخيرة لم يتبقى سوى الملاط المكون من الحصى الصغيرة والجير الابيض والرمل، فيظهر لونه ناصع البياض، اما فيما يخص مواد البناء للفترة الاقدم منها، فتتمثل في:

الاجر بلونيه الاصفر والاحمر، والملاط المكون من جير ورمل وفخار مدكوك ومكسر بينما الدعائم السور الداخلية الموجودة على طول الكورتينة، فمعدل مقاسات الفترة الاخيرة تتراوح 0،90 × 0.50 م، و 1.20 م × 0،80 ومقاسات الفترة الاقدم هي: 1.60 م × 1.35 م .

المداخل: احصينا مدخلان في القلعة الاثرية، الاول: يتمثل في المدخل الرئيس الجنوبي الذي اكتشف مع القلعة في الاربعينات من القرن الماضي، ولم يتبقى منه الا طرفي البوابة والباقي مدفون تحت الارض. اما المدخل الثاني: فيتمثل في المدخل الثانوي الشمالي الذي اكتشف اثناء موسم حفرية سنة 2015 م ([3]) .

مواد وتقنية البناء: تتمثل مواد البناء المستعملة في بناء هذا السور من: الآجر المشوي 18 ، مربع الشكل مقاساته 0.40 م ×0.40 م، بلونين، الاحمر والاصفر 19 . وبإضافة الملاط الابيض اللون (مكوناته: الكلس الجيري + الرمل + آجر مسحوق + الحصى الصغيرة) وباستعمال حصى الوديان([4]).

---

[1]) حاجي ، ياسين رابح، "المسح الاثري بموقع تهودة وضواحيه"، مجلة آثار،، 11 ،2014 ،ص ص. 33 -54.

[2]) ياسين رابح حاجي واخرون ، مكتشفات موقع تهودة الاثري ،ص38 .

[3]) المرجع نفسه ، ص38 .

[4]) المرجع نفسه ، ص39 .

اما فيما يخص تقنية البناء، فهي التقنية المختلطة ،استعمل فيها صفوف من الاجر والحصى بالنسبة للفترة الاخيرة من حياة القلعة، اما اسفل هذه الطبقة، فنجدها تشبه التقنية البيزنطية المستعملة في اسوار التحصينية لمدينة القسطنطينية التي تعود الى الفترة البيزنطية، حيث نجد سمك صف الملاط يساوي او اكبر بقليل من سمك الاجر

.الابراج: تتميز القلعة بأربع أبراج زاويا مربعة الشكل، ابعادها: 6.20م×3،80م حسب مخطط برج على اساس انها كلها متساوية الابعاد، فهي نفس الابعاد مثلها مثل ابعاد برج الزاوية الشمالي- الغربي، حتى الان يظهر منها ثلاثة فقط اما الرابع فتظهر ملامحه مدفونة تحت الأرض .

الحمامات: تحتل الحمامات الجهة الشمالية الغربية من القلعة الاثرية، يفصلها عن السو ر الشمالي للقلعة مسافة لا تتعدى المترين، وعن السو ر الغربي مسافة تقارب خمسة أمتار وتتكون من قاعة التعريق ، بقايا نظام التسخين الهيبوكست ([1]) ، الأنابيب المصنوعة من الفخار طولها 20.0م والتي ذكر أنها لا تزال في مكانها داخل الجدران([2]).

تبلغ مساحة الحمامات حوالي 400م، رفعت كل غرفة من غرفه بدقة متناهية على حدى، وهي ستة غرف، خمسة منها مساحتها تقريبا متساوية عدا الكبرى التي تقدر مساحتها بـ 90م اما الجدران فتأخذ سمكا واحدا يقدر بـ 1م، بنيت بثلاث تقنيات تستعمل في التقنية الأولى المسماة بتقنية الإنكرتوم الحجارة الدبشية والملاط داخل

---

[1]) الهيبوكوست: نظام متكامل للتسخين يستند على مبدأ ديناميكية الحرارة من جهات عدة، وهي خاصية تجعل الحمامات مكانا يتوافق فيه العرض مع ما يحتاجه الجسد من تنوع في درجات حرارة المياه وحتى الفضاء الذي تشغله القاعات المختلفة، قاعة التعريق، الساخنة ، الدافئة والباردة، وبهذا التنوع يسمح للفرد التنقل وفق مسار صحي. وقد تتشابه أجزاء من هذا النظام خاصة الأرضية المحمولة فوق أعمدة الآجر، مع مباني أخرى بعيدة تماما عن تلك الحموية مثل مخازن الحبوب والغلال، ولكن الحمامات تنفرد بها كمركب متكامل بعناصره الأساسية(الأرضية المحمولة فوق أعمدة، التجاويف الجدارية لحركة الهواء الساخن، الموقد مصدر الحرارة، والماء أساس النظام ككل . رياض ، دحمان ، نظام التسخين في الحمامات الرومانية بالجزائر القديمة (من القرن الثاني الى الخامس ميلادي) ، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، مجلد 16، ع 3، أيلول ، 2020م ، ص66 .

[2]) ياسين رابح حاجي واخرون ، مكتشفات موقع تهودة الاثري ،ص44 .

قالب خشبي، ثم تلبس بتقنية ثانية تتمثل في التقنية المختلطة التي تقوم على وجود تقنيتين مختلفتين في تقنية واحدة حيث يتناوب في جدران هذه الحمامات صف من الآجر و صف من الحجارة الدبشية الكلسية صغيرة الحجم، والثالثة تقنية التستاكيوم ، والموجودة في المداخل المبنية فقط بالآجر، بمقاسات متساو ية معدل مقاساتها هي: الطول 25، 0م والسمك 0,4م .

اما عناصر تلبيس الجدران الداخلية لغرف الحمامات، فتتمثل في: بلاطات فخارية مستطيلة الشكل اركانها الاربع محذوفة بشكل ربع دائري طولها يقارب 0.20م، وانابيب فخارية، ، كانت تستخدم كمثبتات للبلاطات فخارية بحيث تخلق فراغ بينها وبين الجدران ، اما غرف الحمامات فكانت مسقفة بعقود متقاطعة وهي تقنية عادة ما تستعمل لتسقيف المساحات الضيقة، أو الغرف المركزية التي تتفرع منها غرف ثانوية،باستعمال الأنابيب الفخارية ([1]) .

حصن بلزمة :

وبالنسبة لحصن بلزمة فقد وصفه الإدريسي أنه "حصن لطيف وفي أهله عزة ومنعة ولها ربض وسوق وبها آبار طيبة وماؤها أيضا غدق، وهو في وسط فحص أفيح وبناؤه بالحجارة الكبار القديمة. ويذكر أهل تلك الناحية أنه من أيام السيد المسيح. والمدينة في ذاتها مردومة بالتراب والأحجار، فإذا نظر الناظر إلى السور من خارج رأى سورا كاملا وإذا دخل المدينة لم يجد لها سورا لأن أرض الحصن مساو للشرفات...وهذا غريب في البناء" ([2]) .

مظاهر العمران في طبنة :

لقد مثلت طبنة بحصنها إحدى أهم مظاهر العمران وتطوره في العهود التي سبقت الفتح الاسلامى للمدينة ومنطقة الزاب، وأما فيما يخص مكونات البناء فقد أثبتت

---

[1]) ياسين رابح حاجي واخرون ، مكتشفات موقع تهودة الاثري ،ص45 .
[2]) الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 270 .

الحفريات على اعتماد الصخور الكلسية في البناء، والراجح أنها نقلت من جبل متليلي([1]) .

طبنة ، فيحيط بها سور خارجي تم تشييده من قبل عمر بن حفص المهلبي المعروف بهزار وعن مواصفات هذا السور ذكر البكري ((وخارج المدينة بإزاء باب الفتح سور مضروب على فحص فسيح يكون مقدار ثلثي طبنة)) .

ومن الشروط التي يجب مراعاتها في تخطيط المدن الإسلامية هو إحاطة المدينة بسور السور هو حائط المدينة، والجمع أسوار وسيران، ومنه أتت كلمة إسوارة التي توضع في المعصم، وقد سميت إسوارة لأنها تحيط بالمعصم، وكذلك هو السور لأنه يحيط بالمدينة ([2]) وله وظيفتين، الأولى تتمثل في حفظ المجتمع الداخلي كاسرة واحدة، والثانية توفير الحماية من غارات العدو الأجنبي وعادة ما كانت تحاط هذه الاسوار بخندق ممتلأ بالماء وتستعمل وقت الحاجة، إضافة إلى وجود البوابات الضخمة التي تقفل على الأحياء وازداد انتشارها في فترات اختلال الامن وتفشي الحروب والصراعات فيؤمن الناحية الدفاعية([3]) .

كانت المدينة الاسلامية محصنة بأسوار تتخللها أبراج يستند أحيانا من الخارج على دعامات نصف هرمية الشكل تزيد من متانة الجدار، كما نجد بالسور مداخل تغلق عند الضرورة بأبواب خشبية ضخمة تصنع من أشجار النخيل .

وعموما فإن السور المحيط بالمدينة يأتي مؤكدا على قوة الدولة، حيث يحقق الجانب الوظيفي الدفاعي وذلك بحماية المدينة ، بالإضافة إلى الجانب الرمزي، فالسور بإرتفاعه الشاهق وسمك جدرانه يعبر على الهيمنة ويحقق الأمان([4])، وقد

---

[1]) الزياني ، أضواء جديدة على طبنة الزاب ،ص50

[2]) ابن منظور ، لسان العرب ، ج6 ،ص52 .

[3]) ناصف سعيد، المرجع السابق ، ص65 .

[4]) المالكي ، تاريخ العمارة عبر العصور ، ص181 -182 .

إعتبر السور معيار حضاري لأهم البنايات الحربية التي ميزت المدن الإسلامية ([1]).

كما كانت هناك بعض المدن ذات سورين وذلك لزيادة القوة الدفاعية والإحتياط، أو كضرورة فرضتها المناطق المنبسطة للوقوف والتصدي للغارات المحتملة، ومن بين هذه المدن نذكر: مدينة المسيلة التي كانت محاطة بسورين بالإضافة إلى مدينة باغاي التي كانت محاطة بسورين من الحجر ([2]) .

((اما قصر طبنة فأنه مبني بالصخر عليه باب حديد و لمدينة طبنة من الأبواب باب خاقن مبني بالحجر عليه باب حديد و هو سري و باب الفتح غربي باب حديد أيضا و بينهما سماط يشق المدينة و من الباب و باب تهوذا قبلي عليه باب حديد وهو سري أيضا و الباب الجديد حديد أيضا ، وباب كتامة جوفي و خارج المدينة بإزاء باب الفتح ، سور مضروب على فحص فسيح يكون مقدار ثلثي مدينة طبنة بناه عمر بن حفص و يشق سكك المدينة جداول الماء و مقبرتها شبر فيها و بغرب المقبرة غدير يعرف بغدير فرغان و هو يجري في مصلى العيد و ليس من القيروان إلأ سلجماسة مدينة أكبر منها)) [3]

لكن من المحتمل تواصل النموذج المعماري القديم خلال هذه الفترة يتكون من ارباض واسعة وقصر و مسجد المدينة، وحول المدينة توجد التحصينات القديمة ممثلة في الأبراج الثمانية التي بقيت لحماية المدينة ، بتخريب الفاطميٌ للمدينة وإعادة اعمارها مرة أخرى قد تم التقليص من قصر حاكم المدينة، واستغلال تلك المساحة لتوسعة المسجد ([4]) .

---

[1]) عثمان ، المدينة الإسلامية، ص121.
[2]) الهادي روجي، تاريخ إفريقيا في عهد بني زيري ، ص67-77 .
[3]) البكري ، المسالك والممالك ، ج2 ،ص 711 .
[4]) زياني، أضواء جديدة على طبنة الزاب ص 163–168 -

ومن مظاهر التغيير الإسلامي في خطط طبنة، هو تشييد المقبرة بالجهة الشرقية للمدينة والمصلى القريب منها ([1]) .

المساجد :

بعد أن عاد عقبة بن نافع، وهو أحد صحابة النبي ووالي إفريقية (تونس الحالية)، من حملة عسكرية ظافرة قادته حتى المحيط الأطلسي، لقي حتفه في معركة ضد كُسيلة وجيوشه الذين كانوا ينتظرونه على مقربة من تهودة. وقد شُيِّد مسجد سيدي عقبة حول مدفن عقبة بن نافع([2]).

كان المقام والمسجد على درجة كبيرة من البساطة. فقد تم إكساء مجمل العناصر المعمارية بملاط الجير، ولم تستخدم في البناء أية مادة ثمينة أو نفيسة. لايختلف تصميم المسجد اختلافا كبيراً عن تصميم المساجد القديمة جداً، ولاسيما المسجد الذي شيده النبي نفسه، ويشهد على ذلك تنظيم البلاطات الموازية لجدار القبلة. وعلى مستوى الأرضية، تتصل قواعد الأعمدة ببعضها البعض من خلال تعلية تبلغ ما يربو على العشرة سنتمترات راسمةً بذلك حدود الحيز اللازم للسجود في صفوف المصلين. أما التيجان المصبوبة من مادة ملاط الكلس والتي تعلو الأعمدة وبعضها مكوّن من جذوع النخل المكسية كذلك بملاط الكلس، فتسند العقود الخالية من أي زخرفة.واعتمادا كذلك على الطراز المعماري، ومواد البناء، ومن بينها جذوع النخل ووسائل الدعم فإن مسجد عقبة يعد من أقدم المساجد الموجودة بالقطر الجزائري([3]) .

احتضن الضريح قبر الوالي عقبة بن نافع. وبعد مرور 350 سنة على وفاته، شهدت البناية عدة أشغال ترميم وتزيين مثل الباب الرئيسي الذي صنع في العهد الفاطمي من الخشب المنقوش، وهي تحمل شبها كبيرا بأخشاب جامع القيروان التي

---

[1]) الزياني ، أضواء جديدة على طبنة ، ص168 .
[2]) مجهول: الاستبصار في عجائب الامصار، ص.89.
[3]) عبد العزيز شبهي: مساجد أثرية في منطقتي الزاب ووادي الريغ، ص 180

أنجزت تحت حكم المعز(1016-1062). والباب غني بالتوريق والزخارف تذكر بالشرائط المظفورة والمطروزة.

ويتم الدخول إلى قاعة الصلاة عبر ثلاثة أبواب جانبية، وهي تضم سبع بلاطات متعامدة مع جدار القبلة وسبع أساكيب. هذا التموضع العرضي الذي اختير منذ الفترة الأموية، ليس فقط المثال الأقدم ولكنه الأكثر ملاءمة للصلاة ([1]).

ترتكز الأقواس الدائرية المتجاوزة المثبتة بواسطة عوارض خشبية، على أعمدة من جذوع النخل. بينما تتخد الغرفة الجنائزية شكلا مربعا وتغطيها قبة. وهي تقع في الركن الجنوبي الغربي للمسجد. تحت حكم المعز بن باديس زين الضريح على طراز الخزانة التي أهداها الأمير الزيري لجامع القيروان. كتبت على قبر الضريح نقيشة هي الوحيدة في الجزائر التي تعود إلى الفترة الزيرية وهي شبيهة من حيث الخط بالنصب الجنائزية القيراونية التي تعود إلى حوالي 1025. ([2])

وتقع الصومعة في الركن الجنوبي الغربي لقاعة الصلاة، وهي تتكون من برج مستطيل تتخلله لوحات متراكبة وينتهي بشرفات وتتشكل زخارفها من نوافذ مسدودة وأخرى مفتوحة تعلوها عقود دائرية متداخلة. وبإحدى الأروقة المحيطة بالمسجد قرب المدخل الرئيسي، يوجد حجر اسود يذكر بذلك الموجود بالكعبة المشرفة بمكة([3]) .

يتميز المحراب بعقد مزين بزخارف جصية ذات عناصر هندسية بسيطة وبتخطيط غير منتظم؛ وتعلوه قبة نصفية ذات أثلام مشعة. تيجان الأعمدة مقنّاة هي الأخرى موحية عبر ذلك بأشجار نخيل مبسّطة للغاية. وتبرز من السد الترابي الذي يغطي قاعة الصلاة قبتان، تعلو إحداهما الضريح، بينما تقع الأخرى قبالة المحراب وهناك مسألة جديرة بالملاحظة حول مساجد بلاد الزاب وهي بساطتها الهندسية

---

[1]) بورويبة، اسهامات الجزائر في الهندسة الدينية العربية-الاسلامية، الجزائر، أوبنا، 1956.
[2]) خليل ، مسجد عقبة بن نافع ببسكرة (دراسة اثرية) ، ،ص28 .
[3]) المرجع نفسه ص29.

يعد جامع قلعة بني حماد من اهم المعالم التي تم الكشف عنها، ويؤرخ هذا الجامع بتاريخ تشييد المدينة باعتبار ان المسجد الجامع يكوف من اول المباني التي يجب بناءها عند تشييد مدينة إسلامية جديدة كما هو حال مدينة قلعة بني حمَاد وإن كان جامع القلعة في تخطيطه لا يختلف عن المساجد المشيدة في المنطقة منذ الفتح الإسلامي، باعتماده على الاعمدة في قاعة الصلاة واروقة الصحن كجعل المأذنة في محور المحراب وتتوسط الجدار الشمالي للجامع، إلا ان ما يميزه هو مخططه العام والذي يقتًرب من المخطط المربع، حيث يبلغ عرضه 56م وعمقه 64م وبذلك فهو يبتعد عن المخطط المستطيل الذي عمقه أكبر من عرضه الذي كان شائعا في المنطقة مثل جامع عقبة بن نافع بالقيروان والجامع الاموي بقرطبة ([1]) .

قلعة بني حماد

تعود الدولة الحمادية بأصولها إلى قبيلة صنهاجة حيث شكلت بطون تلكالة و أنجفة العصبية القوية لقيام دولتها وهي من أهل المدر على حد قول ابن خلدون (ت808هـ/1405م) مبينا أن المدر هي من أشكال العمران الحضاري إذ يعتصم بها و يتحصن بجدرانها ([2])،فقد آثرت بطون من صنهاجة الاستقرار في السهول([3])، والأرياف و الجبال منتظمين في شكل قرى صغيرة متخذين البيوت و المساكن، قائمين على الزراعة و الفلاحة فكان المقام عندهم أولى من الظعن وهم سكان المدن والقرى و الجبال([4])، و بذلك كانت صنهاجة –تلكالة- قوة حضرية([5])

---

[1]) عولمي ، إسهامات قلعة بني حمَّاد في العمارة ، ص164 .
[2]) المقدمة، ص 72.
[3]) عز الدين أحمد موسى: النشاط االقتصادي، ص72 .
[4]) ابن خلدون: المقدمة، ص 149 .
[5]) الهادي روجي: المرجع السابق، ج1 ،ص 71؛ موسى لقبال: المرجع السابق، ص 80 .

والى جانب النمط الاقتصادي الزراعي الذي جعل منها قوة حضارية، فإن مجاورتها لدولة الأغالبة جعلها ترث نصيبا مما كان لها من الحضارة مع كتامة دون سائر قبائل البربر ([1]) .

وعموما فلقد ورثت دولة بني حماد مخلفات حضارية و عمرانية خلفتها الدول المتعاقبة على حكم المغرب([2]) ، و بذلك شكلت بطون تلكالة وأنجفة نواة المجتمع الحضري بالمغرب الأوسط لاسيما و أن قيام دولة بني حماد قد خفض من نسق تدفق الهجرة الصنهاجية إلى إفريقية الزيرية بل أوقفها تماما ([3])

ناهيك عن دور ها في بناء المدن و تعمير المغرب الأوسط سائرة في ذلك على خطى زيري (ت360ه /969م) وابنه بلكين (ت373ه /984م) اللذان أخذا بزمام المبادرة في تعمير المغرب الأوسط من خلال تجديد بعض مدنه من جهة (جزائر مزغنة-المدية – مليانة) وبناء مدن جديدة من جهة أخرى على غرار مدينة أشير ([4]) ، في حين ظل تعميره قبل القرن الرابع الهجري/ العاشر ميلادي صناعة عربية وأندلسية ([5]).

فكان من أولويات حماد بن بلكين(ت 419هـ/1928م) هو اختطاط مدينة القلعة بين 398هـ/1007م و التي كانت بعيدة عن المدن القديمة ، و تميزت بجمال مبانيها و كثرة قصورها، والذي يعد مظهرا من مظاهر الترف و التحضر الذي بلغته دولة بني حماد ([6]) ، وكشفت حفريات القلعة على اربعة قصور حمَّادية وهي وهي قصر البحر، قصر المنار، قصر السلام، وقصر الكوكب، وأهم ما يميز قصور القلعة هو انسجامها مع محيطها، حيث بنيت مرافقها في مستويات مختلفة

---

[1]) ابن خلدون: المقدمة، ص406 .
[2]) بو يحي الشاذلي: المرجع السابق، ج2 ،ص 432 .
[3]) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج 2 ،ص8
[4]) مدينة أشير: بناها زيري بن مناد سنة 324ه/935م بجبل تيطري وهي مينة بحصن ولها سور حصين. ابن حوقل:المصدر السابق، ص92-93؛ البكري: المصدر السابق، ج2 ،ص240-241.
[5]) الطاهر بونابي: قلعة بني حماد التأسيس والتداعي ، ص 80 .
[6]) بن خلدون: المقدمة، ص40 .

حسب انحدارات الأرضية التي شيدت عليها ويظهر ذلك بشكل واضح في قصر البحر ([1]) .

وهذه القصور تتكون من مجموعة من المباني مبنية جنب الى جانب ولكن بدون ان تتبع مخطط منتظم يعتمد على الخطوط المستقيمة والتناظر، غير انها تشكل وحدة متكاملة، منسجمة ومتناسقة مع بعضها البعض وتربط بينها ممرات وساحات وحدائق، وهو التخطيط الذي نشاهده لاحقا في تخطيط مجمع قصر الحمراء بغرناطة ([2]) .

تؤكد لنا مصادر الجغرافيا و الرحلات جمال بيوت مدينة القلعة وقصورها، ومن القصور التي ورد ذكرها قصر دار البحر الذي كان مشرف على نهر الناصر وبه من الرخام والسواري ما يقصر عنه الوصف وقصر العروسان الذي بناه بن علناس ([3]).([4]) .

اما تخطيط المدينة فقد أحيطت القلعة بسور على شكل رجل كبش حيث يساير قمة لقرين يتماشى هذا الصور مع الشط الشرقي لواد فرج من جهة الشرق نحو الشمال يكمل اتجاهه إلى أن يصل إلى جبل تكربوست يتراوح عرض السور ما بين 1.20م إلى :1.60م و طوله 7 كلم. بني من الحجر و الديش و يتم الدخول للقلعة عبر عدة أبواب أهمها ([5]) :

---

[1]) عولمي ، إسهامات قلعة بني حمَّاد في العمارة ، ص165 .

[2]) المرجع نفسه ، ص165 .

[3]) ابن حماد بن بلكين بن زيري ، الصنهاجي ، البربري رابع ملوك الدولة الحمادية، حكم بين 454-461هـ/1062-1088م، وصل للحكم بعد انتقامه من بلكين بن محمد بن حماد، الذي قتل أخته، يُعتبر الناصر أعظم الملوك الحماديين، حيث بلغت الدولة في عهده أقصى إتساعها و ذروة قوتها و نهضتها الحضارية ، و وكانت دولته سبعا وعشرين سنة . توفي سنة إحدى وثمانين واربعمائة. الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، سير أعلام النبلاء ، ج18 ، ص598.

[4]) الإدريسي: المصدر السابق، ص 109 ،مجهول: الاستبصار، ص168؛ التيجاني: المصدر السابق، ص123.

[5]) بن عميرة،القلعة قاعدة بني حماد الثقافية الأولى،ص106.

* باب الأقواس: يقع عند التقاء جبل قرين بالسهل، ولم تبقى أثار لهذا الباب إالا أثاره الشمالية.

* باب الجنان: يوجد في شرق المدينة يؤدي إلى طريق القيروان.

* باب جراوة: يطل على جسر سيدي عيسى.

اما بالنسبة الى المنازل **فأن** الإنسان منذ القدم إلى يأوي إلي باعتبارها أماكن تقيه البرد والحر لينعم بالراحة والاستقرار، فتغيرت المساكن حسب تطور الأزمان، فهناك عوامل مختلفة تحدد مخطط المنازل في المدينة الصحراوية، فدور الواحات يغلب عليها العامل الديني وعامل الطبيعة وهي بسيطة في تناسق تام يغلب عليها أيضاً التراص والتلاصق وهذه السمة في البناء تكون أحياء مترابطة تسهل مراقبتها والدفاع عنها.

ومن السمات العامة التي ميزت المدن الإسلامية " نمط المنزل"، فالمنزل الإسلامي يتكون عادة من طابق أو طابقين يحيط بهما فناء مركزي وغالبا ما نجد فيه حوض ماء على هيئة بركة، وهذا النمط من المساكن يتلائم مع الظروف المناخية وطبيعة الحياة للمجتمع الاسلامي، فنجد الرجال يجلسون في حجرات الضيافة بينما النساء يقمن في حجرات خاصة لهذا نجد أن المنزل كان يتكون من طابقين ([1]) .

[1]) سعيد، المدينة الإسلامية ، ، ص 62 .

الخاتمة واهم النتائج

بعد هذه المرحلة العلمية ا في دراسة إقليم الزاب ، اتضح لنا ان بلاد الزاب :

1- بلاد ذات مساحة جغرافية مهمة ضمت مدن عديدة وكانت مساحته تصغر وتكبر تبعاً للاحداث والتبعية السياسية حتى اختلف اهل الجغرافية والرحالة في تحديد حدوده اختلافاً كبيراً.

2- ضمت بلاد الزاب عناصر سكانية متعددة الأعراق منها البربر سكان البلاد الأصليين والافارقة وبقايا الروم والعرب من طليعة الفتح ثم من الهجرات الهلالية ، كما بينت الدراسة التوزيع لهذه الأعراق على المدن والبوادي والقرى .

3- بينت الدراسة الوضع السياسي لإقليم الزاب منذ الفتوحات الإسلامية بقيادة قادة الفتح الأوائل وموقف البربر من ذلك لاسيما في إقليم الزاب واهمية مدنه السوقية في العمليات الحربية كما بينت فترة الولاة وامتداد السلطة العباسية للإقليم ، والصعوبات التي واجهتها لاسيما حركات الخوارج ثم فشل ممثلي تلك السلطة في مواجهة المد الإسماعيلي الشيعي وسيطرته على الإقليم ، ومدى طبيعة العلاقة بين الفاطميين وسكان الزاب ، وبائهم لمدينة المسيلة كقاعدة عسكرية ومركز سيطرة .

4- كما بينت الدراسة الازدهاراً الاقتصادي خلال هذه المدة والتي ساعدت عوامل متعددة في ازدهاره فمن ناحية الزراعة تنوعت محاصيلها لاختلاف تضاريس الأرض والمناخ ودرجات الحرارة ومصادر المياه المختلفة ، كما اشتهرت بلاد الزاب بوفرة الثروة الحيوانية وتوفر المراعي .

أما الصناعة فهي من الأنشطة الاقتصادية المهمة في بلاد الزاب ، وقد ازدهرت بشكل كبير وذلك بسبب توافر المواد الأولية سواء كانت معادن طبيعية أم نباتية أم حيوانية. سدت احتياجات بعض الناس والزيادة منها صدر إلى الخارج ، ما أدى إلى ازدهار الحركة التجارية. وهناك عوامل ساعدت على ازدهار التجارة منها توفر الأمان والاستقرار النسبي في أحيان كثيرة، وموقع بلاد الزاب الذي يتصل مع

معظم بلاد المغرب وكان يمثل حلقة الوصل بين المشرق وبلاد مصر والمغرب الأدنى والمغرب الأقصى وبلاد السودان ، فكانت الطرق التجارية تمر بمختلف مدن وقرى بلاد الزاب كالمسيلة وطبنة والمحمدية وكلها أصبحت ملتقى للطرق التجارية فازدهرت التجارة وتحولت هذه المدن الى مدن ذات أهمية كبيرة ومراكز للتجارة .

5- تميزت بلاد الزاب بالإنتاج اللمي اذ ازدهرت بها العلوم وكانت حلقات الدرس منتشرة في مساجدها وبرز فيها علماء كبار اشتهروا برحلاتهم العلمية وتصنيفاتهم القيمة ، وبروز مركز علمية نتيجة لرعاية الامراء لاسيما امراء الدولة الحمادية .

6- توسع العمران في إقليم الزاب في مدة فترة الدراسة اذ ظهرت أساليب جديدة في البناء .

المصادر والمراجع

1. ابن الأبار ، محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي ،(ت658هـ/1268م).، الحلة السيراء ، تح : حسين مؤنس ، دار المعارف ، ط 02 ، القاهرة ، 1985
2. ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الذراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، 1995 .
3. ابن الأثير ، علي بن ابي الكرم بن عبد الواحد الشيباني ،(ت630هـ /1232م).، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، تصحيح : عادل الرفاعي ، (ط1) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، 1996م .
4. ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ، ط1 ، تحقيق : أبي الفداء عبدالله القاضي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت - 1987م).
5. ابن الأحمر، المير أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الغرناطي الأندلسي (ت807هـ/ 1405م) ، نثير الجمان في شعر من نظمني واياه الزمان تحقيق وتقييم ،محمد رضوان الداية ،ط 1،مؤسسة الرسالة بيروت ،لبنان ، 1396 هـ / 1976 ،
6. الادريسي ، الإدريسي ، ابو عبدالله محمد بن محمد ، (ت560هـ/1164م)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، (ط1) ، عالم الكتب ، (بيروت ، 1989م)
7. الاصطخري ، الاصطخري ، إبراهيم محمد الفاسي ، (توفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري)لمسالك والممالك، تحقيق، محمد عبد العال الحسني، القاهرة، دار القلم، 1961م.

8. ابن اعثم ، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت314هـ / 927م)، كتاب الفتوح ، تحقيق : علي شيري ، (ط1) ، دار الاضواء للطباعة ، بيروت ، 1991م

9. البخاري ، أبى عبد الله محمد بن إسماعيل (ت 256 هـ / 869 م) ، كتاب التاريخ الكبير، الناشر: دائرة المعارف العثمانية ، تصوير دار الكتب العلمية ، (د.ت) .

10. ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك الأندلسي القرطبي (ت 578 هـ / 1183 م)، الصلة، تحقيق: إبراهيم ألبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م.

11. البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر البغدادي الأسفراييني، (ت٤٢٩هـ)الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، تح : محمد بدر ، مط المعارف، القاهرة (د.ت).

12. البكري ، عبدالله بن عبد العزيز بن محمد ، (ت478هـ/1094م) المسالك والممالك ، تحقيق : جمال طلبة ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003م.

13. البكري ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣ هـ

14. البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر((ت 279 هـ/ 892م)، تحقيق: نشر وإلحاق وفهرسة : الدكتور صلاح الدين المنجد الطبعة ، مط لجنة البيان العربي ، الناشر: مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1956 م .

15. التجيني ، ابن رزين التجيني: فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان تحقيق محمد ابن شقرون. دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط. 2. 1984م.

16. الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣هـ) ، غاية النهاية في طبقات القراء ، المحقق: ج برجستراسر ، دار العلمية ، بيروت ، 1427 هـ - 2006 م.

17. الجندي ، أبو عبد الله بهاء الدين (ت 732هـ / 1331م) ، كتاب السلوك في طبقات العلماء والملوك ، تح : محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، 1414 هـ .

18. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان (ت ٣٥٤هـ / 965م)، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تح: محمود علي مكي، نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ، 1978م .

19. ابن حزم الأندلسي ، علي بن محمد بن سعيد ، (ت456هـ/1063م) ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، (مصر - د. ت).

20. ابن عبد الحكم ، أبي القاسم عبد الرحمن بن عبدالله ، (ت257هـ/ 870م)، عبد الرحمن فتوح مصر والمغرب،. مكتبة الثقافة الدينية. 1415 هـ

21. ابن حماد ، محمد بن علي (عاش خلال الفترة 405-542هـ/1014-1050م). أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق :التهامي نقرة ، عبد الحليم عويس ، دار الصحوة ، (القاهرة - د .ت) .

22. الحمادي ، محمد بن مالك بن أبي الفضائل (ت 450هـ / 1058م) ، كشف أسرار الباطنية وأسرار القرامطة ، تصحيح عزت العطار مط الأنوار ، القاهرة ، 1939م

23. الحميري ، محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق : احسان عباس ، (ط2) ، مؤسسة ناصر الثقافية ، (لبنان ، 1980م) .

24. ابن حوقل ، ابو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت367هـ)، صورة الارض ، دار مكتبة الحياة، بيروت ، 1962 م.

25. ابن خاقان ، : الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان القيسي الإشبيلي (ت 535هـ / 1141م) قلائد العقيان في محاسن الرؤساء والقضاة والكتاب والأدباء والأعيان ، المحقق: لجنة إحياء التراث العربي في

26. الخراط ، ابي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي (ت 581 هـ)، الصلاة والتهجد ، تحقيق عادل أبو المعاطي ، ط1 ، دار الوفاء ، المنصورة ، 1992م.

27. ابن خرداذبة ، ابي القاسم عبد لله بن عبدالله ، (ت300هـ/913م)، المسالك والممالك، دار صادر ، (بيروت - د.ت).

28. ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، (ت808هـ/1405م).، ديوان العبر و المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأعظم ، مراجعة سهيل زكار ، ضبط المتن : خليل شحادة ، مراجعة : سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، 2000 م، .

29. ابن خلدون، المقدمة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت.

30. ابن خلكان ، ابن خلكان ، شمس الدين احمد بن ابي بكر ، (ت681هـ/1282م).، وفيات الاعيان وابناء ابناء الزمن ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1977م .

31. ابن خياط ، خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1985

32. الدباغ ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري (ت696هـ/1296م)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تحقيق إبراهيم شبوح ، مكتبة الخانجي ، مصر ، 1986م ، ج2 ، ص ٢٤٧ .

33. ابن عذاري، احمد بن محمد المراكشي ،(ت بعد 712هـ / 1332م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط3 ،دار الثقافة، بيروت، 1983 .

34. الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 670 هـ/ 1272)، كتاب طبقات المشائخ بالمغرب،. تح ابراييم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1974 .

35. ابن ابي دينار ، محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ، (كان حياً سنة 1110هـ/1698م)، المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، ط3 ، دار المسرة ، بيروت ، 1997م.

36. الذهبي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (748 هـ / 1348م) ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق : مصطفى عبد القادر ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004م .

37. الذهبي ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط 1، بيروت ، 1963م.

38. الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، المحقق: عمر عبد السلام التدمري ،الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م

39. الذهبي ، معرفه القراء الكبار علي الطبقات والاعصار، الناشر: دار الكتب العلمية ، ١٤١٧ هـ/١٩٩٧م .

40. رسائل أخوان الصفا ، دار بيروت للطباعة والنشر. دار صادر للطباعة والنشر. بيروت 1376هـ / 1957.

41. الرقيق القيرواني ، ابو اسحاق إبراهيم بن القاسم ،(ت417هـ/1026م) تاريخ إفريقية و المغرب ، تحقيق: عبد العلي الزيدان و عز الدين عمر موسى ، دار الغرب الإسلامي ، ط 01 ، بيروت ، 1990

42. ابن سحنون ، محمد بن سحنون (ت 256هـ)، آداب المعلمين تح محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية، تونس، 1972.

43. ابن سعد ، (ت230هـ/844م). ، الطبقات، تقديم احسان عباس ، دار صادر، بيروت، 1986م .

44. السلفي ، أبو الطاهر السلفي، أحمد بن محمد السِّلَفي (576هـ / 1180م) ، معجم السفر، ط1 ،المكتبة التجارية، مكة المكرمة (د.ت)

45. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة، ج2، تح: محمد ابو الفضل إبراهيم بيروت: دار الفكر، ط2، 1979.

46. ابن شاكر؛ محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الدمشقي فوات الوفيات والذيل عليه. ، دار صادر ، بيروت

47. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الملل والنحل (ط. العلمية) المحقق: أحمد فهمي محمد ، الناشر: دار الكتب العلمية ، 1413 1992/

48. الصدفي ، ابن يونس، عبد الرحمن بن أحمد الصدفي (ت347هـ/958م) ، تاريخ أبن يونس، جمع وتحقيق عبد الفتاح فتحي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2000م، .

49. ابن الصغير ، المالكي، (ت281هـ/894م)، أخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق : محمد ناصر ، إبراهيم بحاز ، دار الغرب الإسلامي ،1986م.

50. الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ، الوافي بالوفيات ، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى الناشر: دار إحياء التراث ، بيروت ، 2000م

51. الضبي ، أبو جعفر احمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، (ت ٥٩٩هـ) ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، الناشر: دار الكاتب العربي ، القاهرة ، 1967م.

52. الطالبي ، محمد الطالبي، الدولة الاغلبية التاريخ السياسي (184 - 296هـ / 800 - 909 م) ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1415هـ / 1995م

53. ابن عبد الحكم ، أبومحمد عبد الله بن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الامام مالك بن أنس وأصحابه، المكتبة العربية، دمشق، ط 4، 1966م ، ص160.

54. الجؤذري ، ابي علي منصور العزيزي ، (ت386هـ/996م). سيرة الاستاذ جوذروبة وبه توقيعات الأئمة الفاطميين ، تحقيق : محمد كامل حسين ، محمد عبد الهادي شعيرة ، مطبعة الاعتماد ، (القاهرة - 1954م).

55. ابن عساكر ، أبي القاسم علي بن الحسن (ت 571 هـ / 1176م) تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : علي شيري ، ط1 ، دار الفكر-بيروت ، 1998م .

56. العماد الاصفهاني ، محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس (ت ٥٩٧هـ) ، خريدة القصر وجريدة العصر، الدار التونسية للنشر 1971م .

57. الغبريني: حمد بن أحمد بن عبد الله (ت ٧١٤ هـ)عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط 1979.

58. ابن الفرضي ، ابو الوليد عبد الله بن محمد (ت403هـ) ، تاريخ علماء الاندلس ، تحقيق ابراهيم الابياري ، دار الكتاب المصري ، اتلقاهرة (د.ت)

59. الفيروز آبادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ) قاموس المحيط ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ،ط8، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥

60. القاضي النعمان ، أبي حنيفة بن محمد التميمي المغربي ، (ت363هـ/973م). افتتاح الدعوة ، مؤسسة الأعلمي ، (بيروت - 2005م)

61. قاضي النعمان ،المجالس والمسايرات ،تحقيق :الحبيب الفقي وآخرون ، دار المنتظر ، بيروت ،1996م ، ص 557 .

62. القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن حيون التميمي المغربي (ت 363هـ/ 974م)، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، منشورات الأعلمي للمطبوعات، ط2، بيروت، 2006م

63. القاضي عياض ، ابي الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي المالكي (544 هـ / 1149م) ترتيب المدارك ، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، 1403 / 1983

64. ابن القاضي المكناسي ، احمد بن محمد ، (ت1025 هـ/1616م).جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار الدنصور للطباعة والوراقة، الرباط ، 1973 م.

65. القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت 821هـ) قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان ، تحقيق وتقديم :إبراهيم الأبيار ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 1982 م،

66. ابن قنفذ ، ابي العباس احمد الخطيب القسنطيني (ت810هـ / 1407م) ، انس الفقير وعز الحقير ، تصحيح محمد الفاسي ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط ،(د.ت).

67. المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد،(ق4هـ/ 10م) ، كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية تحقيق: بشير البكوش - محمد العروسي المطوي، ط 2. دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان (1414 هـ - 1994م).

68. ابن ماكولا ، علي بن هبة الله بن جعفر، الإكمال في رفع الإرتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ، تحقيق عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني ، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - الهند (تصوير: الكتاب الإسلامي) ، 1963م .

69. مجاني ، بوبة ، أثر العرب اليمنية في تاريخ بلاد المغرب في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، دار بهاء الدين الجزائر، 2009

70. مجهول ، اخبار مجموعة في فتح الاندلس : وذكر امرائها والحروب الواقعة بها بينهم مكان النشر: بغداد : الناشر: مكتبة المثنى، تاريخ النشر: 1964

71. المراكشي ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي (ت ٧٠٣ هـ) ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق محمد بنشريفة، طبعة الرباط 1984.

72. المراكشي ، عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح محمد زينهم محمد عزب ، دار الفرجاني للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1994م .

73. المقدسي، أبو عبد الله محمد ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3 ،مكتبة مدبولي، القاهرة ، 1991م.

74. المقري التلمساني ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ت احسان عباس.

75. المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي ، (ت845هـ/1441م).اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، (القاهرة - 1967م).

76. ابن منظور ، محمد بن كرم ، (ت 711هـ/1313م).لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي، (القاهرة – 1984م).

77. مؤلف مجهول ،الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة ومصر ،وبلاد المغرب) ، نشر وتعليق د/سعد زغلول عبد الحميد ،دار النشر المغربية: الدار البيضاء م 1985 .

78. الورثلاني، سيدي الحسين ابن محمد الورثلاني ،الرحلة الورثلانية ،الموسومة ،تحفة الأنظار في فضل التاريخ والأخبار ،المكتبة الثقافية الدينية ، بيروت ، 1987م.

79. الوزان ، الحسن ، وصف إفريقيا ، ترجمة : محمد حجي و محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983م ، ج2 ، ص 53.

80. وزان ، الحسن بن محمد الوزان (ليون الإفريقي) ، وصف إفريقيا، ج 6، دار الغرب الإسلامي: بيروت.

81. الوسياني، أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان (ق6/ 12م) سير الوسياني، تح عمر. بن لقمان حمو سليماف بوعصبانه، نشر وزارة الثقافة بسلطنة عمان، مسقط، 2009م ، ج 2، ص 667.

82. النباهي ، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي (ت نحو ٧٩٢هـ) تاريخ قضاة الأندلس، المحقق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة ، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت/لبنان١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .

83. النووي ، ابو زكريا محي الدين يحيى (ت676ه) ، تهذيب الاسماء واللغات ، دار الفكر، بيروت ، 1996م .

84. النويري ، شهاب الدين احمد لن عبد الوهاب (ت721ه) ، نهاية الارب في فنون الادب ، تحقيق مفيد قميصة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 20904م .

85. ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (626ه/ 1229م) معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، 1979م

86. ياقوت الحموي ، معجم الادباء ارشاد الاريب الي معرفه الاديب ، المحقق: إحسان عباس ، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م

87. يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (ت 1100ه / 1689م)، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، تح سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار الكتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1968م .

88. اليعمري ، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (ت ٧٩٩هـ) ، الديباج المذهب ، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور ، الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة (د.ت) .

89.

90. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق ، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م .

المراجع

1. أدريس ، الهادي روجي ، الدولة الصنهاجية تاريخ أفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 الى القرن 12 م، تر: حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1992م.
2. اصطفان اكصيل ، تاريخ شمال افريقيا ، ترجمة محمد التازي ، مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ،2007م.
3. باروني ، أبي الربيع سليمان ، مختصر تاريخ الاباضية،مكتبة الاستقامة ، 1938م.
4. باسيه ، رنيه باسيه ، أبحاث في دين الأمازيغ، تر حمو بوشخار، دفاتر وجهة نظر، الرباط ، 2012م.
5. بحاز ، إبراهيم بكير ، الدولة الرستمية (160-296هـ / 777-909م) دراسة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، الجزائر ، جمعية التراث ، 1994م.

6. بدري ، سامي ، البشارات -الكراسة الأولى فصل: موجز عن (الكتاب المقدس) وأسفاره ولغته الأصلية وترجماته الأساسية.

7. بشير ، عبد الرحمان اليهود في المغرب العربي (22 - 462هـ /642 - 1070م) عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، والاجتماعية، مصر، ط1، 2001م .

8. بلهواري ، فاطمة : هندسة الري وطرقه في بلاد المغرب الاسلامي خلال القرون الأولى للهجرة .

9. بن سعيد ، ابن ميـرة ، أثر اللغة العربية في نشر الثقافة الإسلامية ببلاد المغرب الإسلامي خلال العصرالوسيط ، مجلة افانين الخطاب ، المجلد :02 /العـدد: 01 / السنة: جوان2022م.

10. بن عمرة محمد بن عمرة دور زناتة في الحركات المذهبية بالمغرب الاسلامي .

11. بن عميرة، محمد: الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين أطروحة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، الجزائر، 2004-2005 .

12. بن قربة ، صالح يوسف ،تاريخ مدينتي المسيلة والقلعة ،دراسة تاريخية أثرية ،منشورات الحضارة ،الجزائر ، 2009 م .

13. بن منصور، عبد الوهاب، قبائل المغرب، المطبعية الملكية، الرباط، 1338هـ / 1968م ، ج 1، ص 354

14. بو خالفة ، عزي ، المهاجرون الهلاليون بين احكام المؤرخين و شظايا الذاكرة الشعبية، الجزائر منشورات وزارة الثقافة، ط 1، 2013 م.

15. بورويبة، اسهامات الجزائر في الهندسة الدينية العربية-الاسلامية، الجزائر، أوبنا، 1956.

16. بوعمامة ، فاطمة ، اليهود في المغرب الاسلامي، خلال القرنين السابع والثامن الهجري الموافق ل14 - 15 ميلادي، كنوز الحكمة، الجزائر 20011.

17. بوفرور، أحلام شعيب ماضي، الفعل في قصيدة المنفرجة لابن النحوي دراسة دلالية. أزمنة الفعل في قصيدة المنفرجة لابن النحوي.

18. بومعزة ، عبد القادر ، بسكرة في عيون الرحالة الغربيين ، ط1 ، دار علي بن زيد للطباعة والنشر ، بسكرة ، الجزائر ، 2006 م .

19. بونار، رابح ، المغرب العربي ، تاريخه وثقافته ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر، 1968م.

20. بيل ، الفريد ، الفرق الاسلامية في الشمال الأفريقي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2، 2000م.

21. تكروري ، أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد (ت ١٠٣٦ هـ) ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة ، دار الكاتب، طرابلس – ليبيا .

22. التجاني ، محمد بن احمد ، تحفة العروس ومتعة النفوس ، تحقيق جليل العطية ، رياض الريس للكتب ، 1992م .

23. تلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان : تح :محمد بن أبي شنب، د م ج، الجزائر، 1986.

24. تليسي ، بشير رمضان ، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الاسلامي خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، دار المدار الإسلامي ،(د.ت).

25. تهامي ، إبراهيم ، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ، ط1،مؤسسة الرسالة ، بيروت ،2005م ، ص34.

26. التوزري ، الهادي مصطفى ، أعلام الأفارقة عبد الله الشقراطسي ، تونس 1955.

27. تويراس ،ر ، تعريب الدولة والمجتمع بالمغرب الأقصى خلال العصر الموحدي ، مؤسسة الأدريسي الفكرية للابحاث والدراسات ، ط1 ، 2016م.

28. الثعالبي ، عبد العزيز: تاريخ شمال افريقيا من الفتح الإسلامي إلى غاية نهاية الدولة الأغلبية دار الغرب الاسلامي ،بيروت ، 1987م .

29. الثعالبي الجعفري الفاسي (ت ١٣٧٦هـ) ،الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت، ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

30. جعيط ، هشام ، تأسيس الغرب الإسلامي (ق 2 هـ - 8م)، دار الطليعة، بيروت ،2004.

31. جنحاني ، الحبيب ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة عاصمة بني مدرار، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية ،مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ، مصر ، 2000 م.

32. جنحاني، الحبيب ، القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي ، الدار التونسية للنشر ، 1968م.

33. جنحاني، دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، بيروت، دار الطليعة، 1980.

34. جودت ، عبد الكريم ، الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجرين 9-10م ، ص306 .

35. جيلالي ، عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام ، دار الحياة ، ط2 ، بيروت 1965 .

36. جيلالي ، عبد الرحمن الجيلالي ،تاريخ الجزائر العام ، دار الأمة ،الجزائر ، 2008 م

37. حاجيات ، عبد الحميد حاجيات ،الوجود الهلالي السلميي في الجزائر ،دار هومة للنشر والتوزيع، م - 2007

38. حريري ، محمد عيسى ، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، دار القلم للنشر والتوزيع، ط3 ، 1408/ 1987.

39. حساني ، مختار ، تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال السياسية، منشورات الحضارة، دم، دت، 2009 م .

40. حساني، مختار ، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، دار الحكمة ، الجزائر ، 2007 م.

41. حسني ، عبد الوهاب حسن ، كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين : مراجعة: محمد العمروسي المطوي وبشير البكوش، ط 1 ، بيت الحكمة – تونس،1990م .

42. خليف، عبدالرحمن "سحنون والقضاء"، في محاضرات ملتقى الإمام سحنون، 1991/1412، مركز الدِّراسات الإسلامية بالقيروان، تونس .

43. ابو خليل ، شوقي ، بلاط الشهداء ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، 1990م .

44. دبوز ، محمد علي ، تاريخ المغرب الكبير ، (ط2) ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1963م

45. دحماني ، تاريخ الجزائر في القرون الوسطى من كتاب العبر لابن خلدون، عنابة-الجزائر: منشورات بونة للبحوث والدراسات، 2011م.

46. الدراجي ، بوزياني ، القبائل الأمازيغية ،موطنها ،أعيانها ،دار الكتاب العربي لطباعة والنشر ،الجزائر ، 2007 م.

47. رابح ، بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط 3، دار الهدى، عين مليلة، 2000 م. .

48. روبيناتشي ، روبيرتو ، العزابة حلقة الشيخ محمد بكر (وثيقة عن نساك الصوامع في الاسلام ، تر لميس الشجني، مؤسسة تاوالت الثقافية سلسلة أبحاث التاريخية ،6، 2006

49. روجي ، ادريس الهادي روجي، تاريخ إفريقيا في عهد بني زيري من القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان1992م.

50. الزاهد ، احمد ، الغزو العربي لشمال إفريقيا بين نبالة النص ودناءة الممارسة ، منشورات تاوالت ، الجزائر .

51. الزبيري ، محمد العربي ، التجارة الخارجية لشرق الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، 1972 م.

52. الزركلي ، خير الدين ، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين (ط. 15)، دار العلم للملايين ، بيروت ، 2002م.

53. الزهري ، ابو عبد الله ، كتاب الجغرافية ،تحقيق :محمد حاج صادق ،المركز الإسلامي للطباعة ،مكتبة الثقافية الدينية :مصر (د،ت) .

54. الزياني ، الصادق ، أضواء جديدة على طبنة الزاب فصول في تاريخ المسالك وتخطيط العمران ، من تمام الفتح الإسلامي إلى القرن الهجري الخامس جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة -

55. سعد الله ، فوزي سعد الله: يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 1995م.

56. سعيد ، ناصف سعيد، المدينة الإسلامية ، - دراسة في نشأة التحضر، مكتبة زهراء الشرق، جامعة عين شمس القاهرة، د-ت،

57. سلاوي ، أبو العباس ، شهاب الدين ، أحمد بن خالد بن محمد الناصري السلاوي ؛ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري. الدار البيضاء - المغرب: دار الكتاب. .

58. سواعدي و الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، القاهرة ، 2004م .

59. شافية شارن وبلقاسم رحماني، الاحتلال الاستيطاني، سياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، ط1، الجزائر

60. شاوش ، وليد ، تاريخ تعريب المغرب الأقصى، مطبعة الألولة ، 2010م.

61. شلبي ، هند ، القراءات بأفريقية من الفتح الى منتصف القرن الخامس الهجري الدار العربية للكتاب، 1983.

62. شليتي : محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1999م

63. شماخي، أحمد بن سعيد أبي عثمان بن عبد الواحد، السير ، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان ، تاريخ النشر١٤٠٧هـ /١٩٨٧م.

64. شنيتي ، محمد البشير ، أضواء على تاريخ الجزائر القديمة، دار الحكمة ، الجزائر، 2003.

65. شنيتي ، محمد البشير، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، دار الهدى،2013.

66. طقُّوش، مُحمَّد سُهيل ، تاريخ الدولة الأُمويَّة ،ط 7، بيروت ، دار النفائس،1431هـ / 2010م

67. طمار، محمد طمار، المغرب الاوسط في ظل صنهاجة الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

68. طويل ، لطاهر طويل، المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس - ، دار المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية مطابع حسناوي، الجزائر 2011، .

69. طويل ،الطاهر، المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط (من النصف الثاني للقرن الهجري الأول الى القرن الهجري الخامس) ، مطابع حسناوي ، الجزائر ، 2011م ،

70. عبد القادر ، محي الدين ، الانوارالمضيئة في طبقات الحنفية ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، 1978م ،ص120 .

71. أبو زهرة ، محمد ، تاريخ المذاهب الاسلامية، القاهرة.

72. عثمان ، محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، سلسلة كتاب الثقافة، الكويت،1988م.

73. العربي ، إسماعيل ، الصحراء الكبرى وشواطئها ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983م .

74. عربي، إسماعيل العربي ، دولة بني حماد ،ملوك القلعة وبجاية ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،(د.ت)

75. فتاح ، عرفان عبد الحميد ، اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية ، دار البيارق ، 1417 هـ .

76. عشراتي سليمان، الشخصية الجزائرية، بانوراما المشهد الحضاري لميلاد الدولة الحمادية، دار الغرب للنشر و التوزيع، الجزائر، 2002م.

77. عطابي، سناء عطابي: استغلال المياه في المغرب الأوسط من خلال المصادر الفقهية، ضمن كتاب جماعي مغرب أوسطيا ت، د راسة في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الإسلامي الوسيط، مكتبة اقرأ ، قسنطينة ، ط 1 ،2001 م.

78. عقون ، محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م.

79. علاوة ، عمارة ، انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط (الجزائر) - قراءة سوسيو - تاريخية - " دراسة في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1429هـ / 2008م .

80. علاوة عمارة، موقع تلمسان من كرونولوجية انتشار الإسلام في بلاد المغرب (ق2 - 6/8 - 12م) دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الإسلامي الوسيط منشورات مكتبة اقرأ صنطينة - الجزائر.

81. عمارة ، علاوة عمارة (قراءة وعرض كتاب صالح علواني القبائل والمرابطون الأعراب والولاية في داخل أفريقية 6هـ/12م. 12هـ/18م.

82. عمامو ، حياة عمامو، أسلمة بلاد المغرب دار أمل للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، 2004م.

83. عمري ، ابن فضل الله ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح كامل سلمان الجبوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2010م .

84. غانم ، صغير المعالم الحضارية في الشرق الجزائري فترة فجر التاريخ دار الهدى الجزائر 2006.

85. غلاب ، عبد الكريم ، قراءة جديدة في تاريخ المغرب ، دار الغرب الإسلامي ، 2005م ، ج1.

86. فاسي ، محمد الفاسي: نشأة الدولة المرينية ومميزات العصر المريني، مجلة البينة الادبية، ايلول 1962

87. الفقي ، عصام الدين عبد الرؤوف ، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، مصر، 1984 م .

88. الفوال ، صلاح مصطفى ، علم الاجتماع البدوي التأصيل النظري ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة .

89. فيلالي ، عبد العزيز ، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 2014م.

90. فيلالي ، ىعبد العزيز ، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 2014م.

91. فيلالي ،عبد العزيز فيلالي ، المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب و الأندلس ، دار هومة للطباعة و النشر ، الجزائر ، 2008

92. فيلالي، عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني (دراسة حضارية وسياسية واقتصادية واجتماعية وعمرانية)، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، دط، 2002م ، ج 1 ، ص 192 .

93. لقبال ، موسى ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1979م

94. لقبال موسى لقبال ،المغرب الإسلامي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر، ط 2 ، 1981 م.

95. مالكي ، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف ، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية، ط1 ، القاهرة المطبعة الأزهرية المصرية 1327 هـ .

96. المالكي ، قبيلة فارس ، تاريخ العمارة عبر العصور ، ،دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،2007م.

97. مبارك ، قبابلة ، تطور مواد وأساليب البناء في العمارة الصحراوية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة محمد خضير ، بسكرة ، الجزائر ، 2009-2010م ، ص83 .

98. مخلوف ، محمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالم ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2003م .

99. مدني ، أحمد توفيق ، جغرافية القطر الجزائري ، نشر دار الكتاب الجزائري، طبع دار المعارف بمصر، ط3، الجزائر 1964.

100. مدين ، محمد بن ابي مدين ، الطرفة المليحة في أخبار المنيحة ، تحقيق إبراهيم ولد محمد بن أبي مدين، دار الكتب العلمية ، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان

101. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، القبائل العربية في بلاد المغرب في عصري المرابطين وبني مرين ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1982م.

102. مصمودي ، فوزي ، الزاب المصطلح والدلالات ، دار علي بن زيد ، بسكرة ، 2013م .

103. المطوي ، محمد العروسي ، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1986 م، ص 244 .

104. معمر ، علي يحيى ، الاباضية في موكب التاريخ ، القاهرة : مكتبة وهبة، تاريخ الإصدار، ١٩٦٤-١٩٧٨ ١٣٨٤-١٣٩٩هج.

105. مقديش ، محمد ، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،ط 1 ، تحقيق: علي عبد الزواري، محمد محفوظ ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ، 1988 م.

106. مؤنس ، حسين ، فتح العرب للمغرب ، مكتبة الاداب ، القاهرة ، 1997م .

107. موسى ، عز الدين أحمد ، النشاط االقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 2003م .

108. نصر الله ، سعدون ، تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي ، حتى سقوط غرناطة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 2003م .

109. نويهض ، عادل ، مُعجَمُ أعلام الجزائِر - مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

المجلات والدوريات

1- احمد ، سعودي أحمد ، الحياة الاقتصادية والثقافية لقلعة بني حماد ، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة عمار ثليجي - الاغواط (الجزائر) ، المجلد 05 ، العــدد: 02،2021 م .
2- أم الخير، العقون ، الموقع االستراتيجي لـ"منطقة الحضنة" في التاريخ القديم ، مجلة دراسات انسانية واجتماعية ،جامعة وهران ، عدد خاص، جوان، 2012م .
3- دحمان ، رياض ، نظام التسخين في الحمامات الرومانية بالجزائر القديمة (من القرن الثاني الى الخامس ميلادي) ، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، مجلد 16، ع 3، أيلول ، 2020م .
4- بن عميرة، محمد بن عميرة،القلعة قاعدة بني حماد الثقافية الأولى، حولية المؤرخ لاتحاد المؤرخين الجزائريين، ، العدد. 1. ، الجزائر،. 2002. م،. ص. 106
5- بو عزيز ، يحيى بوعزيز ، طرق القوافل التجارية بالصحراء ،مجلة الثقافة ،العدد : 59 ، 1980.
6- بوسعد الطيب ، دور علماء طبنة في العصور الإسلامية الوسطى، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 7، جامعة غرداية، الجزائر ، 2008م.
7- بونابي ، الطاهر بونابي: قلعة بني حماد التأسيس والتداعي: أعمال ملتقى وطني حول الدولة المركزية لقلعة بني حماد الإشعاع الفكري والثقافي 26و27أفريل، حوليات الآداب واللغات، ع2013/3م، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، ص 80 .
8- جعيل ، أسامة الطيب جعيل ،حواضر إقليم الزاب الكبرى في العصر الوسيط من خلال كتب الجغرافيا البلدانية د راسة -تاريخية ،مجلة

مدارات تاريخية مجلة دورية دولية أكاديمية محكمة تعنى بالبحوث والد راسات التاريخية العدد1، مارس 2019 م .

9- حاجي، ياسين رابح ، "المسح الاثري بموقع تهودة وضواحيه"، مجلة آثار،ع 11 ، 4014م.

10- الربيع ، علي ، الصراع الدوناتي الكاثوليكي في المغرب القديم ، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية جامعة الوادي، الجزائر، ع13، 2017م.

11- زوليخة تكروشين ، مواد وتقنيات بناء أسوار وأبواب المدن بالمغرب الأوسط ، مجلة الدراسات الأثرية ، معهد الآثار جامعة الجزائر المجلد: 19 العدد:1، 2021 م ،

12- زياني ، الصادق ، حضور الجماعات السنية ببلاد الزاب من العهد الاموي حتى القرن الخامس الهجري – المذهب المالكي انموذجاً ، مجلة الدراسات الإسلامية ، العدد 9،جوان ، الجزائر ، 2017م.

13- زياني، الصدادق. "أضواء جديدة على طبنة الزاب فصول في تاريخ المسالك وتخطيط العمران". مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية. ج. 5 ع. 2.

14- سعد ، سليم حاج سعد: مصادر المياه ووسائل الري و أماكن التخزين في المغرب الأوسط مابين القرنين الثاني والسادس الهجريين، مجلة قبس الدراسات الانسانية والاجتماعية، جامعة الوادي، العدد 1، 2009م.

15- سليماني ، سعاد سليماني، الملف الأثري لموقع زايي معطيات جديدة "، مجلة آثار، الجزائر ، العدد ،11، 2014،

16- علاوة ، عمارة ، اسلمة بلاد المغرب (ق 2- 6ه / 9-12م) محاولة في التحقيب والاليات ، ضمن أعمال الملتقى الدولي حول الأسلمة والتعريب في المغرب والمشرق في العهود الوسيط ، تونس 26-28

فيفرم 2012 ، نشر مخبر العالم العربي الاسلامي الوسيط ،جامعة تونس، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، 2015 .

17- علاوة ، عمارة ، الرقيق القيرواني وبلورة الفكر التاريخي ببلاد المغرب ، مجلة التاريخ العربي ، العدد 25 ، 2003م.

18- علاوة عمارة، التحولات المجالية والطبونيمية لبلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي"، مجلة تراث الزيبان بسكرة ،1 ، 2016،

19- عميور سكينة، ريف المغرب الأوسط في القرنين 5 -6 ه / 11 - 12 م، دراسة اقتصادية واجتماعية، مذكرة ماجستير،كلية العلوم الانسانية العلوم اجتماعية، قسنطينة، 1434ه/2013 م.

الرسائل والاطاريح

20- بعزاوي ، علي بن صالح ، الحياة السياسية في المغرب العربي في العصر الاموي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، 2003م .

21- بكاي، عبد الملك، الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 7-10ه / 13-16م ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة باتنة، 1435ه /2014م ،ص 156 .

22- بن عميرة، محمد: الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين أطروحة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، الجزائر، 2004-2005 .

23- بوحفص ، مسعودة - وبن بركات زينب ، مدينة طبنة من الفتح الإسلامي إلى اجتياح القبائل الهلالية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة محمد خضير ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، 2020-2021م

24- رفيقة ، للعزازي عتيق ، مواد وتقنيات البناء خلال العهد العثماني بالجزائر، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الآثار العثماني، معهد الآثار، جامعة الجزائر2012-2013.

25- سليم دريسي، البزنطيون في شمال أفريقيا الاحتلال والعمارة الدفاعية (دكتوراه في الآثار القديمة) ، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007 – 2008م .

26- صليحة ، رحلي ، المسيلة وجهتها في العصر الوسيط، مذكرة غير منشورة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014م.

27- علال ، ابن عمر ، انتاج الفكر الإباضي في الحواضر الصحراوية لبلاد المغرب الإسلامي وانتقاله من القرن3- 9 ه / 9- 15م دراسة

مذهبية ثقافية،) أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط جامعة غرداية، 2017-2018، ص519 .

28- غرايسة ، عمار ، التحولات الاجتماعية والثقافية في واحات المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الثامن الهجري ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، كلية الاداب والحضارة ، 2018-2019م.

29- مطلوب ، احمد ناطق صالح ، دور ولاة مصر في تحرير المغرب العربي (22هـ / 642م – 62هـ / 681م) ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، التربية ، جامعة الموصل ، 2004م .

Abstract

Due to its central location in the Maghreb, which connects it to the entire region and serves as a hub for many political and economic events, the Zab region has historically had a significant impact on the Islamic Maghreb, particularly the Central Maghreb. In this context, important occasions and significant milestones were also experienced in its cities. History, and it suffices to say that it served as the foundation for many of the governments, like the Aghlabid, Fatimid, Zirid, and Hammadid states, who were successful in controlling Africa during the Middle Ages.

The historical occurrences in this area are what led to the selection of this topic, particularly because academic studies in Iraqi institutions did not discuss it separately from the history of the Central Maghreb and did not draw attention to many significant elements of its history.

The study was broken down into three chapters, an introduction, and a conclusion. The origin of the Zab's name, the country's physical range, and the perspectives of geographers, travelers, and historians regarding the Zab's limits were all topics covered in the introduction.

The first chapter, which was divided into three parts, focused on the military activities that took place in the Zab and began with the Islamic conquest of the Maghreb in general and the Zab in particular. The Umayyad era, the age of the governors, the Abbasid era, and the founding of the Aghlabid state and the Rustamid state were then covered. Almoravid, Almohad, and the Fatimid state.

The second chapter, which was broken up into three parts, was on the social, religious, and sectarian circumstances of the Zab nation. The country of the Zab's population factors, national and tribal divisions, and the effects of migration on the demographic structure were all covered in the first section. The second segment addressed the societal circumstances affecting the inhabitants of the Zab nation's customs, traditions, and social activities. The third is the Zab region's religious life as it relates to its various religious groups, which include Islam, Christianity, and Judaism.

Then it deals with sectarian divisions such as Maliki, Hanafi, Kharijite, and Ismaili, their emergence in the region, the extent of their spread among the population, and the factors of spread and decline.

As for the third chapter, it is also divided into three sections. The first section dealt with the economic aspects in the country of the Zab, such as

agriculture, industry and trade, indicating the most important agricultural crops that have spread in the country of the Zab. Then, it reviewed secondly the industry in the region, especially the industry that relied on the agricultural and animal production of the region, such as the olive oil industry. And the manufacture of cotton and woolen textiles and other industries. Thirdly, the study dealt with the subject of trade, its broad activity, and the extent of the population's interest in it as a major profession. It also dealt with the commercial routes that pass through the region and the most prominent cities that have turned into important commercial centers.

The second section dealt with the scientific activity of the Al-Zab region, explaining the most important scientific figures and their scientific output, along with an explanation of the most important scientific centers in the region. As for the third section, it dealt with the urban activity in the region and the building materials that were used in those buildings, focusing on some urban models in the region, such as castles, palaces, and mosques.

The Zab region in the Islamic Maghreb: A study of general conditions until the end of the seventh century AH

Master's thesis submitted Student Doaa Jassim Jahel

To Council of the College of Education for Human Sciences at the University of Karbala It is part of Neil's requirements Master's degree in Islamic history Supervised

by Assistant Professor Dr

Muhammad Mahdi Ali